

أثر الفرس في السياسة

في مصر السياسي الأول

الدكتور على عبد الرحمن العمرو

الطبعة الأولى

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

مكتبة الممتدين الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكِيمِ الرَّكِيمِ

الْإِنْشَاءُ

إلى أبوى الكريمين ، اللذين تلقيت عليهما دروسى الأولى ، فكانتا
خير مربٍّ ومعلم ، إليهما أهدى بعض ثمار غرسهما .

قال تعالى : —

« ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين
أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير . . . » .

(سورة لقمان آية ١٤)





دكتور إبراهيم أحمد العدوى

مدير جامعة القاهرة

بالخرطوم

بهر الدور الذى قام به الفرس أيام العصر العباسى الأول أبصار
كثير من الباحثين فى التاريخ الإسلامى ، وأقبلوا على تتبع هذا الدور
وتقصى آثاره العديدة فى البناء السياسى والحضارى للمجتمع الإسلامى .
وبالرغم مما كشفه أولئك الباحثون عن تراث هذا الدور فى الجانب
الحضارى فإن أثر الفرس السياسى فى العصر العباسى الأول ظل موضع
أخذ ورد ، وشد وجذب بين أجيال المؤرخين القدامى والمحدثين ،
ودون الوصول إلى رأى حاسم قاطع .

وشهدت هذه الحلقة التاريخية باحثاً معاصراً هو الدكتور على
عبد الرحمن العمرو الذى قدم فى دراسته العميقة عن « أثر الفرس
السياسى فى العصر العباسى الأول » إجابة شافية لما ظمئت إلى معرفته .

أجيال المؤرخين السابقين ذلك أن هذا الباحث المعاصر قد توافرت له في موطنه بالسعودية نافذة عربية إسلامية أطل منها على دراساته وأبحاثه ، وذلك على نحو ما يعرف في المصطلح الحديث باسم « المنظور التاريخي » فتلك النافذة الإسلامية العربية لها صفتان هامتان تتيحان لصاحبها أن يقدم - دون غيره - دراسة متكاملة وفي صورة واضحة المعالم عن أثر الفرس السياسى فى العصر العباسى الأول .

وتتلخص هاتان الصفتان فى كون المملكة العربية السعودية جزءاً من مجتمع مزاجه الرسمى العام إسلامى عربى ، وفى كون الموقع الاستراتيجى لشبه الجزيرة العربية أقرب جغرافيا للمجتمع الفارسى ، حتى صار أهلها على مر العصور أكثر إدراكا دون غيرهم لما ارتكضت به أحشاء المجتمع الفارسى من نشاط سياسى أو اقتصادى أو دينى .

وتأكدت هذه النافذة الإسلامية العربية عند هذا الباحث السعودى الدكتور على العمرو - لعاملين أساسيين ، أولهما أن المؤلفات التى تناولت أثر الفرس السياسى فى العصر العباسى الأول كانت على كثرتها ساذجة النظرة مبعثرة المناهج . وأدرك الدكتور على العمرو تلك الظاهرة حين أقبل على بحثه عن أثر الفرس السياسى فى العصر العباسى الأول ، فقال : « وقد ضاعف من رغبتى فى اختيار هذا الموضوع ما وجدته من كثرة المؤلفات عن الدولة العباسية بل وعن بعض خلفاء هذه الدولة . ومع هذه الكثرة فإنى لم أجد مؤلفا عالج بصورة مستقلة التأثير السياسى

الفُرس في الدولة العباسية . ومن هذه الناحية فاني شعرت أن هذه الزاوية جديرة بالدراسة إذ أنه من خلالها يستطيع الباحث أن يفسر تفسيراً تاريخياً سليماً الكثير من الأحداث والتطورات التي وقعت في الدولة العباسية إبان عصرها الأول ، بل إن هذه الزاوية قد تساعدنا على فهم الكثير من التطورات التي وقعت في الدولة العباسية بعد ذلك .

أما العامل الثاني فهو أن الدراسات التي تناولت أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول امتلأت بالمتاهات والتضليل والتشويه بسبب النافذة الخاصة التي أطل منها كل باحث في هذا الموضوع ، سواء أكان هذا الباحث من القدامى أو المحدثين . ومن ثم كان لابد لدراسة أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول من باحث يتناولها من النافذة العربية ، حسماً لهذه القضية الهامة والتي ظلت معلقة على مر العصور . وقد اضطلع بهذا الأمر في أمانة علمية وهمة عالية الدكتور على عمرو . إذ جاءت النافذة العربية الإسلامية لهذا المؤرخ السعودي أمراً هاماً في سبيل وضع الأمور في نصابها بالنسبة لدراسة أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول . ذلك أن اختلاف النوافذ لا يغير الحقائق التاريخية أو يعدل في ترتيبها التاريخي وإنما معناه أن تغير النظرة إليها تغييراً زعيماً بعرض أصناف الحقائق عروضاً أخرى مختلفة . تستهدف الوصول إلى الحقيقة المؤكدة .

وهكذا كانت قضية « أثر الفرس السياسي في العصر العباسي

الأول » في حاجة إلى باحث سعودي ينظر إليها من حصيلته الثقافية ووضع

ببلاده الجغرافى ، وهو ما فعله الدكتور على العمرو ، فثقافته وجغرافية بلاده تكونت منهما نافذته التى استطاع منها أن يستنشق المعنويات والماديات وغيرها من أصناف الحياة اليومية لبلاده وعلاقتها مع فارس ، وهو الأمر الذى عجز عنه المؤرخون السابقون وكذلك اللاحقون له . وقد فرضت الدراسات العديدة والمتشعبة عن أثر الفرس السياسى فى العصر العباسى الأول على الدكتور على العمرو أن يلتزم منها بما يكفل له الكشف عن أهمية هذه الحقبة الهامة من نشاط الفرس السياسى فى الدولة العباسية والعمل فى نفس الوقت على أن يجتزىء من التيارات العديدة للفرس ونشاطهم القدر الذى يكفل به منهجه احتراماً منه للمنظور التاريخى ولقواعد التنسيق والتوزيع والتركيز .

وشرح الدكتور على العمرو منهجه والمنظور التاريخى الذى تتبع آفاقه قائلاً : « وكما هى العادة فأتى واجهت العديد من المشاكل والصعاب فى إعداد هذا البحث .. ولعل من أهمها عدم وجود مثال يمكن الاقتداء به هذا بالإضافة إلى تناثر المعلومات فى العديد من المصادر وأيضاً كثرة الآراء حول بعض القضايا كثرة ترى بكثير من الظلال القائمة على وجه الحقيقة . وقد حملتنى الرغبة الصادقة فى أن أقدم شيئاً جديداً على العمل بكافة الطرق من أجل التغلب على مثل هذه العراقيل » .

واستطاع الدكتور على العمرو أن يأتى بجديد حقا فى بحثه أفاد الدراسة التاريخية الإسلامية فائدة محققة . إذ يبرهن على أن العباسيين

استطاعوا أن يحفظوا التوازن السياسى بين الفرس والعرب عن طريق التنظيم الإدارى والحربى وتوزيع السلطات داخل هذه التنظيمات بما يكفل للدولة الإسلامية مواجهة مشاكل التطور والبناء الحضارى الإسلامى .

وقد تجلت تلك الحقيقة الجديدة حين تناول الباحث منصب الوزارة فى العصر العباسى الأول ، فقال : « وقد ناقشت وبينت لماذا كان منصب الوزارة فى العناصر الفارسية فى معظم الأحيان ، وعزوت ذلك إلى سياسة تحقيق التوازن بين العنصرين الأساسيين فى الدولة العباسية ، العنصر العربى والعنصر الفارسى . وقد اقتضت هذه السياسة جعل الوزارة فى العناصر الفارسية معظم الأحيان وجعل قيادة الجيش فى العناصر العربية غالبية الوقت » .

وعزز الباحث دراساته عن التوازن بين الفرس والعرب فى العصر العباسى الأول بالأمثلة التاريخية التى تؤكد القدرة العالية فى التمحيص مع المنظور التاريخى الواسع الآفاق . فقال : « وقد اختل هذا التوازن فى عهد الرشيد والمأمون . وفى عهد الرشيد عندما اجتمعت قيادة الجيش والوزارة بيد أسرة البرامكة الفارسية حيث أسندت قيادة الجيش الخراسانى للفضل بن يحيى وألف هذا جندا ساهم العباسية ، وقد رأى الرشيد فى ذلك خطراً يهدد السيادة العباسية ، فما كان منه إلا أن أعاد هذا التوازن وذلك بعزل الفضل من قيادة الجيش واستنادها إلى القائد العربى على بن عيسى .

وجاءت دراسة الدكتور على العمرو عن « أثر الفرس السياسى فى العصر العباسى الأول » تحقيقا للآمال التى تراود دعاة الإصلاح فى العالم الإسلامى اليوم فى سعيهم المتواصل لدعم الإخاء الإسلامى ورفع قواعده السياسية والعلمية

وتأتى كذلك دراسة الدكتور على العمرو عن « أثر الفرس السياسى فى العصر العباسى الأول » دراسة رائدة لأجيال الباحثين المسلمين المعاصرين ، إذ تؤكد لهم أن التاريخ الإسلامى فى حاجة إلى إعادة كتابته بما يحقق للإسلام وأهله العزة والسؤدد ، واسترداد سالف الحضارة الإسلامية ورسالتها الخالدة التى تدعو دائما وأبدا إلى اخراج الناس من الظلمات إلى النور ..

* * *

مقدمة

- ١ -

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم وبعد :

تسير القافلة الإنسانية في طريقها الطويل إلى غايتها المحتومة ،
ويتشعب هذا الطريق كلما مضى ركب البشرية في اجتيازه ، فيتفرق
الناس إلى جماعات وأمم وقبائل وشعوب ، ويتخذ كل منهم منهجه
المرسوم لتحقيق رغباته ، ولكن سرعان ما تتصارع الرغبات وتتضارب
الأطماع فتشتعل الفتن وتقوم الحروب بين الأمم والشعوب جيلا بعد
جيل ، قبلا أثر قبيل

والتاريخ العريض العميق إنما يتمثل في هذه الحركات التي تقوم
أبدا بين الأمم والشعوب ، وبين الطبقات المختلفة في المجتمع الإنساني
تعبيراً عن التنافس في مجالات الحياة المتنوعة فإن ذلك هو الأساس
الحقيقي للنمو الفكري والعلمي والحضارى والاقتصادى ، ويتمثل -
مكتبة المهتدين الإسلامية

كذلك - في دراسة أحوال تلك الأمم وتطورها ، وعلاقة بعضها ببعض وأثر تلك العلاقة ، واختلاف ذلك الأثر في نهضتها أو تخلفها ، وفي انتقالها من قوة إلى ضعف أو من ضعف إلى قوة .

أما التاريخ الذى يدور حول الأسر الحاكمة ، والولاة والرؤساء فهو أفق ضيق ونطاق محدود لا يتبع الرؤية الكاملة ، ولا يرضى النظرة الشاملة

ولقد جالت هذه المعانى فى خاطرى حينما اعترمت التقدم برسالى لنيل درجة الدكتوراه ، وتطلعت إلى المد الإسلامى ينساب فى أرض الله الواسعة ليحيى مواتها ويجدد حياتها ، وكيف كان أثر هذا المد الإسلامى على الأمم والشعوب التى غمرها سيبه ، وشملها عطاؤه ، وكيف انتفع بهذا الخير أناس وشقى به آخرون ، وكيف نشأت من جراء هذه الفتوح الإسلامية طبقات عز عليهم أن تسود العدالة الإسلامية لتنزلهم من صياصبيهم ، فكانوا ينتهزون الفرض كلما لاحت لهم لينالوا من الإسلام والمسلمين ... أقول ان هذه المعانى قد جالت فى خاطرى فاتجهت نفسى إلى موضوع يمكن أن يجلى ناحية من هذه النواحي ، ويتتبع حركة من الحركات ليلقى عليها مزيدا من الأضواء ، ووقع اختيارى على موضوع هو :

« أثر الفرس السياسى فى العصر العباسى الأول » ، وقد ضاعف

من رغبتى فى اختيار هذا الموضوع ما وجدته من كثرة المؤلفات عن

الدولة العباسية بل وعن بعض خلفاء هذه الدولة ، ومع هذه الكثرة فاني لم أجد مؤلفا عالج بصورة مستقلة التأثير السياسي للفرس في الدولة العباسية . ومن هذه الناحية فاني شعرت أن هذه الزاوية جديرة بالدراسة ، إذ أنه من خلالها يستطيع الباحث أن يفسر تفسيراً تاريخياً سليماً الكثير من الأحداث والتطورات التي وقعت في الدولة العباسية ابان عصرها الأول ، بل ان هذه الزاوية قد تساعدنا على فهم الكثير من التطورات التي وقعت في الدولة العباسية بعد ذلك .

وقد حملت هذه الأفكار إلى الأستاذ الدكتور المشرف وناقشته فيها فوجدته قد اتفق معي في أهمية معالجة هذا الموضوع وتقديمه في شكل دراسة علمية .

وكما هي العادة فاني واجهت العديد من المشاكل والصعاب في إعداد هذا البحث ، ولعل من أهمها عدم وجود مثال يمكن الاقتداء به ، هذا بالإضافة إلى تنافر المعلومات في العديد من المصادر ، وأيضاً كثرة الآراء حول بعض القضايا ، كثرة ترمى بكثير من الظلال القائمة على وجه الحقيقة . وقد حملتني الرغبة الصادقة في أن أقدم شيئاً جديداً على العمل بكافة الطرق من أجل التغلب على مثل هذه العراقيل .

وبالنسبة لتحديد العصر العباسي الأول فكما هو معلوم تدور حوله عدة اجتهادات ، وقد آثرت الأخذ بالرأى القائل بأن هذا العصر ينتهي بنهاية عصر المأمون ، وذلك لأن هذا العصر يفصل بين الفترة

التي كان للفرس فيها نفوذ كبير في الدولة العباسية ، والفترة التي حل فيها الأتراك محل الفرس في تدبير شئون الدولة العباسية ، وقد تحدثت بإيجاز في خاتمة الرسالة عن الأتراك كعنصر خلف الفرس على المسرح السياسي وكيفية بدايتهم ومدى نفوذهم السياسي .

وكما هو معلوم فإن التطورات التاريخية لا يمكن تحديدها بتاريخ معين بالسنة والشهر ، إذ أن الكثير من الأحداث ترجع جذورها إلى عدة سنوات ، أو تمتد آثارها إلى المستقبل أعواما كثيرة ، وعلى هذا الاعتبار عالجت بعض التطورات التي وقعت بعد عصر المأمون مثل الفترة الأخيرة من حركة بابك الخرمي ، وأيضاً حركة المازيار بن قارن لأن لكل منها جذورها التي تمتد طويلا في الفترات السابقة .

- ٢ -

وفي تجميع المادة الاولية التي تكون منها هذا البحث رجعت إلى الكثير من المصادر المطبوعة والمخطوطة ، ويوجد عدد من هذا المصادر لم يكن للبحث أن ياتي على صورته التي بين أيدينا إلا بالاستعانة بها . وعلى رأس هذه المصادر ياتي مؤلف محمد بن عبدوس الجهشيارى كتاب « الوزراء والكتاب » ، وقد تجمعت في هذا المصدر عدة خصائص لها أهميتها القصوى في الدراسة موضوع البحث .

أولها : أنه من أقدم المؤلفات التي وصلت إلينا ويقوم موضوعه

على معالجة الوزارة وتطوراتها في العصر العباسي الأول ، ويحدد علاقة الوزراء بالخلفاء العباسيين ويوضح مدى تآثر هذه العلاقة بالنزعات والأطماع التي تطفئ على تصرفات بعض الوزراء ، كما تناول وضع الكتاب وتصنيف طبقة الكتاب وصفات الكاتب أيام الفرس وفي العصور الإسلامية .

ثانيها : أن المعلومات التي قدمها هذا الكتاب تتمتع بقدر كبير من الثقة فقد قدمها الجهشيارى مصدرة بسندها أو سلسلة روايات ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الروايات التي وردت في هذا الكتاب ورد بعضها في مؤلفات موضع ثقة وتقدير مثل الطبرى وغيره .

ثالثها : أن الجهشيارى انفرد في كتابة كثير من الحقائق التاريخية التي لانجدها في مصادر أخرى ، ولولا هذا الكتاب لضاعت هذه الحقائق وترتب على ضياعها الكثير من الاضطراب .

وبالجملة فإن الجهشيارى ومؤلفه قد لازمانى ملازمة كاملة طوال الفترة التي قضيتها في إعداد هذه الرسالة .

كذلك من المصادر التي اعتمدت عليها واحتجت إليها كثيراً موسوعة محمد بن جرير الطبرى التاريخية « تاريخ الأمم والملوك » وهذا المؤلف مع أنه عالج التاريخ الإسلامى بصفة عامة فإنه يتفق في بقية الخصائص مع مؤلف الجهشيارى ، وبالإضافة إلى ذلك فإن المؤلفين يشتركان في الكشف عن الكثير من أسرار العلاقات بين مكتبة المهتدين الإسلامية

هارون الرشيد من ناحية والبرامكة من ناحية ثانية ، وقد اعتمد الطبرى على الروايات الشفوية ، وعلى مشاهدته ، وعلى كتب المتقدمين كابن اسحاق ، والواقدي والمدائني .

وهذه الموسوعة لاشك ذات قدر وقيمة يحتاج إليها كل باحث في التاريخ الإسلامى ، ويزيد في أهميتها ما يعرف عن الطبرى من النزاهة والحيدة والصدق .

وكتاب « الأخبار الطوال » لأبي حنيفة الدينورى من أهم المصادر التى أمدتني بكثير من المعلومات القيمة ، وخاصة فيما يتصل بالدعوة العباسية ، والرجال الذين قاموا بها ، والتطورات التى ارتبطت بهم ، وبيّن موقف الفرس من الدعوة ومساندتهم لها وأثرهم فيها .

وما أفدته من الدينورى وجدت مايسانده فى مصدر آخر لمؤلف مجهول والمصدر الذى أعنيه يحمل عنوان : « أخبار الدولة العباسية » (١) وتقف قيمة هذا الكتاب على مساندة المعلومات التى أمدنا بها الدينورى أو المصادر الأخرى ؛ بل أنه فوق ذلك احتوى على معلومات جديدة ومفيدة .

وهو يعطى صورة مفصلة عن الدعوة العباسية فيذكر وصية أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية إلى محمد بن علي العباسي ،

(١) حقق هذا الكتاب الدكتور عبد العزيز النورى ، والدكتور عبد الجبار المطاوع ، وهما ميلان إلى نسبه إلى محمد بن صالح بن مهران المعروف بابن النطاح المتوفى سنة ٢٥٢ هـ .

ويذكر قيام بنى العباس بالدعوة ونشاطهم فيها إلى أن تمت البيعة لأبى العباس السفاح بالخلافة في مدينة الكوفة كما يمدنا هذا المصدر بقوائم وافية بأسماء الذين ارتبطوا بجهاز الدعوة العباسية من دعاة ونقباء وسواهم .

أما كتاب « بغداد في تاريخ الخلافة العباسية » لابن طيفور فهو إلى جانب سبقه الزمني حيث يعتبر أقدم ما كتب عن عصر المأمون يجد الباحث فيه معلومات هامة تتعلق بالخليفة المأمون ، وخاصة بعد عودته إلى بغداد .

وفي مستوى الدينورى وابن طيفور من الممكن أن نضع اليعقوبى إذ أن تاريخه يحتوى على لمحات وإشارات بالغة الأهمية بالنسبة للموضوع الذى أعالجه .

كما أن كتابى « الإمامة والسياسة » و « المعارف » لابن قتيبة من المصادر المهمة التى تقدم معلومات جيدة تتعلق بموضوع البحث ، وقد بحث الأول مسألة الإمامة ، وشروط عقدها ، كما تناول الأوضاع السياسية فى تلك العهود .

وما دمننا بصدد الحديث عن المصادر الهامة فإنه يلزم ألا تفوتنا الإشارة إلى كتابى « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ، « التنبيه والإشراف » لعلى بن الحسن المسعودى ، وكتابه الأول تاريخى وجغرافى ، وقد تناول فيهما دراسة تاريخ العرب وتاريخ البلدان التى فتحها المسلمون كما تناول أخبار الوزراء العباسيين .

كما أن ابن طباطبا محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي في كتابه « الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية » قدم دراسات جيدة عن سياسة الدول في (عهود) ما قبل الإسلام ، كما تناول الفتوحات الإسلامية في عصر الراشدين ، وأحوال الخوارج ، والأحداث التي وقعت في عهد بني أمية ، وقيام الدولة العباسية ، وتكلم بالتفصيل عن خلفاء بني العباس ، ووزرائهم ، وقد أمدني بمعلومات جيدة نفعتني في فصول بحثي وخاصة ما يتعلق بوزراء الدولة العباسية .

أما كتاب « الكامل في التاريخ » لأبي الحسن المعروف بابن الأثير فقد اقتني مؤلفه أثر الطبري في التدوين بحسب السنين واعتمد عليه ، وتكاد تكون معلوماته مكررة لما أورده الطبري إلا أنه يمتاز بقوة الأسلوب وترابط الألفاظ ، ويلاحظ في هذا المؤرخ الدقة في نقل الأخبار ، والروايات وتناول فيه تاريخ البشرية منذ عصورها القديمة حتى عصره ، وكتابه يعتبر موسوعة اسلامية شهد به ابن خلكان حيث قال : « انه من خيار التواريخ » .

وإذا كانت المعايير التقويمية تضع المصادر السابقة في المرتبة الأولى من وجهة النظر بالنسبة للموضوع الذي أدرسه فإن هذه المعايير تضع مجموعة أخرى من المصادر في مكانة تالية ، ومن هذا النوع الأخير كتاب « فتوح البلدان » لأحمد بن يحيى البلاذري ، وكتاب « الفهرست » لمحمد بن اسحق بن النديم ، وكتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصفهاني ، وكتاب « الأحكام السلطانية » لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي ،

وكتاب « تاريخ الموصل » لأبي زكريا يزيد بن محمد الأزدي ، وكتاب ابن خلدون « العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » . وكتاب « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ، وكتاب « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » لجمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغرى بردى ، وكتاب « تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام » للحافظ الذهبي ، وكتاب « فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي ، وكتاب « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي ، وكتاب « الملل والنحل » لأبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني ، وكتاب « البداية والنهاية » لأبي الفداء الحافظ ابن كثير . . . إلى غير ذلك من المصادر الكثيرة التي رجعت لها والتي ستكرر في حواشي الرسالة ، وتوضحها قوائم المصادر .

وهذه الكتب وإن فاتها أو فات بعضها سبق الزمنى فقد بقى لكل منها قدر من الفضل في زاوية أو زوايا أخرى ، والمصادر المذكورة من هذه الناحية قد ساعدت في تأكيد بعض المعلومات أو في إلقاء المزيد من الضوء عليها .

* * *

هذا عن المصادر المطبوعة ، وفي نفس الوقت فاني أيضاً قد استعنت بمجموعة من المصادر التي لا تزال مخطوطة حتى الآن ، من هذه المصادر مخطوطة « الأنباء في تاريخ الخلفاء » ومؤلفه ، محمد العمراني ، وقد

مكتبة المهتدين الإسلامية

زودنى هذا المصدر بكثير من المعلومات التى تتصل بتاريخ الدولة العباسية فى عصرها الأول ، ومن مراجعة هذا المصدر يتضح لنا أن مؤلفه قد اعتمد اعتماداً كبيراً على كل من الجهشيارى والطبرى .

وكثير من المعلومات التى وجدتها فى المخطوطة السابقة وجدتها أيضاً لدى شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى ضمن موسوعة « مسالك الأبصار » .

وما يقال عن أهمية المخطوطة السابقة يقال نظيره عن العمرى وموسوعته الضخمة « مسالك الأبصار » ، ويقال أيضاً عن مخطوطة « تاريخ البدر فى أوصاف أهل العصر » فقد أمدنى هذان المصدران بالكثير من المعلومات الهامة التى تعالج العلاقات بين الخلفاء العباسيين من ناحية والزعماء الفرس من ناحية ثانية .

أما عن العلاقات بين العرب والفرس مع بداية ظهور الدولة فإنها قد عولجت بالتفصيل فى مخطوطة « نهاية الأرب فى أخبار الفرس والعرب » (١) .

وقد أمدتنى مخطوطة « منتخب التذكرة » لثنى الدين أبى بكر المقرئى بمعلومات قيمة أفادت البحث ولا زمتنى عند إعداد معظم فصوله ، ومن المعلومات المهمة التى وردت فيها : - تحديد بداية الدعوة العباسية ، وأسماء الدعاة الذين انطلقت بهم الدعوة لأول مرة على

(١) مؤلف هذه المخطوطة مجهول .

رأس السنة المائة الهجرية ، وايضاح حركة الدعاة ونشاطهم والشعارات التي حددها زعيم الدعوة العباسية محمد بن علي العباسي لدعائه ، ونستمر في الحديث عن بعض الوزراء والمسئوليات التي أنيطت بالفرس في الدولة العباسية .

أما مخطوطة « كنز الأخبار في معرفة السير والأخبار » لعماد الدين ادريس بن علي اليماني فتتحدث عن دور العلويين في المطالبة في الخلافة والفوائد التي جنتها الدعوة العباسية من ذلك ، كما تبين نشاط الدعاة العباسيين واستبسالهم في نشر الدعوة ، وتوضح الحالة في خراسان ، وكيف استغل أبو مسلم الصراعات الدامية فيها في ترويج دعوته وتثبيت قلمه ، ومعظم المعلومات الواردة في هذه المخطوطات تكرار لما ورد في المصادر التاريخية التي سبقتها .

وقد أمدتني مخطوطة « المناقب العباسية والمفاخر المستنصرية » لعلی بن أبي الفرج بن الحسن البصري بمعلومات جديدة عن العلاقات بين الخليفة أبي جعفر المنصور وبين الزعيم الفارسي أبي مسلم الخراساني وكيفية استدراج الخليفة لأبي مسلم ومن ثم الفتك به ، كما تبين سلطان أبي مسلم وقوة نفوذه ونظرة قومه له ، ومن ذلك قول أحد أصحابه له عندما عزم على السير إلى الخليفة أبي جعفر : « إذا دخلت عليه (يعني أبا جعفر) فاقتله وبائع من شئت فإن الناس لا يخالفونك » .

ومن المصادر التي زودتني بالكثير من المعلومات المفيدة مخطوطة

« التاريخ المظفرى » لشهاب الدين ابراهيم بن عبد الله بن أبى الدم
فقد تحدث مؤلف هذا المصدر عن العلاقات بين العباسيين والعلويين
وبين قوة نفوذ البرامكة وتسلطهم واستبدادهم بالأُمُور كما عالج
أسباب نكبتهم ، ويستمر فى مناقشة الأحداث حتى يمر بالعلاقات بين
الخليفة المأمون ووزيره الفارسى الفضل بن سهل ، وولى عهد المأمون
العلوى على بن موسى الرضا ، والنهاية التى صار إليها كل من الفضل
وعلى بن موسى .

وعدا ما سبق فانى قد استعنت بعدد آخر من المخطوطات منها
مخطوطة ، « المقفى » لثقى الدين أبى بكر المقرئى ، ومخطوطة « مختصر
التاريخ من أول الزمان إلى دولة بنى العباس » لظهير الدين على بن
محمد الكازورنى ، ومخطوطة « رياض الأنس لعقلاء الأنس » للإمام
الحافظ أبى شجاع شيرويه بن شهردار الديلمى ومخطوطة « عيون
التواريخ » لفخر الدين محمد بن أحمد بن شاكر الكتبى .. إلى غير
ذلك من المخطوطات .

أما المؤلفات الحديثة فقد رجعت لكثير منها ولا أرى داعيا
لاستعراض شئ منها وبالإمكان الرجوع إلى قوائم المصادر للتعرف
عليها .

- ٣ -

وننتقل الآن بعد أن وضعنا أسباب اختيار موضوع البحث ، واستعرضنا أهم المصادر التي ساعدت في إعدادة إلى بيان الخطة التي سرت عليها في كتابته وبادئ ذي بدء أقول : قمت بتقسيم البحث بعد ذكر المقدمة إلى ستة فصول وخاتمة ، وفيما يلي سألقى شيئاً من الضوء على أهم محتويات الفصول الستة .

* الفصل الأول *

تمهيد وهو مدخل للبحث في نفس الوقت ، ويدور موضوعه حول الفرس والدولة الإسلامية ، وقد بدأت هذا الفصل ببحث الحالة السياسية للفرس قبيل الفتح الإسلامي ، والظروف التي مهدت للمسلمين الطريق إلى الاستيلاء على الامبراطورية الفارسية ، فبينت كيف كان البلاط الفارسي مضطرباً تنتشر في جوه دسائس الطامعين في الوصول إلى الحكم ، وأن الولاء للعرش الفارسي قد ضعف لدى حكام المناطق وولاتها ، وأن الروابط الدينية بين الجماهير قد انحلت مما أدى إلى ضعف العصبية القومية ، وكيف أن هذه الأمور مجتمعة كانت من العوامل التي أضعفت الامبراطورية الفارسية وساعدت المسلمين في الاستيلاء على ممتلكاتها .

كما تحدثت عن الفتح الإسلامي لبلاد فارس ، فوضحت الجهود التي قام بها قادة الجيوش الإسلامية في هذه المنطقة وكيف أن الضربات
مكتبة المهتدين الإسلامية

المتلاحقة من جانب القوى الإسلامية الزاحفة جعلت مصير الامبراطورية الفارسية يتقرر ، وكان قادة الجيوش الإسلامية يدركون مدى أهمية الخطر الذى يمكن أن يهدد الأجزاء المفتوحة حديثا ومن بعدها الدولة الإسلامية لو حصل تراخ أو إهمال من الجيش الإسلامى لذا كان عليهم أن يتابعوا تقدمهم المطرد لإخضاع هذه البلدان وما تبقى من بلدان الامبراطورية الفارسية وقد تم لهم ذلك ، وصفت آخر ممتلكات هذه الامبراطورية وقضى على الامبراطور الفارسى فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان .

وفى هذا الفصل تناولت بالبحث مكانة الفرس فى الدولة الأموية ، وكيف أن معظم الخلفاء والقادة الأمويين كانوا يعتمدون فى سياستهم على العناصر العربية بل تعصبوا للعرب وأدنوهم ، وأقصوا الموالى من فرس وغيرهم ، فكان لذلك ردود فعل عنيفة فقد أثار حقد الموالى ودفع بعضهم مع ما فيهم من كره عنصرى للعرب إلى الاشتراك فى معظم الثورات التى قامت مناوئة للدولة الأموية ، مثل ثورة المختار بن أبى عبيد الثقفى ، وثورة عبد الرحمن بن الأشعث وسواهما ، وقد روى معظم المؤرخين أن من قاتل مع الثائرين كانوا فى معظمهم من الموالى الفرس ، ويقول الطبرى (١) ، ويبلغ عدد من قاتل مع ابن الأشعث من الموالى فى موقعة دير الجماجم مائة ألف مقاتل .

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك / ج ٨ ص ٨٠ - ١٠٥ .

وكانت الضربة القاضية في اشتراكهم في الثورة العباسية حيث قاموا بدور خطير في ثل العرش الأموي وانتقال السلطة إلى البيت العباسي .

* الفصل الثاني *

في هذا الفصل وضحت دور الفرس في إقامة الدولة العباسية مبينا كيف أفاد رجال الدعوة العباسية من العناصر الفارسية الساخطة على الحكم الأموي ، ومن حركات العلويين وثوراتهم ضد الدولة الأموية ، وكيف كان العباسيون يعملون من خلال تنظيمهم لدعوتهم السرية في صمت مستفيدين مما كان يدور على مسرح الأحداث بين الأمويين والعلويين من صراعات وحروب ، وكيف أنهم انتهزوا هذه الفرصة التي صرفت أنظار الأمويين بعيداً عن الدعوة العباسية الوليدة .

وتناولت في هذا الفصل بالبحث التفصيلي منهج الدعوة والشعارات التي حددها رئيسها محمد بن علي لدعاته حيث أمرهم أن تكون دعوتهم للرضا من آل محمد ، وأن يكون ظاهر أمرهم التجارة ، ومتى ما وجدوا آذانا صاغية ونفوسا راغبة أسروا إليهم بأمرهم ، واستطاعوا بذلك نشر الدعوة وغرس جذورها في القلوب ، وكسب الأعوان والأنصار ، وفي ذلك تتجلى نجابة رئيس الدعوة العباسية محمد بن علي حيث أن الدعوة بهذه الصورة (للرضا من آل محمد) يظنها العلويون وأنصارهم دعوة من أجل مناصرة القضية العلوية ، ويرى الفرس فيها أنها إنما تعني صاحب الحق الإلهي ، ويقول محمد بن علي في وصيته

مكتبة المهتدين الإسلامية

لأبي عكرمة السراج أحد الدعاة (١): «فلتكن دعوتك للرضا من آل محمد ، وليكن اسمى مستوراً من كل أحد إلا عن رجل توثقت منه وأخذت بيعته » .

وقد أبرزت دور الدعاة في كل من الكوفة وخراسان ، وكان معظمهم من الفرس ، وناقشت في هذا الفصل الرواية التي يروجها العباسيون والتي تقوم على القول بأن قيام محمد بن علي بالدعوة جاء نتيجة توصية أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية أحد زعماء البيت العلوي .

كما ناقشت سر اختيار خراسان مركزاً لنشاط الدعوة العباسية ومنطلقاً لها ، وسر استجابة الفرس للدعوة العباسية حيث كان العباسيون [يقدرُون أنهم لن يجدوا تأييداً من العلويين أو من العرب عامة ، ولهذا انصرف اهتمام العباسيين إلى اختيار الأنصار من الفرس حيث كان أهل فارس على استعداد للتعاون مع أي ثائر ضد الحكم القائم للتخلص منه للأسباب التي أشرت إليها في صلب الرسالة .

وكانت خراسان هي القاعدة التي وقعت عليها أنظار العباسيين لأنها مهد الفرس الحاقدين على الحكم الأموي ، ولبعدها عن مركز الخلافة ، ولما كان يشتعل فيها من نار العصبية ، وتفاقم الخلاف بين القبائل العربية ، وقد استغلت القيادة العباسية هذا الوضع أفضل استغلال .

(١) أخبار الدولة العباسية ص ٢٠٤ .

وكان محمد بن علي زعيم الدعوة العباسية يركز على أهل خراسان ويتفائل في خراسان وأهلها خيراً ، ويقول في وصيته لدعاته : (١)
 « عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر ، وهناك صدور سليمة ، وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل ، ولم يقدح فيها فساد ، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحي وشوارب ، وأصوات هائلة ، ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة ، وبعد فإني أتفائل إلى المشرق ، وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق » .

وأبرزت الدور الكبير الذي قام به أبو مسلم الخراساني في سبيل نجاح الدعوة العباسية ، والقضاء على خصومها ، فهو بحق رجل الدعوة الأول وبطلها المغوار ، وكانت قيادته للدعوة العباسية في خراسان من أسباب سقوط الدولة الأموية ، وقيام الدولة العباسية حيث عرف كيف يقود السفينة وسط الأمواج المتلاطمة ويكسب الجولة لصالحه وقد استغل النزاع القائم بين الزعماء العرب في خراسان ، واشتعال نار العصبية بينهم فضرب زعيماً بآخر حتى أضعفهم جميعاً ومن ثم قضى عليهم وأمسك بزمام الأمور ، وقد وفق محمد بن علي العباسي في اختياره رئيساً للدعوة العباسية في خراسان لأنه فارسي ، وقد رأى فيه الفرس منقذاً لهم من الحكم العربي الأموي ، فتهافتوا تحت لوائه وخضعوا

لطاقعه وقويت الدعوة بهم ، وأبلوا بلاءً حسناً في جيش الثورة العباسية حتى تم النصر ورفعت الرايات السود خفاقة في سماء خراسان .

وقد أشاد داود بن علي عم الخليفة أبي العباس السفاح بالدور الذي قام به الفرس في سبيل قيام دولتهم ، وقال في خطبته التي ألقاها في الكوفة عند مبايعة السفاح بالخلافة : (١) يا أهل الكوفة انا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان ، فأحيا بهم حقنا وأبلى بهم حجتنا ، وأظهر بهم دولتنا .

والنتيجة التي أستطيع أن أدونها - وسيوضح الكثير من النتائج في الفصول القادمة - أن احتضان الفرس للثورة العباسية ومؤازرتهم للحركات التي سبقتها لم يكن تفضيلاً لعنصر عربي على آخر ، ولكنها الرغبة في التخلص من الحكم الأموي الذي رأوا أنه لم ينصفهم ، وللتطلع إلى تحقيق مخططاتهم السياسية في ظل الحكم الذي سيكون مدينا لهم بمناصرتهم له ومؤازرتهم إياه

* الفصل الثالث *

تناولت بالبحث في هذا الفصل منصب الوزارة في العصر العباسي الأول ، وبينت خطورة وأهمية هذا المنصب الذي كان يلي في الأهمية منصب الخلافة بل ربما كان يساويها أحياناً ، فبعض الوزراء كان لهم مطلق السلطة ، وكان يطلق على جعفر بن يحيى البرمكي السلطان

(١) الطبري تاريخ الرسل والملوك / ج ٩ - ص ١٢٧

لإطلاق ولايته ، ووالده كان مفوضا تفويضا مطلقاً من قبل الرشيد في تصريف الأمور وتدبير شئون الدولة ، ويقول صاحب العقد الفريد للملك السعيد : (١) « الوزير هو قطب الدولة ومدارها ، وزند المملكة وسوارها ، يستضيئ السلطان في ظلم المهام بأنوار تدبيره ، ويحمل عنه أعباء ما يحدث من قليله وكثيره ، وجليله وحقيقه .. »

وقد ناقشت وبحثت لماذا كان منصب الوزارة في العناصر الفارسية في معظم الأحيان ، وعزوت ذلك إلى سياسة تحقيق التوازن بين العنصرين الأساسيين في الدولة العباسية ، العنصر العربي ، والعنصر الفارسي ، وقد اقتضت هذه السياسة جعل الوزارة في العناصر الفارسية معظم الأحيان ، وجعل قيادة الجيش في العناصر العربية غالبية الوقت

وقد اختل هذا التوازن في عهد الرشيد والمأمون ، في عهد الرشيد عندما اجتمعت قيادة الجيش والوزارة بيد أسرة البرامكة الفارسية حيث أسندت قيادة الجيش الخراساني للفضل بن يحيى وألف هذا جندا ساهم العباسية ، وقد رأى الرشيد في ذلك خطراً يهدد السيادة العباسية ، فما كان منه إلا أن أعاد هذا التوازن ، وذلك بعزل الفضل من قيادة الجيش واسنادها إلى القائد العربي علي بن عيسى بن ماهان .

أما في عهد المأمون فقد تعرض هذا التوازن لاضطراب خطير في السنوات المبكرة من خلافته ، فقد انحصرت الوزارة وقيادة الجيش

(١) أبو سالم / العقد الفريد للملك السعيد ص ١٤٤

في أسرة آل سهل الفارسية وأصبح الفضل بن سهل يعرف بذى الرياستين ، أى الرياسة السياسية ممثلة في منصب الوزارة ، والرياسة العسكرية ممثلة في قيادة الجيش ، ونتيجة لهذا الاضطراب وقع المأمون تحت ضغوط شديدة ، وتعرضت السيادة العباسية لخطر محقق ، ولم يكن من الممكن أن يتخلص المأمون من هذه الضغوط إلا بإعادة التوازن إلى نصابه ، ومن ثم كانت النهاية الغامضة للفصل بن سهل ، وهى تلك النهاية التى سجلها المأمون والتى أملت لها ضرورة الحفاظ على سيادة الدولة والأسرة العباسية

وفى هذا الفصل تناولت بالبحث أيضاً طائفة من الوزراء الفرس من حيث درجة نفوذهم ، وصنفتهم إلى قسمين وزراء خطرين ، ووزراء مسالمين ، فبينت أن الوزراء الخطرين هم أولئك الذين انحرفوا بالمنصب إلى خدمة أغراض سياسية معارضة لأغراض الدولة العباسية ، وكانوا يديرون شئون الدولة وهم محكومون بأغراضهم الشخصية ، وميولهم العرقية أكثر من التزامهم بقضية الصالح العام للدولة العباسية وقد تنبه الخلفاء لهذا الخطر فحسموا الموقف ، وانتهت حياة كل من الوزراء الخطرين بالقتل أو السجن ، أما الوزراء المسالمون فقد أوضحت أنهم أولئك الذين كانوا فى مناصبهم موظفين أكثر منهم وزراء ، ورجال سياسة ، ولم يمثلوا خطرا يذكر على الدولة العباسية

• الفصل الرابع •

تحدثت في هذا الفصل عن دولة البرامكة ، ونفوذهم الواسع في خلافة الرشيد وبينت العوامل التي جعلتهم يستبدون بأمور الدولة العباسية ويسيطرون على شئونها ، والتي أدت إلى تركيز السلطة بأيديهم وكانوا في عداد الوزراء من الناحية الرسمية غير أن نفوذهم تخطى الحدود المتعارف عليها بالنسبة للوزراء السابقين أو التقليديين ، بل لا نجاوز الحقيقة إذا قلنا إن نفوذ بعضهم كان يفوق نفوذ الخليفة نفسه

وبينت أنهم مع هذا النفوذ كانوا من خلال أقاربهم وأتباعهم المتغلغلين في مختلف المناصب والمواقع يسيطرون سيطرة شبه كاملة على الدولة ، أي أنهم كانوا يشكلون دولة داخل الدولة العباسية

وقسمت في هذا الفصل الحياة السياسية لأسرة أو دولة البرامكة منذ اتصال رجالها الأوائل برجال الدعوة العباسية ، وحتى نكبتهم على يد الرشيد ، وهي حياة امتدت إلى أكثر من نصف قرن ، وفي نفس الوقت مرت بثلاث مراحل أساسية

والبرامكة أسرة فارسية كان جدهم خالد بن برمك أول من اتصل بالعباسيين ، وذلك في أثناء الدعوة العباسية ، وقد بينت الدور الذي قام به خالد في سبيل الدعوة العباسية ، والأعمال الهامة التي اضطلع بها في أثناء الدعوة وبعد قيام الدولة العباسية ، ومن الأعمال الهامة التي أسندت له وزارة المنصور وأيضاً عمل مستشاراً لهذا الخليفة ،
مكتبة المهتدين الإسلامية

ومركز كهذا بالغ الأهمية إذ أن خالد البرمكى من موقعه هذا كان يشترك في صنع القرارات ، وفي رسم السياسة التي كان يسير عليها المنصور ، واستمر يتدرج في أعلى المناصب حتى توفي سنة ١٦٣ هـ

وأوضحت الدور الخطير الذي قام به يحيى بن خالد البرمكى في سبيل وصول هارون الرشيد إلى الخلافة ، والابقاء عليه وليا للعهد على الرغم مما أراداه أخوه الهادي من صرف ولاية العهد عنه ، وبينت أن تاريخه قد ارتبط بتاريخ هارون الرشيد ، حيث كان يتولى الكتابة لهارون والنيابة عنه ووزارته قبل توليه الخلافة وتدخل البرامكة في منصب الخلافة باختيارهم للشخصيات التي تخدم تطلعاتهم السياسية أمر يؤكد قوة نفوذهم في الدولة العباسية ، ومدى خطورته الفادحة

وكان تثبت يحيى البرمكى بحق هارون في ولاية العهد أكثر من حرص هارون وهو صاحب الحق على استمراره في ولاية العهد ، ولاشك أن يحيى كانت تحكمه في هذا الموقف تطلعاته السياسية ، التطلعات التي قد تذروها الرياح إذا لم يصل هارون للخلافة ، لذلك قام يحيى بدور هام حتى تسلم هارون الخلافة مما دفع هارون إلى تفويض جميع أمور الدولة إليه يصرفها كيف شاء ، وقال له : (١) « يَأْبَت أَنْتَ أَجْلَسْتَنِي هَذَا الْمَجْلِسَ بِبِرْكَتِكَ وَبِعَمَلِكَ وَحَسَنَ تَدْبِيرِكَ ، وَقَدْ قُلِدْتُكَ أَمْرَ الرِّعْيَةِ وَأَخْرَجْتَهُ مِنْ عُنُقِي فَاحْكُمْ بِمَا تَرَى ، وَاسْتَعْمَلْ مَنْ شِئْتَ ، وَاسْتَعْمَلْ مَنْ رَأَيْتَ ، وَافْرَضْ مَنْ رَأَيْتَ ، وَاسْقُطْ مَنْ رَأَيْتَ أَنِي غَيْرُ نَازِلٍ مَعْلَكَ

(١) المurray تاريخ الرسل والملوك / ج : ١ ص ٥٠

فى شىء ٥ وهذا التفويض المطلق أطلق الرشيد يد يحيى فى تصريح وتدير جميع أمور الدولة وغدا كل شىء فى قبضة يحيى وليس للرشيد من الأمر شىء سوى الخلافة الاسمية ، وبذلك جنى يحيى ثمار جهوده فى وصول هارون إلى منصب الخلافة

أما الفضل بن يحيى البرمكى فقد أوضحت أنه تولى فى دولة الرشيد العديد من الأعمال الهامة والمهام الخطيرة منها : قيادة الجيش الذى بعثه الرشيد للقضاء على حركة الزعيم العلوى يحيى بن عبد الله ، وتولى ديوان الخراج كما تولى أمر المشرق من النهروان إلى بلاد الترك ، كما أنه قام بتربية الأمين بن الرشيد

وبالنسبة للابن الثانى ليحيى البرمكى جعفر فقد أبرزت نفوذه وسلطانه الواسع وحظوته عند الرشيد فكان المجلس الأول للرشيد والملازم له باستمرار ، ويقول الجهشيارى : (١) « وغلّب جعفر غلبة شديدة (على الرشيد) حتى صار لا يقدم عليه أحدا ، وأنس به كل الأنس ، وأنزله بالخلد بالقرب من قصره » وكان جعفر يدعى بالسلطان لقوة نفوذه

وقد ولاه الرشيد حرسه ثم أسند إليه ولاية المغرب من الأنبار إلى أفريقية ، وفى سنة ١٨٠ هـ أسند لجعفر ولاية خراسان وسجستان ، وكان المأمون بن الرشيد بحجر جعفر يقوم بتربيته وتأديبه وقد

(٢) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ١٨٩

عمل على مبايعته بولاية العهد بعد الأمين حتى تم له ذلك .

وقد بلغ من قوة نفوذ جعفر أن أشركه معه بالنظر في المظالم ،
وقلده مراقبة دور الضرب والطرز والبريد وقد تقلب في عدة مناصب
خطيرة أخرى كان من خلالها يسيطر على الأمور في الدولة ويسيرها
على ما يريد .

وبالإضافة إلى خالد ويحيى والفضل وجعفر كان آخرون من أسرة
البرامكة تولوا مراكز هامة في الدولة حيث كان محمد بن خالد
ابن برمك يتولى حجب الرشيد ، كما تولى محمد بن يحيى بن خالد
منصب متولى الزمام .

وبينت أن معظم الرجال البارزين في دولة الرشيد كانوا من صنائع
البرامكة ، وبذلك استطاع البرامكة - كما أسلفنا - السيطرة على
دولة الرشيد حتى إن سيطرتهم تجاوزت أمور الدولة إلى أمور الخليفة
الخاصة ، فهذا جعفر بن يحيى يوافق على طلب عبد الملك بن صالح
العباسي تزويج إحدى بنات الخليفة هارون الرشيد لابنه دون استشارة
الرشيد .

وبينت في هذا الفصل كيف بدأ الرشيد يغير رأيه في البرامكة ،
لما رأى خطرهم الدائم عليه وعلى دولته ، وأخذ يقلص نفوذهم تدريجياً
حتى نكبهم ، وناقشت الأسباب الحقيقية للنكبة وردت الأسباب
الخرافية التي ابتدعها بعض المؤرخين مثل قصة العباسية ، وأبرزت
أن النكبة لم تكن مفاجئة بل كان يخطط لها الرشيد منذ مدة تسبق

النكبة بتسع سنوات تقريبا ، وأوردت النصوص التي تؤيدنى فيما ذهبت إليه .

وفى نهاية الفصل عالجت الأسلوب الذى واجه به الرشيد البرامكة والكيفية التى تم بها القضاء عليهم .

* الفصل الخامس *

فى هذا الفصل تحدثت عن الاسرتين الفارسييتين آل سهل والطاهريين ، وناقشت الصراع بين الحزبين العربى والفارسى وانعكاسات ذلك على الوضع السياسى فى الدولة العباسية ، وقد برز هذا الصراع فى الخلاف الذى حصل بين الأخوين الأمين والمأمون ، الأمين تناصره العرب وفى مقدمتهم الفضل بن الربيع ، والمأمون تظاهره أخواله الفرس وعلى رأسهم الفضل بن سهل ، وقد عملت مقارنة بين البرامكة وآل سهل وكيف أنهم متماثلون فى الهدف الذى سعى كل من الأسرتين إليه ، وبينت الدور الكبير الذى قام به الفضل بن سهل فى سبيل وصول المأمون إلى سدة الخلافة ، وأن هذا الدور يماثل الدور الذى قام به يحيى بن خالد فى سبيل وصول هارون إلى الخلافة وهما ومن خلفهما جميعا يعملون لتحقيق مطامعهم السياسية التى يطمحون لها ، وسبق أن خطط اسلافهم لها منذ فجر الدولة العباسية .

وأوضحت فى هذا الفصل كيفية اتصال آل سهل برجال الدولة العباسية ، وأنهم من صنائع البرامكة ، وعن طريقهم قفز الفضل بن سهل إلى خدمة المأمون الذى ظل ملازما له قبل استخلافه ، وطلب
مكتبة المصنفين الإسلامية

يحيى بن خالد البرمكى تقريبه ، وهكذا نرى تعاطف الفرس مع بعضهم وحرص البرامكة على تركيز بنى قومهم فى الأعمال الهامة ، ويقول ابن طباطبا : (١) « ان أسرة آل سهل مختصر الدولة البرمكية » .

وقد بينت المراكز التى شغلها الفضل بن سهل قبل استخلاف المأمون وبعده وقد بلغ من نفوذ الفضل فى دولة المأمون أن خلع عليه المأمون - كما أسلفنا - لقب ذا الرياستين رياسة السيف ورياسة القلم فسيطر سيطرة شبه تامة على شئون الدولة واستبد بالأمر حتى أنه حجر على المأمون فى خراسان ، وحبس عنه الأخبار ، وفكك ببعض القادة العرب مثل هرثمة بن أعين .

وقد ناقشت تطلعات الفضل السياسية وكيف أنه بتدبيره أسند المأمون ولاية العهد إلى العلوى على بن موسى الرضا ، وخلع السواد ، ولبس ثياب الخضرة ، ولاشك أن الفضل كان يستهدف من وراء ذلك تقليص نفوذ العباسيين ومن ثم القضاء على الحكم العربى ، ويقول نعيم بن حازم فى رده على الفضل بن سهل فى هذا الصدد : (٢) « انك إنما تريد أن تزيل الملك عن بنى العباس إلى ولد على ثم تحتال عليهم فتصير الملك كسرويا » .

وكاد الفضل أن ينقل السلطة إلى الفرس ، ويعيد أمجادهم الغابرة ، ويحقق مطامعهم السياسية لولا أن المأمون تدارك الأمر بعد أن شعر

(١) ابن طباطبا / الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٧٩ .

(٢) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٣١٣ .

بالخطر فأخذ يخطط بسرية لعلاج الموقف والتخلص من وزيره الفضل ، ومن ثم قام برحلته التاريخية من مرو إلى بغداد ، وأوعز لبعض خدمه بالفتك بالفضل وقتل الفضل في الحمام بسرخص أثناء هذه الرحلة كما دبر المأمون قتل ولي عهده العلوى الذى فرضه الفضل عليه وهو على ابن موسى الرضا أثناء الرحلة أيضاً ، وبقتل الفضل تخلص المأمون من أخطر العناصر الفارسية ، وبدأ صفحة جديدة من تاريخه السياسى .

أما الحسن بن سهل فأوضحت ما كان عليه فى دولة المأمون ، وكيف أن المأمون تزوج ابنته بوران ، وبينت المراكز التى شغلها ، وكيف كانت نهايته .

وكما تشابهت أسرنا البرامكة وآل سهل بالهدف فإنهما اتفقتا أيضاً فى النهاية التى آلت إلیها كل من الأسرتين فقد انتهت أو سقطت أسرة البرامكة أو دولة البرامكة على يد هارون الرشيد الذى كانت خلافته من تدبيرهم ، والذين كانوا أقرب المقربين إلى الرشيد فى السنوات الأولى من خلافته ، وأيضاً سقطت أسرة آل سهل على يد الخليفة المأمون ، وكانت خلافته هو الآخر من تدبير آل سهل وثمره لكفاحهم .

وفى هذا الفصل تحدثت عن آل طاهر والكيفية التى اتصلوا بها فى الدولة العباسية ، وأنهم من صنائع البرامكة أيضاً ، وأوضحت الدور الذى قام به طاهر بن الحسين فى الحروب التى دارت رحاها بين الأميين والمأمون ، وأنه قتل الأميين دون إذن مسبق من أخيه المأمون مكتبة المهتدين الإسلامية

على الرغم من أن الأمين طلب منه بعثه إلى أخيه المأمون ، وناقشت موقف المأمون من هذه القضية الفظيعة ، وسقت النصوص المنقولة عنه ، ومنها يتضح عزم المأمون على الانتقام منه إلا أنه أجل ذلك ، وهذا أول حدث من نوعه في تاريخ الدولة العباسية ، فلأول مرة يقتل واحد من العسكريين الفرس الخليفة الشرعى ، ولعله أقدم على ذلك مدفوعا برغبة الانتقام من البيت العباسى الذى تتعلق فى رقاب رجاله الكثير من الدماء الفارسية ، أو لعل طاهرا بهذه القتلة كان ينفذ نبوءة يحيى البرمكى ، وهى النبوءة التى قالها حينما أخبر بأن الرشيد قد قتل ابنه جعفر ، فقال الزعيم البرمكى آنذاك : (١) «وهكذا يقتل ولده» .

وقد أدرك طاهر ما يبيتته المأمون له فحاول الابتعاد عنه ، وقد حصل على ولاية خراسان بتدبير ووساطة من وزير المأمون الفارسى أحمد بن أبى خالد ، وكان له ما يشبه الاستقلال بخراسان ، وقد انتهت حياته بصورة اختلفت الروايات فيها ، وأوضح كيف مارس المأمون أسلوبه فى المداينة ؛ وأنه أسند حكم خراسان إلى ابن طاهر بن الحسين طلحة أما ابن طاهر الثانى عبد الله فقد أوضح الدور الذى قام به فى قيادة بعض الجيوش والمكاسب التى حققها للمأمون ، وقد أكد توارث هذه الأسرة لحكم خراسان قيام ما يعرف فى التاريخ بالدولة الطاهرية ، وهكذا نجح الطاهريون فيما سبق أن أخفق فيه كل من أبى مسلم الخراسانى ، والبرامكة وآل سهل .

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك / ج ١ ص ٨٦ ، الجهشيارى / الوزراء والكتاب

* الفصل السادس *

تحدثت في هذا الفصل عن الحركات الفارسية ، واستعرضت بصورة موجزة - لأنه تكرر لما أوردته في فصول سابقة - الدور الكبير الذى قامت به العناصر الفارسية في قيام الدولة العباسية ونجاح دعوتها ، وعلى رأسهم أبو مسلم الخراساني رجل الدعوة الأول ، إلا أن هذه الدولة ووجهت بحركات فارسية معادية كات تعصف بها ، وكانت با كورة هذه الحركات حركة أبي مسلم الخراساني ①

وقد تناولت بالبحث هذه الحركة وكيف أنها كانت تستهدف إلى حد كبير النيل من الدولة العباسية والإطاحة بها ، وبينت أنه كان لزاما على الخليفة المنصور أن يثد هذه الحركة في مهدها وقد تم له ذلك ، وأن الخليفة المنصور كان يدرك خطر أبي مسلم الكبير ، وأنه يخطط لنسف الدولة قبل أن يتولى المنصور الخلافة وقد نصح أخاه السفاح بالقضاء عليه قائلا : (١) أطعنى واقتل أبا مسلم إن فى رأسه لغدره » إلا أنه أجل ذلك وتم الفتك به على يد الخليفة المنصور .

ثم تحدثت عن حركات كل من : سنباذ ② ، والراوندي ③ ، وأستاذسيس ④ ، والمقنع ⑤ ، وبابك الخرمي ⑥ ، والمأزيار ⑦ ، ووضحت دوافع هذه الحركات الفارسية المعادية وأهداف كل منها والنتيجة التى وصلت إليها .

كما تناولت بالبحث حركة الزنديقة ⑧ ، وأجريت مقارنة بينها

وبين الحركات الفارسية السابقة ، وكيف أن هذه الحركات استطاعت الظهور على مسرح الأحداث فترة زمنية محددة ، أما الزندقة فقد طال بها الأمد باعتبارها سابقة في الظهور على قيام الدولة العباسية ، كما أن الحركات السابقة حركات مسلحة أما حركة الزندقة فهي حركة فكرية لها أهدافها الدينية والسياسية والعنصرية .

وقد بينت الجهود التي بذلها الخلفاء العباسيون في محاربة هذه الحركات وأن حركة الزندقة استلزمت جهداً أكبر وزمناً أطول لما اكتنفها من غموض بينما اتسمت الحركات السابقة بوضوح الهدف السياسى والعسكرى منها .

* * *

وبعد هذه الفصول جئت بخاتمة احتوت على مجمل ما جاء في فصول البحث وقد أبرزت أهم النقاط التي ناقشتها والنتائج التي توصلت إليها من خلال دراستى وبحثى لموضوع الرسالة .

وأنا إذ أقدم هذا الجهد المتواضع أرجو أن أكون قد وفقت في إعدادة إعداداً علمياً يحقق الهدف وبنى بالغرض وأسأل الله العون والتوفيق .

على عبد الرحمن العمرو

الفصل الأول

الفرص والدولة الإسلامية

الإمبراطورية الفارسية

وقت ظهور الإسلام

تدل كلمة « فارس » على تلك الهضبة أو منطقة الاستبس في الأراضي الصلبة والمرتفعة والصحارى والجبال التي تمتد في الجنوب إلى ساحل بحر الهند ، وفي الغرب إلى الخليج العربي ودجلة والفرات ، وفي الشرق إلى السند ، وفي الشمال إلى بحر قزوين ونهر جيحون (١) وقاعدتها المدائن

وكانت القبائل العربية قبل الإسلام كثيراً ما يغريها الخصب والرخاء الذي ينعم به الفرس فيندفعون إلى شن الغارات الخاطفة على مدنها وقراهم وهي غارات مروعة طالما أفزعتهم وأقضت مضاجعهم حتى لجأوا إلى الاستعانة ببعض القبائل العربية لتكون سدا منيعا يحميهم من هذه الغارات فأقاموا دولة المناذرة في الحيرة .. على حدود الامبراطورية الفارسية (٢)

وعلى الرغم من ذلك لم ينقض النزاع ولم تنقطع الأطماع بل استمرت المناوشات ، ودارت معركتان كبيرتان بين العرب والفرس أولاهما تعرف بيوم الصفقة (٣) ، وثانيتهما المعركة الشهيرة معركة يوم ذي

(١) عبد المنعم ماجد . التاريخ السياسي للدولة العربية ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٠

(٢) الدينوري / الأخبار الطوال ص ٥٤ ، الطبري ج ٢ ص ٣٧ .

(٣) يسمى يوم الصفقة لأن كسرى . صفق الباب على تميم في حصن المستقر ، ويسمى أيضاً يوم المشقر وهو حصن بالبحرين بناه رجل من أساورة كسرى يسمى يسبك بن ماهبوذ انظر ابن الأثير الكامل ج ١ ص ٦٢١ ابن منظور / لسان العرب المحيط ج ٢٠ ص ٤٥٣

قار التي انتصر فيها العرب على العجم نصراً عظيماً - .. حتى إن الرسول صلى الله عليه وسلم سعد به وقال : « هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبني نصرنا (١) »

ومعركة يوم الصفقة حدثت بعد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وقبل هجرته للمدينة ويقول ابن الأثير (٢) : « كان يوم الصفقة وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة بعد لم يهاجر »

أما معركة ذى قار فيقول المسعودي عنها : « كانت وقعة ذى قار تمام أربعين سنة من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة بعد أن بعث ، وقبل أن يهاجر (٣) ، وفي رواية أخرى أنها كانت بعد وقعة بدر (٤) بأشهر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة » (٥) .

وبعد أن ظهر الإسلام في جزيرة العرب ، وأشرق نوره على جنباتها بدعوة رسول العالمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم (٦) لما تلقى الأمر الإلهي في الآيات الكريمة (٧) « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبِّكَ فَكْبَرُ ،

(١) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ١٤٦ ، وفي بعض المراجع ونصرت عليهم ب. . انظر المسعودي / مروج الذهب ج ١ ص ٣٠٧

(٢) ابن الأثير / الكامل ج ١ ص ٦٢١

(٣) المسعودي / مروج الذهب ج ١ ص ٣٠٧

(٤) مولد الرسول صلى الله عليه وسلم عام الفيل سنة ٥٧١ م .

(٥) وأنا أرجح أنها حدثت قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة - لأن الطبري ذكرها في الأحداث التي تسبق سنوات الهجرة انظر الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ١ ص ٢

ص ١٤٦

(٦) وقعة بدر هي السنة الثانية للهجرة انظر الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ٥٦٧ .

(٧) سورة المدثر الآيات السبع الأولى

وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر ،
أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الإسلام بعزيمة وصدق
وأمانة على الرغم من الصعوبات التي اعترضت طريقه ، وكادت تعرقل
مسيرته المباركة نظراً لتفشى الجهل وعبادة الأصنام في العصر الذي
خرجت فيه دعوته ولكنه نجح وقلب هذه الأوضاع الفاسدة في المجتمع
وهدم الأصنام وأعاد الناس إلى الصواب وقادهم إلى النور والصراط
المستقيم وحارب فيهم الوثنية والشرك والفساد والمنكر والخرافات ودعاهم
إلى عبادة إله واحد وقرر مبادئ العدالة والمساواة والحرية والإخاء

انضوت الأمة العربية تحت لواء الدعوة المحمدية بعد نضال
وحرب ضروس ، ودخلت في الإسلام واجتمعت تحت لواء واحد .

وبعد أن اطمأن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى سير الأمور داخل
الجزيرة العربية .. رأى أن يخرج بدعوته إلى ما وراء حدود الجزيرة
العربية وأن يبلغها الأمم والدول التي تجاوز أمة العرب ، وكانت أعظم
دولتين مجاورتين للعرب بل أقوى دول العصر آن ذاك دولتي الفرس
والروم ، وكانت الحرب سجالات بينهما مما أنهك الدولتين ، ومهد للعرب
القضاء على دولة الفرس - والاستيلاء على ممتلكاتها (١) ، وكذا الاستيلاء
على جزء كبير من ممتلكات دولة الروم (٢) ولم يكن السبب الذي مهد

(١) الدينوري / الأخبار الطوال ص ٦٨ - ٦٩ ، ص ٩٢ ، ١٠٦ المسعودي / مروج
الذهب ج ١ ص ٣٠٦ ، لسترنج / بلدان الخلافة الشرقية ص ١٤

(٢) استول المسلمون على أقسام متفرقة من أقاليم الروم الغنية لاسيما سواحلها المطلة على
جنوب البحر الأبيض المتوسط أما البقية فقد احتفظ بها الروم وظلوا يقاومون المسلمين
قرونا عديدة وقد عاشت مائتي سنة وثيفا بعد زوال الخلافة العباسية .

لفتح فارس هو فقط أن قواها كانت قد أنهكت في حروبها المستمرة ولكن أيضاً بسبب سوء حكم ملوكها .. فقد كان ملوك هذه الدولة الساسانية يستبدون بشعب فارس ، ويحكمونه بما كانوا يسمونه الحق الإلهي المقدس معتبرين أنفسهم ظل الله على الأرض (١) .. فكان الشعب ينظر إليهم بعين الكراهية ، وكانت المشاكل الداخلية تنخر في عظام الدولة وتكاد تهد كيائها ، وكانت عوامل الفساد والاضطراب قد استفحلت واشتد أثرها في أرجاء الامبراطورية الفارسية التي قادت جزءاً كبيراً من نواحي المشرق عسكريا واقتصاديا وفكريا على مدى قرون طويلة (٢) .

وكان البلاط الفارسي مضطرباً تنتشر في جوه دسائس الطامعين بالعرش ، وكان الملك يخشى أفراد أسرته .. لأن بعضهم اتخذ الغدر سلاحاً للوصول إلى الملك ، وقد ضعف الولاء للعرش في نفوس القادة وحكام المناطق والعظماء والنبلاء (٣) ، وكثرت مظاهر الشغب ، وتبلبلت عقائد الناس ، وانحلت العصبية القومية . أضيف إلى ذلك أنهم قد انحلت رابطتهم الدينية حيث كانوا موزعين بين الزرادشتية والمناوية والمزدكية وتعاقب على الامبراطورية الفارسية عدد من الملوك في وقت

(١) عبد المنعم ماجد / التاريخ السياسي للدولة العربية ج ١ ص ١٩٢ .

(٢) الدينوري / الأخبار الطوال ص ١١١ ، خطاب / قادة فتح فارس ص ٧٨ .

(٣) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ١٥٨ ، انظر المقرئ / مخطوط منتخب

التذكرة في التاريخ الورقات من ١٩ إلى ٢٥ .

وجيز مما مهد لزوال سلطانهم ، وساعد المسلمين في الاستيلاء على ملكهم
في النصف الأول من القرن السابع الميلادي والقضاء على الامبراطورية
الفارسية العظيمة ، وقد قتل آخر ملوك فارس يزدجر في السنة الحادية
والثلاثين - للهجرة (١) .

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٥ ص ٧١ - ٨٤ ، المقرئى مخطوطة منتخب
التذكرة فى التاريخ الورقات ١٩ - ٢٥ ، بنجيت / ظهور الإسلام وسيادة مائة ص ٨ .

الفتح الإسلامي لفارس

بين تلك الظروف المضطربة . ووسط هذه الظلمات التي كانت تخيم على أرجاء الامبراطورية الفارسية .. أشرق الإسلام في شبه الجزيرة العربية وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم رسولا إلى كسرى يدعوهُ إلى الإسلام ، كما أرسل رسلا إلى حكام الدول المجاورة الأخرى لنفس الغرض (١) ، وقبل الإقدام على هذه الخطوة جمع الرسول ﷺ أصحابه للتشاور معهم في هذا الأمر وقال لهم : « أيها الناس .. ان الله بعثني رحمة للناس كافة فادعوا عني يرحمكم الله ، فلاتختلفوا على كما اختلف الحواريون (٢) على عيسى ابن مريم .. فسأله أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟ » .. فقال : دعاهم لمثل مادعوتكم له ، فأما من قرَّب به فأحب وسلم ، وأما من بعد به فكره وأبى ، (٣) ثم أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه يرى أن الوقت قد حان لبعث رسل إلى زعماء الدول خارج الجزيرة العربية يدعونهم إلى الدخول في الإسلام ، واستشارهم في ذلك فأيدوا الفكرة فبعث الرسول رسله إلى الأمم والدول التي تجاور أمة العرب ، وذلك في السنة

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ج ٤ ص ١٨٨ ، ابن خلدون ج ٢ ص ٣٧ .

(٢) في رواية أخرى كاختلاف الحواريين .

(٣) ابن هشام السيرة النبوية ج ٤ ص ١٨٨ .

السادسة للهجرة لدعوتهم إلى الإسلام تحقيقاً لعالمية هذه الدعوة كما أمره الله عز وجل (١) .

وكان من بين الرسل عبد الله بن حذافه السهمي . أرسله الرسول إلى كسرى (٢) يحمل رسالة هذا نصها : « بسم الله الرحمن الرحيم .. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله فاني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، فأسلم تسلم فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك » (٣) .

ولما قرأ كسرى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يكتب إلى هذا ، وهو عبدى !! ، واستشاط غضباً وثار ، ورفض الدعوة ، ومزق الكتاب (٤) .. وكتب لعامله على اليمن باذان (٥) وأمره أن يبعث للرسول

-
- (١) الديار بكرى / تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٩ ، الطيب النجار / القول المبين في سيرة سيد المرسلين ص ٢٥٥ .
(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ج ٤ ص ١٨٨ ، مخطوطة نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب لمؤلف مجهول ورقة ٢٧٩ ، مولانا محمد علي / حياة محمد ورسالاته ص ١٩٧ .
(٣) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٣ ص ٩٠ .
(٤) ابن سيد الناس / عيون الأثر في فنون المغازي والشائيل والسير ج ٢ ص ٢٦٣ .
(٥) كانت اليمن آن ذاك خاضعة لسلطة الفرس وقصة خضوع اليمن للنفوذ الفارسي أوجزها فيما يلي :

قصد سيف بن ذئب، يزن إلى كسرى أنوشروان يستنصره على الأحباش الذين كانوا يحكون ببلاده اليمن بعد أن اشتدت وطأتهم على أهل اليمن وزاد صلفهم في حكمها ، وذلك في عهد مسروق ابن أبرهة الحبشي ، وامتنع كسرى عن نصرته في بادئ الأمر إلا أنه بعد مشاوره مع رجال دولته

صلى الله عليه وسلم رجلين . جلدلين يأتياه به (١) ، ولما بلغ رسول الله ما قاله كسرى وما صنعه بكتابه دعا عليه وقال : « مزق الله ملكه » (٢)

أما ما كان من أمر باذان فلما وصله كتابه أرسل رجلين للرسول وتناظرا معه ، وأثناء وجودهما تلقى الرسول عليه الصلاة والسلام وحيا من السماء يفيد أن شيرويه ابن كسرى تسلط على والده كسرى فقتله وتولى أمر فارس ، فأخبر رسول الله الرجلين بذلك ، وطلب منهما ابلاغ باذان الخبر ودعوته إلى الإسلام ، فعادا لليمن وبلغا باذان ما قاله لهما رسول الله فعجب كل العجب وقال : « والله ما هذا بكلام

وافق على أن يجند معه من في سجونه ليذهبوا لنصرته فإن أصابوا ظفراً فلكسرى مجده وفخره ، وإن هلكوا فقد استراح وأراح أهل مملكته منهم .

وكان مجموع هذا الجيش ثمانمائة شخص بقيادة أحد أساورة كسرى ويدعى وهرز ، وجهز لنقلهم ثمان سفن وصل منها ست إلى شواطئ اليمن وغرق اثنتان ، وجمع سيف بن ذى يزن ما استطاعه جمعه من قومه ، وانضموا إلى الجيش الفارسي والتقوا بجيش مسروق ، وانتهت المعركة بقتل مسروق وهزيمة جيشه وغم الفرس مغام كبيرة ، وانتهى ملك الأحباش في اليمن بعد أن دام ٧٢ سنة

ولما ملك وهرز اليمن أرسل إلى كسرى يبلغه بذلك ، فكتب اليه كسرى يأمره أن يملك سيف ابن ذى يزن على اليمن ، وفرض عليه كسرى جزية وخراجاً معلوماً يدفعه كل عام ، واستمر على ذلك خمسة عشر عاماً حتى وثب عليه خدمه من الأحباش وقتلوه وقام في الأمر أحد الأحباش وقتل وأفسد في اليمن ، فلما علم كسرى بذلك أرسل وهرز في أربعة آلاف فارس إلى اليمن ولما وصل اليمن وقضى على المتمردين وتسلم زمام الأمور ، كتب إلى كسرى يخبره بذلك فأقره على ملك اليمن وظلت اليمن تحت الحكم الفارسي حتى بعث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان آخر ولاية الفرس عليها باذان ، ومدة الحكم الفارسي في اليمن قرابة ٤٠ سنة منها ١٥ سنة في بدايتها كان يحكمها سيف بن ذى يزن إلا أنها تدفع الجزية والخراج للفرس أى أنها خاضعة لهم - كما مر بنا - انظر الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ١١٨ - ١٢١ ، المسعودى / مروج الذهب ج ٢ ص ٦٢

- ٦٣ ، ابن الأثير / الكامل ج ١ ص ٤٤٧ - ٤٥١

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٣ ص ٩٠

(٢) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة

مكتبة المهتدين الإسلامية

ملك ، واني لأرى الرجل نبيا كما يقول : لننظرون ما قد قال فلئن كان ما قاله حقا إنه لنبي مرسل ، وإن لم يكن فسرى فيه رأينا » ، فلم يلبث باذان أن وصله كتاب من شيرويه يبلغه بقتله لكسرى غضبا لفارس ويأمره بأخذ الطاعة له من قبله ، فصدق باذان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأعلن اسلامه (١)

ويروى صاحب مخطوطة نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب رواية عن تصرف كسرى واسلام باذان تخالف سياق الرواية السابقة .. إلا أنها تتفق معها في النتيجة ويقول : « لما وصل كتابه (كتاب الرسول) إلى كسرى غضب من ذلك غضبا شديدا ، فقال : « عبد من عبيدى بدأ بنفسه في كتابه إلى قبلى » .

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم إن كسرى كتب إلى باذان وكان عامله على اليمن « أما بعد إذا أتاك كتابي هذا فسر بخیلك ورجلك حتى تحل بمدينة يثرب فتحارب هذا الرجل الذى يزعم أنه رسول الله فإذا ظفرت به فابعث به لى أسيراً والسلام » (٢)

ويقول صاحب المخطوطة : « وبعث الكتاب مع رجل من نساكهم فى دينهم يسمى أبانويه ، وقال له : اجعل طريقك على مدينة يثرب ، وادخل على هذا الرجل الذى يزعم أنه رسول الله فأدعه إلى السير معك

(١) المصدر السابق ص ٩٠ - ٩١

(٢) مخطوطة نهاية الأرب فى أخبار الفرس والعرب ورقة ٢٧٩

لأَسْأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ وَأَعْرِفَ كُنْهَ شَأْنِهِ ، فَإِنْ أَقْبَلَ مَعَكَ فَدَعْ الْمُضَى إِلَى بَاذَانَ
بِكُتَابِي لِيَسِيرَ إِلَيْهِ فِيحَارِبِهِ ، فَسَارَ رَسُولُ كَسْرَى حَتَّى وَافَى الْمَدِينَةَ
وَدَخَلَ عَلَى الرَّسُولِ فَأَخْبَرَهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ كَسْرَى ، فَقَالَ لَهُ : أَقِمْ فَأَمَرَ
بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَهُ وَقَالَ لَهُ : أَقِمِ اللَّيْلَةَ إِلَى غَدٍ لَأَخْبِرَكَ
بِذَاتِ نَفْسِي ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الرَّسُولُ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ فَقَالَ : مَا عِنْدَكَ
فِيمَا بَعَثْتَ بِهِ إِلَيْكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : إِنْ رَبِّي أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ سَلَطَ عَلَى كَسْرَى
ابْنَهُ شَيْرَوِيَةَ عَشِيَةَ أَمْسٍ ، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ أَيُّهَا الرَّجُلُ لَانْدُرِي مَا تَقُولُهُ :
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا قُلْتَ إِلَّا الْحَقَّ فَخَرَجَ رَسُولُ
كَسْرَى وَسَارَ نَحْوَ أَرْضِ الْيَمَنِ حَتَّى وَافَاهَا وَأَوْصَلَ كِتَابَ كَسْرَى إِلَى
بَاذَانَ ثُمَّ أَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ مَقْتَلِ كَسْرَى ، فَقَالَ لَهُ بَاذَانَ :
« أَقِمْ عِنْدَنَا مَقْدَارَ مَا نَعْلَمُ تَصْدِيقَ هَذَا الْخَبَرِ مِنْ بَاطِلِهِ فَإِنْ كَانَ

حَقًّا فَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ نَبِيٌّ مَرْسَلٌ ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا سَرَتْ إِلَيْهِ فَحَارِبْتَهُ
فَقَامَ الرَّسُولُ عِنْدَهُ فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ مِنْ شَيْرَوِيَةَ
ابْنِ كَسْرَى إِلَى بَاذَانَ ابْنِ خُرَهِ وَنَصَهُ : بِاسْمِ اللَّهِ وَلى الرَّحْمَةِ مِنَ الْمَلِكِ
شَيْرَوِيَةَ بْنِ كَسْرَى إِلَى بَاذَانَ بْنِ خُرَهِ ، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ الْمَلِكَ كَسْرَى
هَلَكَ ، وَقَدْ أَفْضَى الْمَلِكُ إِلَى وَأَنْتَ مَقَارٌ فِي عَمَلِكَ ، وَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ
أَبُونَا كَتَبَ إِلَيْكَ مَعَ أَبِي نُوَيْهِ بِأَمْرِ بِالسَّيْرِ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ إِلَى هَذَا
الرَّجُلِ الَّذِي بَتَهَامَةٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فَدَعْ مَا أَمَرَكَ بِهِ أَبُونَا مِنْ ذَلِكَ
وَلِيَاكَ أَنْ تَهَيِّجَ ذَلِكَ الرَّجُلَ أَوْ تَتَعَرَّضَ لَهُ إِلَّا بِخَيْرٍ وَالسَّلَامُ » (١) ،

ويظهر من كتاب شيرويه إن صح ماورد فيه تخوفه من غضب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ثم غزو المسلمين لبلاده لأن الامبراطورية الفارسية آنذاك كانت تعيش حالة تفكك وتدهور

فلما وصل كتاب شيرويه إلى باذان بذلك سأل الرسول الذي قدم بالكتاب إليه عن اليوم الذي قتل فيه كسرى فأخبره ، فكان ذلك اليوم هو الذي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أبانويه بهلاك كسرى فوقع الإسلام من قلب باذان ومن كان معه في أرض اليمن من جنود فارس فأسلموا إلا القليل منهم (١)

في عهد أبي بكر :

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ومبايعة أبي بكر بالخلافة وتسلمه مقاليد الأمور واستقرار الأحوال عقب قضائه على فتنة المرتدين ، كتب له المثنى بن حارثة الشيباني من العراق يخبره أنه وسويد بن قطنه العجلي جمعا بعض الرجال والسلاح وأخذوا يغيران على أطراف الولايات الفارسية في العراق العجمي ، وكان ذلك ابتداء من خلافة أبي بكر ، ووصف له وهن ملك الفرس وضعف دولتهم وطلب منه أن يمدّه بجيش من المسلمين ليواصل الجهاد ويفتح الله على يده أرض العجم

فلما وصل كتابه إلى أبي بكر كتب إلى خالد بن الوليد باليامة

بنجد وكان قد فرغ من حرب أهل الردة ، وقضى على فتنة المرتدين ، وأمره أن يسير في أهل القوة من أصحابه إلى العراق ، وكان خالد أصلب قواده عودا ، وأقواهم شكيمة وأعظمهم عزيمة ومضاء ، ولما وصل إليه الكتاب سار في أهل القوة من أصحابه من أهل اليمامة حتى قدم على المثنى وانضم إليه بمن معه من القوات (١)

وكان عدد رجال المثنى ثمانية آلاف رجل ، وكان المثنى قبل قدوم خالد يقاتل مع قومه الفرس (٢) ، كما أسلفنا ، وقد بدأ الصراع بين المسلمين والفرس على يد هذا القائد العربي ، وكان وقومه بنوشيبان طلائع الفتح العربي الإسلامي في العراق .

وبعد وصول خالد ومن معه واتحاد المسلمين تحت قيادته تقابل الجيش الإسلامي مع الجيش الفارسي في كاظمة في السنة الثانية عشرة للهجرة (٣) وكان الجيش الفارسي بقيادة رجل من أبرز قادة الفرس يدعى هرمز ، وكان سيء المعاملة للعرب ، ولما تقابل الجيشان طلب خالد المبارزة فتقدم إليه هرمز فتبارز القائدان ، وقتل خالد هرمز فانهزم الفرس (٤) واستمرت المناوشات والحروب دائرة بين الطرفين في أماكن متعددة ، وكانت كفة المسلمين هي الراجحة على الرغم من

(١) الدينوري / الأخبار الطوال ص ١١١ - ١١٢ ، مخطوطة نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب ورقة ٢٩٣ .

(٢) الدينوري / الأخبار الطوال ص ١١١ .

(٣) ابن الأثير / الكامل ج ٢ ص ٣٨٦ .

(٤) ابن خلدون ج ٢ ص ٧٩ .

التعزيزات التي كان يدعم بها شيرويه جيشه بين الحين والآخر ، ولما رأى دهاقين البلاد ماتم لخالد من الظفر أتوه فصالحوه مابين الفلاليج إلى هرمزد على مليون درهم (١) .

وفيا يبدو أن الصلح بين الفريقين قد انتقض فاستأنف خالد جهاده واستمر يناضل ويفتح البلدان واحدة تلو الأخرى حتى جاءه أمر الخليفة بالمسير إلى الشام ليتولى قيادة جيش المسلمين هناك لكسر شوكة الروم ، وأن يخلف المثنى بن حارثة في العراق (٢) وكان أبو عبيدة عامر بن الجراح قائد الجيش الإسلامي في الشام فرأى تكاثر جيش الروم وقوتهم فطلب من الخليفة أبي بكر المدد فأمدّه بخالد بن الوليد وذلك بعد أربعة عشر شهرا قضاهما خالد في العراق (٣) .

سار خالد إلى الشام مع أهل القوة ممن كانوا معه وذلك في شهر ربيع الأول سنة ١٣ هـ وخلف المثنى بن حارثة في بقية الجيش في العراق (٤) ، وعاد المثنى من جديد إلى مكان القيادة ، وخاض مع الفرس معركة بابل الشهيرة التي انتهت بانتصار المسلمين (٥) وذلك سنة ١٣ هـ .

* * *

(١) المصدر السابق ص ٨٠ .

(٢) الدينوري/ الأخبار الطوال ص ١٢٢ ، مخطوطة نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب ورقة ٢٩٤ .

(٣) الطبري تاريخ الرسل والملوك / ج ٤ ص ٤٤ ، مخطوطة نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب ورقة ٢٩٤ .

(٤) اليعقوبي / ج ٢ ص ١٣٣ .

(٥) الطبري تاريخ الرسل والملوك / ج ٤ ص ٤٢ - ٤٣ .

في عهد عمر :

توفي أبو بكر في الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ وتولى الخلافة بعده عمر بن الخطاب ، وبعد أن تولى الخليفة عمر مهام الخلافة وبالتحديد في اليوم الرابع من مبايعته بالخلافة بعث أبا عبيد بن مسعود الثقفي في جيش إلى العراق انضموا إلى المثنى وجيشه ، وتولى أبو عبيد قيادة الجيش (١) .

وفي هذه الأثناء توفي كسرى فارس شيرويه ، وقامت ابنته بوران بالملك ، وصيرت رستم والفيروزان القيمين بأمر الملك ، وكانا ضعيفين مهينين ، فتقدم أبو عبيد الثقفي فلقى مسلحة من مسالح الفرس فأوقع بهم ، واقتتلوا قتالا شديدا انتهى بانتصار المسلمين (٢) ، ولما وصل الخبر إلى رستم بعث إليهم برجل يقال له جالينوس على رأس جيش فهزمه الجيش الإسلامي ، وافتتح أبو عبيد باروسا فوجه إليهم رستم ذا الحاجب مردانشاه ، ومعه أربعة آلاف مدجج ومعه فيل (٣) ، وأمر أبو عبيد فعقد الجسر ، وكان المثنى وبعض القادة قد أشاروا على أبي عبيد بعدم عقد الجسر والعبور ناحية العدو للخطر الذي يهدد

(١) البلاذري / فتوح البلدان ص ٢٥١ ، ابن الجوزي / تاريخ عمر بن الخطاب ص ٩١ ، مخطوطة نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب ورقة ٢٩٤ .

(٢) اليعقوبي / ج ٢ ص ١٤٢ .

(٣) البلاذري / فتوح البلدان ص ٢٥٢ ، وقيل أنه كان معه أكثر من فيل انظر البلاذري

المسلمين من ذلك . . إلا أنه أبي أن يعدل عن رأيه وعقد الجسر (١) ،
وعبر المسلمون ولقوا ذا الحجاب فدارت معركة طاحنة بين المسلمين ،
وأعدائهم ونفرت خيل المسلمين من الفيل فشد عليه قائد الجيش
أبو عبيد الثقفى بالسيف فقطع مشفره . . إلا أن الفيل قتله (٢)
وقام بالجيش بعد أبي عبيد أخوه الحكم فقتل ثم ابنه الجبر فقتل ،
ثم تولى القيادة المثنى بن حارثة وانصرف بالناس ونادى المثنى بالمسلمين
أن اعبروا الجسر عائدين قبل أن يحال بينكم وبين الجسر فتقتلون
جميعاً فعبروا ، والمثنى على حاميتهم وحملت العجم على رجاله وكاد
أن يحال بين المسلمين وعبور الجسر لولا قتال المثنى وأصحابه المستميت ،
وكذا عروة بن زيد الخيل وفرقته مما مكن المسلمين من العبور عائدين
ومن ثم عبر المثنى وأصحابه ، وقطعوا الجسر (٤) . . وذلك يوم السبت
آخر رمضان سنة ١٣ هـ .

ولما علم الخليفة بهزيمة المسلمين فى الجسر اشتد غمه ، وكان المثنى
ابن حارثة قد كتب له كتاباً أرسله مع زيد الخيل يخبره بما حصل
للمسلمين فى موقعة الجسر ، واستشهاد قائد الجيش أبي عبيد بن مسعود
وغیره من القادة والمقاتلين ، ويطلب منه المدد ، فكتب عمر كتاباً

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٤ ص ٦٨ - ٦٩ ، مخطوطة نهاية الأرب فى أخبار
الفرس والعرب ورقة ٢٩٥

(٢) اليعقوبى ج ٢ ص ١٤٢

(٣) البلاذرى / فتوح البلدان ص ٢٥٢ ، الطبرى ج ٢ ص ٦٩ .

(٤) الطبرى تاريخ الرسل والملوك / ج ٤ ص ٦٩ ، مخطوطة نهاية الأرب فى أخبار

الفرس والعرب ورقة ٢٩٥

يطلب من المشي وجيشه أن يبقوا في مكانهم والمدد وارد إليهم (١).

وكان نص الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين . إلى المشي بن حارثة ومن معه من المسلمين سلام عليكم أما بعد فقد أتاني رسولكم بكتابكم بما أصيب من المسلمين ، فلا يحزننكم ذلك ، فإن الله تبارك وتعالى كتب القتل على قوم والموت على آخرين ، وطوبى لمن قتل في سبيل الله صابراً محتسباً ، وقد أخبرني عروة عنك يا أخا بني شيبان بما سرنى من قيامك ونصيحتك وما خلص الله بك فجريت خير الجزاء ، الزموا مكانكم ولا تعجلوا إلى القتال إلى أن تروا فرصة حتى يأتاكم المدد ، وكأنكم بهم وقد أتوكم على الصعب والذلول إن شاء الله والسلام » (٢)

جهز الخليفة قوة وجيشاً كبيراً أمد بهما الجيش الإسلامي في العراق (٣) وكان لهم مواقف بطولية في معارك دارت مع الفرس كان النصر فيها لصالح المسلمين ، فزاد قلق الفرس للهزائم المتلاحقة التي منيت بها قوات فارس ، فاجتمع الفرس على قتل القيمين بأمر الملك (رستم ، والفيرزان) ، ونفذوا ذلك وولوا ابن كسرى يزدجر الملك وهو ابن عشرين سنة ، وذلك سنة ١٣ هـ فضبط أمورهم على الرغم من

(١) الطبري تاريخ الرسل والملوك / ج ٤ ص ٩٩ ، المخطوطة السابقة ورقة ٢٩٦

(٢) المخطوطة السابقة ورقة ٢٩٧

(٣) الطبري تاريخ الرسل والملوك / ج ٤ ص ٧٠

حادثة سنة واشتدت الامبراطورية ، وقوى أمر الفرس ، وتوحدت كلمتهم ، وأخرجوا المسلمين من المروج (١)

وأمام اتحاد الفرس وقوتهم ، وثورة السواد . كتب المنى ابن حارثة للخليفة عمر بن الخطاب يخبره بتجمع الفرس ، واتحاد كلمتهم وخشد قوتهم ويطلب منه المدد ، فبعث سعيد بن أبي وقاص إلى العراق على رأس قوة عددها ثمانية آلاف جندي ، وقيل ستة آلاف (٢) لدعم موقف المسلمين وشد أزهرهم ليواجهوا عدوهم

تمت تولية سعد القيادة بعد مشورة عمر لأهل الرأي من المسلمين وعند وداعه أوصاه الوصية التالية : « يأسد بن وهيب لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ، وصاحب رسول الله . فإن الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته فالناس شريفهم ، ووضعهم في ذات الله سواء ؛ الله ربههم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منذ بعث إلى أن فارقنا فالزمه فإنه الأمر » (٣) .

فسار سعد مع جيشه حتى وصل القادسية ، وفتح بعض الكور ،

(١) المصدر السابق ج ٤ ص ٨١ - ٨٢ ، يعقوب ج ٢ ص ١٤٣

(٢) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٤ ص ٧٨

(٣) المصدر السابق ج ٤ ص ٨٤ - ٨٥ ، دحلان / الفتوحات الإسلامية ص ١٨٣.أ.ين

سعيد / تاريخ الإسلام السياسى ص ٢٩٣

واختط البصرة وبني مسجدها بالقصب أما المثني بن حارثة فقد توفي قبل نزول رستم القادسية متأثراً بجراحه في معركة الجسر (١).

بعد أن استقر سعد بالقادسية بعث النعمان بن مقرن وجماعة معه إلى كسرى يدعونه إلى الإسلام ، ولم يجب كسرى الدعوة ، فدارت بين المسلمين والفرس معركة القادسية الشهيرة سنة ١٤ هـ (٢) . وكان يقود جيش المسلمين سعد بن أبي وقاص . أما الفرس فكانوا بقيادة رستم ابن حاكم خراسان ، وكان عدد جيشهم مائة وعشرين ألف مقاتل (٣) . أما عدد الجيش الإسلامي فكان يتراوح ما بين عشرة وتسعة آلاف مقاتل (٤) ، وبلغ بعد وصول امداداته من الجزيرة العربية والشام والجهات الأخرى أربعة وثلاثين ألف مقاتل أى بنسبة تقل عن ثلث جيش الفرس . .

ولكن القائد الشجاع وجنده المؤمنين الصادقين لم تخفهم تلك الحشود الضخمة التي أعدها الفرس للقائهم . . بل اندفعوا إلى الجهاد بقوة الإيمان وصدق العزيمة والإخلاص فكانت معركة القادسية وهي المعركة الخالدة التي استمرت أربعة أيام وانتهت بانتصار المسلمين

(١) البلاذري / فتوح البلدان ص ٢٥٦ ، الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٤ ص ١٤٨ ،

١٥٠ .

(٢) الطبري تاريخ الرسل والملوك / ج ٤ ص ١٣٢ - ١٣٦ ، ابن الأثير / الكامل ج ٢ ص ٤٥٠ وما بعدها ، وينفرد البلاذري برواية تفيد أن معركة القادسية وقعت في آخر السنة السادسة عشرة للهجرة انظر فتوح البلدان ص ٢٥٧ .

(٣) دونالدولبر / إيران ماضيها وحاضرها ص ٤٩ .

(٤) البلاذري / فتوح البلدان ص ٢٥٦ .

نصرا مؤزرا ، وقد قتل قائد الفرس رسم (١) . وكان قتله مما زاد في
وهنهم وضعفهم ففروا هاربين إلى المدائن . . وكانت هذه المعركة
من أهم المعارك ومبعث أهميتها أن الفرس كانوا قد قرروا غزو بلاد
العرب إذا كتب لهم النصر .

وتتبع المسلمون الفرس المنهزمين وحاصروهم في المدائن شهرا
 وخمسة عشر يوما ، وخرج الفرس هاربين وفتحت المدائن . . وذلك
سنة ١٦ هـ (٢) ، وأقام سعد بن أبي وقاص في قصر الأكاسرة وجعل
الإيوان مصلى ينادى فيه باسم الله ، وتقام فيه الصلاة .

ثم جمع يزيدجر جموعا عظيمة ووجهها إلى المسلمين واستقر بجلولاء ،
فسرح سعد هاشم بن عتبة إليهم في اثني عشر ألف مقاتل . ووجدوا
الأعاجم قد تحصنوا وخندقوا ، فاقتتلوا قتالا شديدا وهزم الأعاجم
وولوا هاربين ، وأصاب المسلمون يوم جلولاء غنائم لم يغنموا مثلها
وسبوا سبيا كثيرا (٣) .

وبعد فراغ سعد من جلولاء جهز قوة ترابط بجلولاء تكون مانعا
بين المسلمين وأعدائهم ، ثم وجه للقوة الرابطة بجلولاء زهاء ثلاثة
آلاف مقاتل ، وكلف بقيادة القوتين معا جرير بن عبد الله البجلي ،
وأمره أن ينهض إلى حلوان ، ولما قرب المسلمين منها هرب يزيدجر

(١) ابن الوردي / تمة المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ٢٢١ .

(٢) اليعقوبي ج ٢ ص ١٤٥ .

(٣) الدينوري / الأخبار الطوال ص ١٢٩ ، دحلان / الفتوحات الإسلامية ص ٩٠ - ٩١

إلى ناحية أصبهان . . ففتح جرير حلوان صلحا (١) . . ومن ثم فتح قرماسين صلحا أيضاً .

ونتيجة للانتصارات التي حققها المسلمون. كاتب الفرس ملكهم يزدجرد وحركوه فكاتب الملوك بين الباب والسند وخراسان ، وحلوان . فتحركوا وتكاتبوا واجتمعوا بنهاوند على أميرهم الفيرزان في مائة وخمسين ألف مقاتل (٢) وكتب سعد بن أبي وقاص إلى الخليفة عمر بالحثد الفارسي ، فاستشار الخليفة أصحابه في الأمر واستقر الرأي على بعث المدد ، وتولية النعمان بن مقرن المزني القيادة فكتب إليه الخليفة عمر بن الخطاب أن يسير إلى ماه . . لتجتمع الجيوش عليه (٣) فإذا اجتمعوا سار بهم إلى الفيرزان فاجتمع الناس على النعمان ، ومنهم حذيفة بن اليمان ، وابن عمر ، وجرير بن عبد الله البجلي ، والمغيرة ابن شعبة ، وغيرهم ، وبلغ عدد الجيش الإسلامي ثلاثين ألف مقاتل ، وأرسل النعمان العيون تستقصي وتستطلع له أخبار الأعداء ، وعبأ أصحابه ورحل بهم وانتهوا إلى أسبيذان والفرس وقوف على تعبثهم وتحت امرة الفيرزان ، وبعد حط الأثقال وتنظيم الصفوف نشب القتال بين الطرفين ودارت رحى المعركة عدة أيام وكانت من أشرس المعارك جالدا فيها المسلمون بصبر وثبات ، وغايتهم النصر أو الشهادة . . فانهمز الأعاجم على الرغم من تفوقهم العددي وفي هذه المعركة استشهد

(١) البلاذري / فتوح البلدان ص ٢٩٩ .

(٢) ابن الأثير / الكامل ج ٣ ص ٧ ، أبو الفداء / المختصر في أخبار البشر ج ١

ص ١٦٢ .

(٣) ابن الأثير / الكامل ج ٣ ص ٩ .

قائد المسلمين النعمان بن مقرن (١) ، ودخل المسلمون نهاوند ، وهرب
يزدجرد منها وذلك سنة ٢١ هـ (٢) . وسميت هذه المعركة فتح الفتوح
نظراً لأهميتها ، ولأنها فتحت للمسلمين أبواب فارس .

وبعد فتح نهاوند . . اتجه المسلمون إلى بقية الأقاليم التي كانت
تشكل الامبراطورية الفارسية ففتحوا الدينور وأصبهان ، وأذربيجان ،
والري ، وهمدان ، والماهين ، وقومس وجرجان ، وغيرها (٣) .

وفي سنة ٢٢ هـ . . غزا الأحنف بن قيس . خراسان . . وسبب
ذلك . . أن يزيدجر كسرى فارس قصد خراسان بعد أن استولى المسلمون
على حاضرة ملكه (المدائن) ، ونزل مرو وبني للنار بيتا فيها ، واطمأن
ودان له من بقي من الأعاجم (٤) ، وكاتب الهرمزان ، وأثار أهل فارس
فنكثوا ، ودخل الأحنف من الطبسين وافتتح هراة عنوة ثم سار نحو
مرو الشاهجان . . فلما دنا منها الأحنف خرج منها يزيدجر إلى مروالروذ
وكتب إلى خاقان الترك ، وملك الصغد ، وملك الصين يستمدهم ،
وخرج الأحنف مع امداداته التي وصلته من الكوفة إلى مرو الروذ ،
فلما علم يزيدجر خرج منها إلى بلخ ونزل الأحنف مرو الروذ ثم فتح
المسلمون بلخ ، وانهمز يزيدجر ، وعبر النهر (٥)

-
- (١) المصدر السابق ص ١٣ .
(٢) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٣ ص ١٥ ، أبو الفداء/المختصر ج ١ ص ١٦٢ .
(٣) أحمد سليمان / تاريخ الدولة الإسلامية ص ٥ .
(٤) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٤ ص ٢٤٧ - ٢٥٥ ، .
(٤) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٦٣ ، ابن الأثير / الكامل ج ٣ ص ٣٣ .
(٥) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٤ ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

واستشار الأحنف أمير المؤمنين عمر بالاستمرار في الفتح وعبور
النهر فرفض عمر (١) . أما يزيدجرد كسرى فارس الشريد فقد وصلته
امدادات خاقان الترك في أهل فرغانه ، والصغد ورجع مع خاقان إلى
خراسان فنزلا بلخ ، وكان الأحنف مرابطا في مرو الروذ ولكن
خاقان الترك عاد وقومه ، ولم يدخلوا في قتال تشاءما مما حصل لفرسانه
الثلاثة الذين قتلهم الأحنف بن قيس في المبارزة ، وأراد يزيدجرد
الفرار واللاحق بخاقان وقد أشار عليه قومه بمصالحة المسلمين فرفض
فاعتزلوه ، وفر إلى خاقان ، وأقام بفرغانة عاصمة الترك زمن خلافة
عمر أما أهل خراسان فصالحوا الأحنف بعد رحيل يزيدجرد ودفعوا اليه
ما بخزائن يزيدجرد من الأموال (٢)

ثم فتح المسلمون توج ، واصطخر ، وجور ، وفسا ، ودارابجرد ،
وكرمان ، وسجستان ، ومكران وجميع بلدان الامبراطورية الفارسية (٣) .
في عهد عثمان :

توفي الخليفة عمر بن الخطاب في السادس والعشرين من شهر
ذي الحجة سنة ٢٣ هـ . وتولى الخلافة بعده عثمان بن عفان (٤)
وفي عهد الخليفة عثمان عاد أمل العودة إلى فارس يداعب خيال

(١) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٦٤

(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٦٥ - ٢٦٦ ، ابن الأثير الكامل ج ٣ ص ٣٦ .

(٣) ابن سعد / الطبقات الكبرى - ٣ ص ٢٨٢ الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٥

ص ٢ - ٧ ، ص ٨١ - ٨٤

(٤) الدينوري / الأخبار الطوال ص ١٣٩

يزدجر الذى كان - كما أسلفنا - يعيش فى أرض الترك منذ فراره الأخير . وظل يكاتب أهل فارس فى الخفاء ويثير مشاعرهم ويدعوهم إلى الثورة على العرب (١) وقد وجدت دعوته هوى فى نفوس أهل خراسان فثاروا على الحكم الإسلامى ، واغتنم يزدجر الفرصة وقدم من بلاد الترك ونزل مرو . واجتمع بالأهالى ، ونظم صفوفهم وأعدهم لقتال العرب على بهم يستعيد ملك آبائه وأجداده إلا أن المسلمين ببسالتهم المعهودة ، وعزائمهم الصادقة استطاعوا أن يخذلوا الثورة ، وأن تبقى مقاليد الأمور بأيديهم ، وأن تبقى أرض فارس كلها تحت سلطتهم وأسقط فى يد كسرى . وحاول الهرب لمنفاه ثانية . إلا أنه لم يتمكن . . . حيث أن المسلمين بثوا العيون للبحث عنه وترقب أخباره فى كل مكان فسدت فى وجهه المنافذ ، وتعذر عليه الخروج فاختبأ فى طاحونة بمرو وهناك لقي مصرعه وذلك فى السنة السابعة من خلافة عثمان بن عفان (٢) أى فى سنة ٣١ هـ

وبقتل الزعيم الفارسى يزدجرد زالت دولة الساسانيين تلك الامبراطورية الشاسعة التى ناهضت رومه وبيزنطة أربعة قرون (٣) والتى كانت تتكون من المناطق التالية :

(١) محمد فرج / الفتح العربى للعراق وفارس ص ٢٥٧

(٢) الطبرى تاريخ الرسل والملوك - ٥ ص ٥٧١ شعوط / عصر الفتوحات الإسلامية ص

١٤٧ ويقول ابن طباطبا أن مقتل يزدجرد سنة ٣٢ أنظر الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٨٢ .

(٣) سيرتوماس / الدعوة إلى الإسلام ص ٢٣٥

خراسان ، وسجستان ، وكرمان ، وأصبهان ، وقمّ ، والجبل ،
وأذربيجان ، وأرمينية ، وفارس ، والأهواز ، والعراق (١) .

ورأى أهل فارس أن من الحكمة أن يسالموا الحكم الإسلامي وأن
يخضعوا له . . ودخل معظمهم في الإسلام لما رأوا سماحته وعدله ومساواته ،
ورغبة في التخلص من الالتزام المالى كدفع الجزية والخراج ، وان
بقيت في مخيلة الكثير منهم المعتقدات الفارسية ، ولم يتورع بعضهم
عن المجاهرة بها فيما بعد . . وكان قسم منهم يكن عداً دفيناً للمسلمين
الذين سلبوا منهم ملكهم ، وقضوا على سلطانهم ، وما المؤامرة التي دبرت
لقتل الفاروق عمر بن الخطاب . . والتي تولى تنفيذها الفارسي
أبو لؤلؤه المجوسى غلام المغيرة بن شعبة الذى أسر في معركة نهاوند
إلا تعبير عن حقد الفرس وغضبهم ونقمتهم على المسلمين . . كما
ويقال أن الهرمزان القائد الفارسي الذى قدم على الخليفة عمر أسيراً
فأكرمه عمر . . وأعلن اسلامه شريك في هذه المؤامرة (٢) .

ومهما يكن من شئ فقد ظل الفرس يتحرقون أسى وحسرة
على مجدهم الزاهب وملكهم الغارب ، وباتوا ينتظرون المنقذ الذى
ينتصف لهم من المسلمين . . ويعيد اليهم سلطانهم التليد ونفوذهم
القديم . . . !

(١) الدينورى / الأخبار الطوال ص ٦٧ .

(٢) ابن الوردى / المختصر فى أخبار البشر ج ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ويقول محمد عبدالغنى

حسن : « وقد شوهد الهرمزان عشية مقتل عمر ومعه القاتل أبو لؤلؤه ، وثالث وهم نجى يتشاورون ؛
وهذا الاجتماع السرى ليلة الحادث القطيع يؤيد رأى المتهمين للهرمزان الفارسي بالتحريض على
قتل الخليفة الثانى والمشاركة فيه » . انظر صراع العرب خلال العصور ص ١٦ .

مكانة الفرس في الدولة الأموية

لما قامت الدولة الأموية قرب الأمويون العرب . . ولم يساواوا
الفرس وغيرهم من الموالى بهم في الحقوق والمعاملة مخالفين بذلك
نظرية الإسلام ، وما يدعو إليه من التسوية المطلقة بين العرب ،
وغيرهم من المسلمين (١) . . على الرغم من أن بعض الخلفاء استعانوا ،
وانتفعوا بخبرات الموالى . . ومن بينهم معاوية بن أبي سفيان الذي
نقل عددا من الموالى سنة ٤٢ هـ إلى المدن الساحلية بالشام للانتفاع
بخبراتهم والاستفادة منهم (٢) .

واتخذ زياد بن أبيه من فصحاء الموالى كتابا ، وكان يقول : يجب
أن يكون كتاب الخراج من رؤساء الأعاجم العالمين بأمور الخراج ، (٣)
وحذا ابنه عبيد الله حذوه في تقريب الموالى فاتخذ منهم جيشا عرف
بالمحاربة (٤) وقد عين أبو المهاجر دينار ، والباعلى إفريقية في عهد معاوية
ورأس صالح بن عبد الرحمن الديوان في العراق في عهد الحجاج ،
ثم تولى الخراج في عهد سليمان بن عبد الملك ، وظل سليمان بن سرجون ،

(١) الطيب النجار / الموالى في العصر الأموى ص ٣٥ ، شوق ضيف / تاريخ الأدب العربى
ص ١٠ .

(٢) البلاذرى / فتوح البلدان ص ١٥٣ .

(٣) البعقوبى ج ٢ ص ٢٠٩ .

(٤) ابن قتيبة / الإمامة والسياسة ج ٢ ص ٢١ .

وابنه بمثابة أمناء عامين للدولة مدة طويلة ، وقد ولي سليمان بن عبد الملك على المغرب محمد بن يزيد مولى قريش (١) ، كما عين يزيد بن عبد الملك بن أبي مسلم واليا على أفريقية (٢) ، وقد أورد الطبرى عددا من كتاب الداواوين من الفرس ، وغيرهم من الموالى وآخرهم عبد الحميد الكاتب (٣)

أما الفرس وغيرهم من الموالى فلم يخلص بعضهم الولاء للدولة الأموية على الرغم من خضوعهم لسلطانها ، وقد انضم كثير منهم لأغلب الثورات والحركات المناوئة لهذه الدولة (٤) ، ولما خرج عبد الله بن الزبير انضموا إليه ثم انضموا إلى حركة المختار بن أبي عبيد الثقفى ، وكان معظم جيشه من الموالى ، (٥) كما انضموا إلى حركة ابن الأشعث فيما بعد وقد قيل إن من قاتل مع ابن الأشعث من الموالى فى موقعة دير الجماجم نحو مائة ألف مقاتل (٦)

على أن الفرس ، وغيرهم من الموالى مالبثوا أن تعرضوا لاضطهاد الحجاج أثناء ولايته على العراق فلم يسو بينهم وبين العرب فى المعاملة.. بل أرغم من أسلم منهم حديثا على دفع الجزية كما فرض الخراج

(١) اليعقوبى / ج ٢ ص ٢٩٤

(٢) الرئيس / الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ص ٢٨١

(٣) الطبرى المصدر السابق ج ٧ ص ١٩٨

(٤) محمود اسماعيل / الحركات السرية ص ٦١ - ٦٢

(٥) الدينورى / الأخبار الطوال ص ٢٨٨ ، شوق ضيف / تاريخ الأدب العربى ص ١٠

(٦) انظر الطبرى المصدر السابق ج ٨ ص ٨ - ١٥

على الأرض التي أسلم أهلها كما كانت الحال قبل دخولهم الإسلام فأظهر الموالى استيائهم من هذه المعاملة ، وفي الحروب التي كان يشترك فيها الموالى مع العرب كان العرب يركبون الخيل ولايسمحون للموالى بذلك بل يرغمونهم على القتال راجلين (١)

وكان العرب يسمون العجم الموالى ، وكان بعض العرب يكرهون أن يصلوا خلف الموالى ، وإذا صلى خلفهم قال اننى أفعل ذلك تواضعا لله ، وكان العرب لا يكونون الموالى بالكفى ، ولا يدعونهم إلا بالأسماء والألقاب وكان بعض العرب أيام الدولة الاموية يترفعون عن سائر العناصر من الموالى وأهل الذمة ويعدون أنفسهم فوقهم جلبة وخلقة وفضلا ، وكانوا يسمونهم الحمراء (٢)

وكان الموالى يزاولون الاعمال المهنية كالحرث والصناعات ، وحصل مرة أن تخاصم عربى ومولى بين يدى عبد الله بن عامر صاحب العراق فقال المولى : « لاكثر الله فينا أمثالك » فقال العربى : « بل كثر الله فينا أمثالك » فقليل له : « أيدعو عليك وتدعو له » قال : « نعم : بكسحون طرقنا ، ويخرزون خفافنا ، ويحوكون ثيابنا (٣)

وكان نافع بن جبير التابعى إذا مرت جنازة قال : « من هذا ؟ »

(١) الطيب النجار / الموالى فى العصر الأموى ص ٣٥

(٢) ابن عبد ربه / العقد الفريد ج ٣ ص ١٢ - ١٣ ، زيدان / تاريخ التمدن الإسلامى

ج ٣ ص ٥٩

(٣) ابن عبد ربه / العقد الفريد ج ٣ ص ١٤ زيدان / تاريخ التمدن الإسلامى

ج ٣ ص ٧٣

فإذا قالوا : « قرشى » قال : « واقوماه » ، وإذا قالوا : « عربى » قال : « وابلوتاه » ، وإذا قالوا : « مولى » قال : « هو مال الله ياخذ ما يشاء ويدع ما يشاء (١) .

ومن الأمور التى تساق على أساس أنها دليل على احتقار العرب ! للموالى ما كان يسود بينهم من الترفع عن مصاهرة الموالى ، والامتناع عن تزويجهم أنفة واستكبارا ، واعتقادهم أنهم جنس شريف لا يصلح أن يقاس الموالى بهم ويسيروا فى صفوفهم ، وكانوا يمتقنون زواج المولى من العربية ، وزواج العربى من غير العربية ، ويعتقدون فى ذلك النقيصة والعار ، ولكن أقوىاء الإيمان من العرب كانوا لا ينظرون مثل هذه النظرة بل كانوا يعتبرون أن الإسلام هو الأساس وهو المقياس بين الشرف والخسة .

هذه روايات تناقلتها الكتب ، وقد يكون وضعها بعض المتعصبين للعرب ردا فيما يبدو على أقوال الشعبية التى قالت عن العرب ولطخت فيهم الشئ الكثير (٢) ، وقد راعى معظم ذوى السلطة والامر من العرب شعور غيرهم من الاجناس ، وأوفوهم حقوقهم إلا ما حصل من تفضيل للجنود العرب وتمييزهم فى العطاء عن الموالى حيث كانت لاتزال للعرب القيادة السياسية ، والاجتماعية .

(١) ابن عبد ربه / المقد الفريد ج ٣ ص ٤١٤ .

(٢) الطيب النجار / الموالى فى العصر الأموى ص ٣٩ .

(٣) انظر الدورى / الجنود التاريخية للشعبية ص ٢٣ - ٣٨ .

كما أن نزعات التفاخر بالحسب والنسب كانت موجودة ليس بين العرب والموالى فحسب ، ولكن بين العرب أنفسهم قبائلهم وفصائلهم ولكن هذه كلها مظاهر التطور الطبيعي لمجتمع تكوينه أولا من العرب فمنهم تألف الجيش ، وهم الذين حملوا الرسالة ، وعلى أكتافهم قام بناء الدولة . . فكان طبيعيا أن يسبقوا بالميزات ، وقد سبقوا غيرهم من الأمم في الزمن والعمل (١) . .

وفي القرآن الكريم قوله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » (٢) .

وفي الحديث الشريف : « لافضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى (٣) » وقد أعتق الرسول صلى الله عليه وسلم صفية بنت حمى بن أخطب وتزوجها ، كما أن الحسين بن علي أعتق جارية له ثم تزوجها . . والامثلة من ذلك كثيرة .

ويورد أبو يوسف في كتابه الخراج (٤) مجموعة من الاقوال توضح تسامح العرب المسلمين مع غيرهم من الاجناس الأخرى . . ومن هذه الاقوال : أن الخليفة عمر بن الخطاب . . كان يقول لقواده :

(١) الرئيس / الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ص ٢٨٦ .

(٢) سورة الحجرات آية ١٣ .

(٣) من خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع .

(٤) انظر أبو يوسف / كتاب الخراج ض ١٢٥ .

«لأنكفوا أهل الذمة مالا يطيقون» ، ورواية عن حصين بن عمرو ابن ميمون عن عمر رضى الله عنه أنه قال : « أوصى الخليفة من بعدى باهل الذمة خيراً أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم » .

وعلى الرغم من سياسة التسامح والمساواة التي سلكها المعتدلون وحسن المعاملة فإن سياسة التطرف التي اتبعها بعض ولاة ورجال الدولة الاموية العرب ، وفي مقدمتهم الحجاج بن يوسف ازاء الموالى من الفرس وغيرهم كانت من العوامل التي ساعدت على زوال الحكم الاموى الذى كان عماده العنصر العربى . . وان كانت قضت على أمل الموالى الجدد فى الإسلام وطمعهم فى مساواتهم بالشعب الحاكم (١) ، فوقف الموالى من ذلك الوقت من الامويين موقف المعارضة . . فقاوموا الحجاج مقاومة عنيفة ، وأظهروا سخطهم وحقدهم الدفين بانضمامهم إلى ثورة عبد الرحمن بن الاشعث الذى أشعل الثورة على الامويين سنة ٨١ هـ (٢) وقد استمرت حركة اضطهاد الفرس وغيرهم من الموالى زمن ولاية الحجاج على العراق حتى اضطر كثير من موالى العراق إلى الرحيل من بلادهم إلى الحجاز . . هروبا من عسف الحجاج وظلمه ، وقد احتقر بعض الأمويين بتأثير العصبية العربية جميع الأجناس الأخرى ، وعدوهم فى منزلة اجتماعية أدنى من العرب ، وفرضوا عليهم الضرائب أكثر مما فرضوا على العرب (٣) .

(١) فان فلوتن / السيادة العربية ص ٤٤ .

(٢) الطبرى المصدر السابق / ج ٨ ص ١٠ - ١١

(٣) الخربوطلى / العرب والحضارة ص ١٥ - ٩٦ .

ولما آلت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩٩) .. أحسن .
معاملة الفرس وغيرهم من الموالى فاطمأنت نفوسهم في عهده (١) ، كما
عاملهم عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١) (٢) . . معاملة تنطوى على
العدالة والإنصاف . . فمنحهم الحقوق وساواهم بغيرهم وكان كثير
من الفرس يحاربون مع العرب في خراسان ، ولا يمنحون الأعطيات فجعل
عمر لهم أرزاقا وأعطيات (٣) .

وأمر عمر بن عبد العزيز ولاته باعفاء الأعاجم الذين يدخلون في
الإسلام من دفع الجزية ، ومنع هدايا النيروز والمهرجان من الموالى على
الرغم من أن عمر بن عبد العزيز قد فطن إلى ما تؤديه سياسته ازاء
الموالى من نقص ملموس في إيرادات بيت المال . . إلا أنه لم يتقهقر
أمامها ، وظل متمسكا برأيه في رفع الجزية عن كل من يعتنق الإسلام
لكن هذا الإجراء المنصف ألغى في عهد من خلفوه ، واستعملت سياسة
العنف مع بعض الولايات الإسلامية لإرغام مواليتها على دفع الجزية
مع دخولهم في الإسلام (٤) ، وكان الموالى يقابلونهم بالثورة والاضطراب(٥)

وقد حدثت محاولة لإصلاح هذا الوضع الذى كان يعاني منه الموالى
في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥) (٦) . . إذ حاول إصلاح

(١) المسعودى / التنبيه والإشراف ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٥ .

(٣) الطبرى المصدر السابق ج ٨ ص ١٣٢ .

(٤) سرور / الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ص ١٥٩ .

(٥) محمد الطيب النجار / الموالى في العصر الأموى ص ٥٨ .

(٦) المسعودى / التنبيه والإشراف ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

حال الموالى وعدم أخذ الجزية ممن أسلم منهم . . إلا أنه أعيد فرض الجزية على من أسلم فسأعت أحوال الفرس وغيرهم من الموالى وقد ترتب على ذلك ثورات دامية ومعارك عنيفة بين سكان الولايات وبين الجيش الأموى (١) .

وبدت روح العداء والكراهية والتذمر تظهر من الفرس وغيرهم من الأعاجم نحو الدولة الأموية الحاكمة ، وقاموا بنصرة العلويين والخوارج ، والمختار ، وابن الأشعث ، وكل من قام مناوئا للدولة الأموية كما أسلفنا ، وكانت خاتمة المطاف شدم لأزر الدعوة العباسية ، ومناصرتهم لها حتى أطاحت بالدولة الأموية ، وتسلم العباسيون زمام الحكم .

وأود الإشارة . . قبل أن أختتم الحديث عن هذا الموضوع أن العرب لم يستعملوا القسوة مع الموالى فى جميع الأحوال بل عاملوهم فى الغالب معاملة متسامحة . . وبالذات فى النواحي العقائدية حيث تركوا لهم الحرية فى اعتناق الدين الجديد . . أو دفع الجزية ، ولم يعمدوا إلى القوة فى تحويلهم إلى الإسلام ، وقد عومل من بقى منهم متمسكا بديانته القديمة معاملة حسنة ، فقد كان هناك ببلاد الفرس بعض جماعات يعبدون النار ، تمتعوا بقسط وافر من الحرية الدينية بعد الفتح العربى (٢) . . ويقول ثرتون (٣) : « يصير الإسلام على وجوب اصطناع

(١) الطبرى المصدر السابق ج ٨ ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٢) ارنولد / الدعوة إلى الإسلام ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٣) ثرتون / أهل النمة فى الإسلام ص ١٥٧ .

الرفق مع الشعوب المغلوبة على أمرها ، ويوصى بحسن معاملتها ، والتزام العدل معها » .

كما أن الفرس والأجناس الأخرى من الموالي مارسوا أعمالا مهمة أثناء الحكم الأموي . . أشرنا في صدر الحديث إلى بعض منها ونقمتهم على الدولة الأموية ومناصرتهم لجميع الحركات التي أثّرت ضدها ليس سببه في نظري تدميرهم من معاملة الحكم الأموي لهم بقدر ما هو سخطهم على العرب الذين سلبوا منهم ملكهم ، ومحاولة لاستعادة أمجادهم القديمة ، وإعادة سلطانهم وحكمهم الغارب ، والقضاء على السلطان العربي ، وقد ظلوا يعملون جاهدين لتحقيق ذلك حتى تمكنوا بمساعدة العناصر الأخرى الساخطة على الدولة الأموية من الإطاحة بالحكم الأموي سنة ١٣٢ هـ بعد أن حكموا البلاد الإسلامية زهاء إحدى وتسعين سنة (١) . . وإقامة الدولة العباسية التي كانت الصبغة الفارسية غالبية عليها ، وفي الفصل الثاني سأحاول إبراز دور الفرس في إقامة الدولة العباسية .

الفصل الثاني

دور الفرس في الدولة العباسية

بداية الدعوة العباسية



ودور العلويين في المطالبة بالخلافة

لم يكن قيام الدولة العباسية . تغييرا في نظام الحكم أو نقلا له من دولة إلى أخرى أو مجرد بيعة خليفة دون آخر فحسب إذ الحقيقة أن حلول العباسيين محل الأمويين في حكم الأمة الإسلامية أكثر من مجرد تغيير الأسرة الحاكمة ، لقد كانت ثورة في تاريخ الإسلام تعين نقطة فاصلة ، لها من الأهمية ما للثورتين الفرنسية والروسية من أهمية في تاريخ الغرب ، ولم يتم هذا التغيير نتيجة مؤامرة من مؤامرات البلاط ، أو الانقلاب في الحكم بل تحقق بفعل دعوة وتنظيم ناجحين واسعى الانتشار ، يمثلان ويعبران عن استياء عناصر هامة من الشعوب من الحكومة السابقة (١) .

وكان للثورة العباسية فعالية وقدرة على التغيير الجذرى في المجتمع الإسلامى ، ومن الأمور التى ساعدت رجال الدعوة العباسية على المضي قدما إلى الأمام في سبيل تحقيق أهدافهم ، أن الدعوة قامت على أساس دينى ، وأنها أيضا نظمت تنظيما دقيقا واستغلت نار العصبية

(١) برنارد لويس / العرب في التاريخ ص ١١٣ ، وقد دامت الخلافة العباسية في العراق ٥٢٤ سنة وعدد خلفائها سبعة وثلاثون خليفة أما الخلفاء العباسيون بمصر فعددهم خمسة عشر خليفة ، ومدة خلافتهم مائتان وخمس وخمسون سنة - انظر تاريخ القرمانى ص ١٤٥

التي كانت مشتعلة بين القبائل العربية في خراسان مهد الثورة العباسية .
وفوق هذا وذاك أفادت من العناصر الإيرانية الساخطة على الحكم والتي
تكتلت في خراسان ، وذلك لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية
وأسباب أخرى تعزى إلى سياسة الخلفاء الأمويين الأواخر (١) .

ونرجع إلى الوراء فنجد أن العباسيين قد ساروا على سياسة الابتعاد
عن حلبة الصراع والمطالبة بالخلافة والعمل من أجل ذلك حتى نهاية
القرن الأول الهجري ، مستقرين في الحميمة قريبا من دمشق ، مستمتعين
باقطاعهم الذي فازوا به من معاوية بن أبي سفيان (٢) وهذه السياسة
من العباسيين كانت على العكس من السياسة التي سار عليها العلويون ،
الفرع الهاشمي الآخر الذين ما انفكوا من زمن معاوية وبعد مقتل علي
يطالبون بالخلافة ، ودفعوا أغلى ثمن من الرجال والمال والراحة في
سبيل الحصول عليها ، لأنهم كانوا يرون أنهم أصحاب الحق الشرعي
في الخلافة ، وقد أرسلوا الدعاة إلى أنحاء الدولة الإسلامية يدعون
الناس إليهم ويعتبرون بني أمية مغتصبين للخلافة ظالمين . . لذلك
عملوا على مناهضتهم بجميع الوسائل العلنية والسرية ، وكثيراً ما اجتمع
حول بعضهم ألوف من الأنصار والأشباع إلا أنهم لم يوفقوا .

قتل علي بن أبي طالب سنة ٤٠ هـ ، وبويع ابنه الحسن بالخلافة ،
غير أنه تنازل عنها لمعاوية بن أبي سفيان ، واعتزل الحياة السياسية ،

(١) حسن محمود / العالم الإسلامي في العصر العباسي ص ٥٠ .

(٢) محمد حلمي / الخلافة والدولة في العصر العباسي ص ٢٨ .

وقد أثار هذا التصرف استياء كثير من العلويين لأنهم كانوا يرون أنهم أحق من الأمويين بالخلافة ، وجمعوا الجموع وثاروا على أمير الكوفة الأموي زياد بن أبيه . . ولكن زيادا أخمد الثورة وقتل الكثير من الثائرين (١).

هدأ العلويون ، وظلوا متربصين الدوائر بالأمويين يتربصون الفرصة التي ينقضون بها عليهم ، فلما أسند معاوية ولاية العهد لابنه يزيد . . لم يرض الحسين بن علي عن هذا النظام الذي سنه معاوية بتولية العهد لابنه . . حيث قلب الخلافة إلى ملك عضوض بعد ما كان في عهد الخلافة الراشدة . . يتم ترشيح الخليفة باتفاق أصحاب الرأي والكلمة من المسلمين . . بعيدا عن نظام الوراثة الذي بدأه معاوية دون مراعاة الأصلح لأمر الرعية ، وامتنع عن المبايعة ليزيد (٢)

وبعد وفاة معاوية بن أبي سفيان . . راسل أهل الكوفة الحسين ابن علي ليقدم عليهم ووعدوه بالنصر والمساندة . . لذلك بعث الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة ليقابل الشيعة الذين كتبوا يستقدمون الحسين ويتأكد من صدقهم ، وسلامة طويتهم (٣) . . فقابل الشيعة ولمس الصدق فيهم وبإيعوه وعاهدوه وعاقده ، وأعطوه المواثيق على النصرة والمشايعاة والوفاء (٤) .

-
- (١) الدينوري / الأخبار الطوال ص ٢١٨ ، أحمد فريد / عصر المأمون ج ١ ص ٧١
(٢) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٦ ص ١٩١ ، الديار بكري / تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ج ٢ ص ٢٩٧ .
(٣) الأصفهاني / مقاتل الطالبين ص ٩٦ . ابن حجر / تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٤٦ .
(٤) اليعقوبي ج ٢ ص ٢٤٣ .

وكتب مسلم بن عقيل للحسين بذلك ويخبره أنه بايعه اثنا عشر ألفاً من أهل الكوفة ويطلب منه الحضور (١) . فشدد الحسين رحاله ، واصطحب أسرته معه ، وخرج قاصداً الكوفة ، وذلك في اليوم الثاني من شهر ذي الحجة سنة ٦٠ هـ . على الرغم من أن كثيراً من أصحابه نصحوه بعدم الخروج إلى الكوفة ، وذكروه بما فعل أهل الكوفة بأبيه وأخيه من قبل فلم يسمع قولهم ، وكان ممن نصحوه أخوه : محمد بن الحنفية ، وابن عمه : عبد الله بن العباس ، وابن عمر ، وعبد الله بن مطيع (٢) .

أما مندوب الحسين لأهل الكوفة ابن عمه مسلم بن عقيل فقد لقي مصرعه على أيدي رجال عبيد الله بن زياد بعد طول بحث ومتابعة (٣) ولما علم عبيد الله بن زياد بقدوم الحسين أرسل الحر بن يزيد التميمي على رأس قوة تتكون من ألف فارس ، وقد قابلت هذه القوة الحسين بالقرب من الكوفة ومنعت تقدمه وظل وجيشه يترقبون الحسين وصحبه . فأقام الحسين بكرةلاء على شاطئ الفرات وذلك في غرة محرم سنة ٦١ هـ .

وأرسل عبيد الله بن زياد جيشاً بقيادة عمر بن سعد بن أبي وقاص وأصبح الجيش الأموي المواجه للحسين أربعة آلاف رجل ، وكان

(١) ابن حجر / تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٥٠ .

(٢) الدينوري / الأخبار الطوال ص ٢٤٦ ، المسعودي / مروج الذهب ج ٣ ص ٥٤ ،

ابن خلدون ج ٣ ص ٢١ ، الديار يكرى / تاريخ الخلفاء ج ٣ ص ٢٩٧ .

(٣) ابن حجر / تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٥٢ .

الحسين في اثنين وستين وقيل اثنين وسبعين رجلا من أهل بيته وأصحابه (١) ودار بين الطرفين حوار طلب فيه الحسين أن يخلوا سبيله ويعود من حيث أتى ، أو يبعثوه ليزيد بن معاوية ليرى فيه رأيه ، أو يسير إلى أي ثغر من ثغور المسلمين فيكون أحد رجاله له ما لأهله وعليه ما عليهم (٢) .

وعرض عمر بن سعد الأمر على عبيد الله بن زياد ، ولكنه رفض وطلب من الحسين أن ينزل على حكمه ، ومن ثم يبعث به وأصحابه إليه (٣) . . لذلك . اضطر الحسين إلى القتال ، ولكنه غلب على أمره وقتل . . بكرلاء . . مع معظم رجاله وأهل بيته (٤) في مجزرة رهيبة تقشعر لها الأبدان وذلك في اليوم العاشر من شهر محرم سنة ٦١ هـ (٥) .

(١) اليعقوبي / ج ٢ ص ٢٤٣

(٢) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٦ ص ٢٣٥ - ٢٣٦

(٣) المصدر السابق ج ٦ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ، العمراني / مخطوطة الأنباء في تاريخ الخلفاء ص ١٦ . ابن حجر / تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٥٢ ، الديار بكرى / تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٩٨ .

(٤) قتل من أولاد الحسين وأخوانه في موقعة كربلاء : العباس بن علي بن أبي طالب ، وجعفر بن علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن علي بن أبي طالب ، وعثمان بن علي بن أبي طالب ، وعلي بن الحسين ، وعون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ومحمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وجعفر بن عقيل بن أبي طالب ، ومسلم بن عقيل بن أبي طالب . . انظر مخطوطة رياض الأنس لعقلاء الأنس ورقة ٥٣ . مسلم بن عقيل بن أبي طالب : قتل قبل وقعة كربلاء .

(٥) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٦ ص ٢٢١ المقرئ / مخطوطة منتخب التذكرة في التاريخ ورقة ٦٦ ، الديار بكرى / تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٩٨ .

وينقل ابن حجر رواية عن ابن خلف أنه لما قتل الحسين . .
اسودت السماء وظهرت الكواكب نهارا . . كما نقل روايات تعدد
آيات ومعجزات ظهرت بعد مقتل الحسين ، (١) ومهما قيل في مدى
صحة مثل هذه الروايات . . فهي بلاشك تعبير دقيق عن هول الفاجعة
وموجة الحزن والأسى التي عمت أرجاء العالم الإسلامي بهذا الحادث
الخطير .

Uthayyibom Kulla Inayy

ولاشك أنه كان لمذبحة كربلاء صدى كبير . . وقد هزت العالم
الإسلامي ، وكانت نتائجها سيئة على بني أمية ، ويقول صاحب
الفخرى (٢) : « هذه قضية لا أحب القول فيها استعظاما لها واستفظاعا
فإنها قضية لم يجر في الإسلام أعظم فحشا منها » ، وقد تركت مأساة
كربلاء وقعا شديدا في قلوب الشيعة وندموا كل الندامة لقعودهم عن
نصرة الحسين . . ورأوا أن لا كفارة لذلك إلا الاستهانة دون ثأره ؟
وسموا أنفسهم التوابين (٣) .

واستغل دعاةهم حوادث تلك المأساة وبالعوا في سردها ونشرها بين
أهل العراق وفارس والحجاز . . فاكتسبوا أنصارا كثيرين ، وأصبح
للعوليين شأن خطير يهدد كيان الدولة الأموية (٤) .

(١) انظر ابن حجر / تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٥٤ .

(٢) ابن ^{الطبري} ~~الطبري~~ / الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٠٦ .

(٣) المكي / سمط النجوم العوالي ج ٣ ص ٢٣٦ .

(٤) حسن خليفة / الدولة العباسية ص ١٢ - ١٣ .



وفي سنة ٦٥ هـ . قام التوابون يتقدمهم سليمان بن صرد الخزاعي بثورتهم ضد بني أمية انتقاماً لدم الحسين ، وليردوا الخلافة إلى آل البيت . . إلا أن ثورتهم اخمدت ، وقد أسهم في ثورة التوابين عدد من الموالى الناقمين على العرب ، وقتل سليمان بن صرد وكثير من أصحابه (١) .

ويقول اليماني في مخطوطته (٢) : « في سنة ٦٤ تحركت الشيعة بالكوفة للطلب بدم الحسين ، وتكاتبوا في ذلك وندموا وتلاوموا ورأوا أنهم قد أخطأوا خطأ كبيراً بدعوتهم للحسين . . فلما قدم عليهم تركوا اجابته ، ولم ينصروه . ، ولم يؤازروه ، ورأوا أنه لا يغسل عنهم الإثم في قتله إلا من قتله قتل أو القتل فيه » .. واجتمع الشيعة وبعد مشاورات وحوار وتلاوم . . أمروا عليهم سليمان بن صرد الخزاعي ، وخطب فيهم سليمان بن صرد خطبة شحذ فيها همهم وذكرهم بهول المصيبة التي حلت بقتل سبط رسول الله الحسين ابن علي ، والاثم الذي اقترفوه بخذلانه وعودهم عن نصرته (٣) ويستطرد اليماني في الحديث عن حركة التوابين ويقول : « في سنة ٦٥ هـ شخص التوابون للطلب بدم الحسين ، وذلك في ربيع الآخر من نفس السنة خرج ابن صرد فعسكر بهم في النخيلة ، وأقام ينتظر أصحابه ولم يوافه من ستة عشر ألفاً مما كان معه إلا

(١) المكي / سبط النجوم العوالي ج ٣ ص ٢٣٦ .

(٢) مخطوطة / كنز الأخبار في معرفة السير . والأخبار ورقة ١٩ ، انظر أيضا الطبري الرسل والملوك ج ٦ ص ٤٧ - ٤٨ .

(٣) انظر تفصيل الخطبة في المخطوطة السابقة ورقة ١٩ .

أربعة آلاف . فسار من النخيلة والتقى بعبيد الله بن زياد على رأس الجيش الأموي وذلك في الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة ٦٥ ، ودعتهم الشيعة إلى خلع مروان وابنه . ورد الأمر إلى أهل النبي الذين أتى الله بالنعمة والكرامة من قبلهم ، ودعاهم أهل الشام إلى بيعة مروان وابنه فأبى كل على صاحبه ، ودارت المعركة بين الطرفين ولمدة ثلاثة أيام ، وتكاثر أهل الشام ، وقتل سليمان بن صرد وجميع أصحابه بعد أن قاتلوا قتالا مستميتا » (١)

وفي الوقت الذي اشتعلت فيه ثورة التوابين ، ظهر على المسرح السياسي رجل مغامر يدعى : المختار بن أبي عبيد الثقفي عرف بالحيل والمخادعة ، ونادى هو الآخر بثأر الحسين (٢) .

وقد تظاهر أن محمد بن الحنفية أمره بذلك وولاه هذا الأمر (٣) وقد شك في صدق ولائه لآل على ، وذلك استنتاجا مما أبداه على ابن الحسين السجاد حينما كتب له المختار يريد مبايعته والدعوة له حيث رفض اجابته وسبه على رؤوس الأشهاد في الحرم النبوي وأظهر كذبه وفجوره إلا أن موقف محمد بن الحنفية مع المختار كان أخف من موقف على بن الحسين حيث سكنت عن عيوب المختار بمشورة من

(١) المخطوطة السابقة ورقة ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢

(٢) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٩٣ ، ابن خلدون ج ٣ ص ٢٣ ، الذهبي / تاريخ الإسلام ج ٣ ص ٧٠ .

(٣) اليعاقبة / مخطوطة كنز الأخيار في معرفة السير ورقم ٢٤ .

ابن عباس (١) فاشتد أمر المختار والتفت الشيعة حوله وكثر رجاله ، وانضم إليه ابراهيم بن الأشتر بعد أن قابله مع وجوه الشيعة وقد افتعل كتابا على لسان ابن الحنفية يدعو ابراهيم بن الأشتر فيه إلى مبايعة المختار والمطالبة بدم الحسين وأهل البيت ومازالوا به حتى بسط يده وباع المختار فقوى به المختار واشتد ظهره (٢) ويلاحظ أن المختار استعمل أسلوب المكر والخداع في مقابلة ابن الأشتر وافتعال خطاب ابن الحنفية ، وتظاهره افتراء أن ابن الحنفية أمره بالمطالبة بدم الحسين وولاه الأمر

وقد ساند المختار كثير من الموالي الناقمين على الحكم الأموي وصاروا يقاتلون جنبا إلى جنب مع الشيعة العرب ، وبهذا عظم أمر المختار واستولى على الكوفة ، وتتبع قتلة الحسين وقتل منهم خلقا كثيرا من بينهم : عبيد الله بن زياد صاحب دم الحسين ، وعمر ابن سعد بن أبي وقاص الذي تولى حرب الحسين يوم كربلاء ومن معه ، وكان يأمر قومه بالمناداة بالثارات الحسين ، فزاد ميل أهل الكوفة إليه ومحبتهم له (٣) ، ونودى بالبيعة له بالبصرة ، وبعث جيشا لغزو الحجاز (٤) ، إلا أن ثورته أخمدت على يد مصعب بن

(١) المسعودي مروج الذهب ج ٣ ص ٧٤ .

(٢) المقرئزي / مخطوطة مزئخب التذكرة في التاريخ ورقة ٦٦ ، الياني / مخطوطة كنز الأخبار ورقة ٢٥ .

(٣) البقوي ج ٢ ص ٢٥٩ ، المسعودي / مروج الذهب ج ٣ ص ٧٥ ، مخطوطة كنز الأخبار ورقة ٢٤ .

(٤) الطبري تاريخ الرسل والملوك / ج ٧ ص ١٣٤ .

الزبير وقتل المختار وذلك في ١٤ رمضان سنة ٦٧ هـ وانتهى أمره (١) .

وفي تحديد طبيعة هذه الثورة يكاد يجمع المؤرخون على أن المختار في ظاهر الأمر كان يطالب بدم الحسين ، على حين أنه في حقيقة الأمر كان يسعى لتحقيق مطامعه وأهدافه في الحصول على السلطة والجاه ، وقد كشف المختار اللثام عن حقيقة ثورته في أواخر أيامه لما رأى الأعداء قد أحاطوا به وأيقن بالهلاك . . فيروى أن المختار لما طارده أعداؤه وتحصن بالكوفة ودخل قصر الإمارة أقبل مصعب ابن الزبير حتى أنزاه عليه وحاصره أربعين يوما ، ففلق المختار من هذا الحصار قلقا شديدا ، وقال للسائب بن مالك الأشعري - وكان من خاصته - : أيها الشيخ أخرج بنا لنقاتل على أحسابنا . . لا على الدين فاسترجع السائب وقال : يا أبا اسحاق لقد ظن الناس أن قيامك بهذا الأمر دينونه (٢) فقال المختار : لا لعمري ما كان إلا لطلب دنيا ، فاني رأيت عبد الملك بن مروان قد غلب على الشام ، وعبد الله بن الزبير على الحجاز ، ومصعبا على البصرة ، ونجدة الحروري على العروض ، وعبد الله بن خازم على خراسان ولست بدون واحد منهم . . ولكن ما كنت أقدر على ما أردت إلا بالدعاء إلى الطلب بثأر الحسين (٣) .

* * *

(١) المقرئ / مخطوطة التذكرة ورقة ٦٦ ، مخطوطة كنز الأخبار ورقة ١٩ ، الذهبي /

تاريخ الإسلام ج ٣ ص ٧٠ .

(٢) أي في سبيل خدمة الدين .

(٣) الدينوري / الأخبار الطوال ص ٣٠٧ ، النجار / الموالى في العصر الأموي ص ١٠٩

بعد اخماد حركة المختار هدأت الحركات التي قامت تطالب بحق العلويين في الخلافة فترة من الزمن، وفي عام ١٢١هـ قدم إلى الكوفة زيد ابن علي بن الحسين بن أبي طالب والتفت حوله الشيعة وتقاطروا إليه من كل صوب ، وقد اختلف في أسباب قيام زيد بن علي ضد الأمويين ، وقيل إن يوسف بن عمر ... وإلى العراق طالبه بمال كان أودعه عنده خالد بن عبد الله القسري حينما كان أميراً على العراق أو بقيمة أرض بيعت عليه من قبل القسري ولم يسدد قيمتها ، وقد تعرض لبعض الإهانات من الخليفة هشام بن عبد الملك . . انذى رفض مقابلته بعد أن شحص إليه إلا أنه أذن له بالمقابلة بعد حبس وطول انتظار . . ولكنه لم يحسن مقابلته ، فخرج زيد من عنده ، وسار إلى الكوفة وقرر الخروج والتفت حوله الشيعة كما أسلفنا ، وأخذوا يتدارسون أحوال الدعوة وكيفية الانطلاق بها فتكاثر الأنصار حوله وتعلقوا به (١) .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كان هشام يخشى إقامة زيد بالكوفة والتفاف الشيعة حوله لتأثيره السحري بأسلوبه الجذاب في اكتساب الأنصار والأعوان ، وقد أوعز لوالى الكوفة أن يأمر زيدا بالخروج من الكوفة ، فخرج زيد منها . . إلا أن الشيعة لحقت به وأعادته ، وقالوا له : « أين تخرج عنا - رحمك الله - ومعك مائة ألف سيف من أهل الكوفة والبصرة وخراسان يضربون بها بنى أمية دونك ،

(١) ابن حجر تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٤١٩ ، المكي / سمط النجوم العوالى ج ٣

وليس قبلنا من أهل الشام إلا عدة يسيرة فأبى عليهم فما زالوا يناشدونه حتى رجع بعد أن أعطوه العهود والمواثيق فقال له محمد بن عمر : أذكرك الله يا أبا الحسين لما لحقت بأهلك ولم تقبل قول أحد من هؤلاء الذين يدعونك فانهم لا يفون لك ، أليسوا أصحاب جدك الحسين ابن علي ؟ قال : أجل وأبى يرجع « (١) . وأقام زيد بينهم يدعو الناس إلى نصرة الضعيف وجهاد الظالمين واعطاء المحرومين وقسم النوى بين اهله بالسوية ورد المظالم ونصرة أهل البيت باعادة الحق إليهم ، وبايعه على ذلك خمسة عشر ألف رجل وقيل أربعون ألفا (٢) وأمر أصحابه بالاستعداد

وقد بلغ والى العراق يوسف بن عمر خبر زيد واستعداده للثورة ، وبعد تأكده مما نسب لزيد وثبته من حركة استعداد للقضاء عليه ، ولما علمت الشيعة بمعرفة والى العراق بخبر زيد خشيت العاقبة وعزمت على نكث بيعة زيد ، واجتمع إليه وجهاء الشيعة ورؤساؤهم وسألوه رأيه فى أبى بكر وعمر قال زيد : « رحمهما الله وغفر لهما ما سمعت أحداً من أهل بيتى يقول فيهما إلا الخير ، وأنهما لم يظلما عليا » فتراجعوا عنه وقالوا : « إذا لم يظلمك هؤلاء » (٣) ، ورفضوا جواب زيد ،

(١) الأصفهاني / مقاتل الطالبين ص ١٣٥

(٢) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٦٥ ، الأصفهاني مقاتل الطالبين

تاريخ الرسل والملوك ص ١٣٥ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٢٣٣

(٣) ردوا على يزيد وقالوا : « ان الذين ثرت عليهم - يعنون بنى أمية - لم يظلموك

فلماذا ثرت عليهم ؟ » .

ورفضوا دعوته وقالوا : « نحن نرفضك ، وقالوا : » جعفر بن محمد
الباقر أمامنا بعد أبيه فسأهم زيد الرافضة » (١)

وتفرق أصحاب زيد ولم يبق منهم إلا قليل ممن صدقوا في الولاء
له وهم المعروفون بالزيدية نسبة إليه (٢) ، وقابل والى العراق يوسف
ابن عمر على رأس الجيش الأموي بمن بقي معه من شيعته بشجاعة
واقدام لم يثنه عن عزمته قلة رجاله وضعف استعداده وعدته ، واستمر
يقاتل حتى لقي مصرعه وصلب بالكناسة ، وانتهت بذلك حركته
وكان ذلك سنة ١٢٢ هـ (٣)

وينقل الكتبي (٤) رواية عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم
نظر إلى زيد بن حارثة وبكى وقال : « ان المظلوم من أهل بيتي سمي
هذا ، والمقتول في الله المصلوب من أمي . سمي هذا » .

كان من الذين نجوا من يد يوسف بن عمر يحيى بن زيد بن علي
ففر إلى المدائن ومنها إلى خراسان حيث أُشير عليه بالخروج إلى

(١) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٧٢ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص
٢٤٢ - ٢٤٣ ، ابن خلدون ج ٣ ص ٩٩ ، الكتبي / فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٦ ، المكي /
سمت النجوم العوالي ج ٣ ص ٢٣٧

(٢) الكتبي / فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٦ ، القلقشندي / مآثر الأناقة ج ١ ص ١٥٢ ،
ابن حجر / تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٤٢٠ .

(٣) المسعودي / مروج الذهب ج ٣ ص ٢٠٧ ، ابن حجر / تهذيب التهذيب ج ٣
ص ٤١٩ ، المكي / سمت النجوم العوالي ج ٣ ص ١٣٧ ، فاروق عمر / طبعة الدعوة
العباسية ص ١١٠

(٤) الكتبي / فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٥ .

خراسان لأن أهلها لهم شيعة (١) ، وأقام في بلخ عند الحريش بن عمر ابن داود . ولما علم الأمير الأموي في خراسان نصر بن سيار يحيي أخذه إلى السجن . . إلا أنه أطلقه بأمر الخليفة الوليد بن زيد (٢) .

مر شرع يحيي بن زيد يجدد الدعوة لآل البيت ويندد بجور الأمويين وعسفهم ، فالتف حوله عدد من المناصرين ، ويقول الكتبي (٣) : « اجتمع بخراسان على يحيي خلق كثير وبإيعوه ووعدوه بالقيام معه ومقابلة أعدائه وبذلوا له الطاعة » ، وخرج بهم على بني أمية فوجه إليه نصر بن سيار بجيش قضى عليه وأعوانه وصلب جسم يحيي على باب مدينة الجزجان (٤)

وفي سلسلة الثورات التي قام بها العلويون ضد بني أمية في سبيل الحصول على الخلافة والسلطة ثورة عبد الله بن جعفر بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر التي اطلقت شرارتها سنة ١٢٧ هـ ، أعلن الدعوة للرضا من آل محمد ، وقاتل الجيش الأموي في الكوفة وقتل عدد من أصحابه وخرج إلى المدائن ، وأتاه قوم من أهل الكوفة وعبيدها وخرج بهم فغلب على مياه الكوفة ومياه البصرة وحلوان وقم وهمذا

(١) الأصفهاني / مقاتل الطالبين ص ١٥٣ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٢٤٧

(٢) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٢٧١

(٣) الكتبي / فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٥ - ٣٦ ، انظر الدهبي / تاريخ الإسلام

ج ٥ ص ١٨١

(٤) الأصفهاني / مقاتل الطالبين ص ١٥٧ - ١٥٨ ، الكتبي / فوات الوفيات

وقومس وأصبهان والرى وفارس (١) ، وقد ساعده أحد الموالى ويدعى محارب بن موسى مولى بنى يشكر ، وكان عظيم القدر بفارس ودعا عبد الله بالبيعة لنفسه ثم قدم يزيد بن عمر بن هبيرة بجيش لاحق به عبد الله . فهرب إلى خراسان وفي نواحي هراة كانت نهايته (٢)

وهكذا كان تاريخ العلويين سلسلة من المآسى والأحداث الدامية لاقوا أصنافا من التعذيب والقتل في سبيل الحصول على السلطة وتقويم الاعوجاج الذى ظهر فى دولة بنى أمية ، ومحاولة التمسك بالقيم الدينية إلا أن محاولاتهم كانت تنتهى بالفشل وعدم التوفيق لهذا ؟

بينما كان بنو عمهم العباسيون يراقبون الأحداث من بعيد ويستفيدون من الخلافات والحروب التى تدور بين الأمويين والعلويين لأن فى ذلك اشغالا للأمويين عن مراقبة ومتابعة دعاة العباسيين ودعوتهم السرية وبذلك تنمو وتمتد جذورها دون مواجهة أو مصادمة مع الأمويين حتى إن الدعاة كانوا يدعون للرضا من آل محمد دون تحديد صاحب الدعوة لذلك كانت إصبع الاتهام بتغذية الدعوة وتنظيم خلاياها تشير إلى العلويين لثوراتهم وحركاتهم ضد الدولة الأموية المتكررة - أما العباسيون فمسالمون مخلصون إلى الراحة فى نظر الأمويين : واستمرت الحال على هذا الوضع ، العلويون يعلنون الثورات ويقدمون

(١) الأصفهاني / مقاتل الطالبين ص ١٦٧

(٢) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٣٧٢ ، مخطوطة كنز الأخيار ورقة ٦٤ ، فاروق

عمر / طبعة الدعوة العباسية ص ١١٠

نصاً من مخطوطات المكتبة الإسلامية رقم ١١٧٣٠ / تاريخ العرب العاربة / ص ١٣٧

الضحايا ، والعباسيون يعملون من خلال تنظيمهم لدعوتهم السرية بصمت مستفيدين مما كان يحصل بين الأمويين والعلويين من حروب ، لأن ذلك يشغل الأمويين ويصرف أنظارهم بعيداً عن دعوتهم الناشئة .

كذلك أما عن بداية الدعوة العباسية فكانت الأحوال السياسية منذ مطلع القرن الثاني الهجري تنبئ بحلوث انقلاب كبير في الدولة العربية ، فكثر أنصار الخوارج والشيعة وقوى حزباهما في الوقت الذي أخذ فيه الضعف يدب في دولة بني أمية ، وانقسم بيت الخلافة الأموي على نفسه حتى وقعت الحرب بين الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك وبين يزيد بن الوليد بن عبد الملك وكان الأول تناصره المضرية ، والثاني تناصره اليمنية وانتهت الحرب بقتل الوليد سنة ١٢٦ كما اغتصب بعض الخلفاء الأمويين المتأخرين باللهو والمذات (١) ، وكان الخليفة الوليد بن يزيد (٢) يلقب بخليع بن مروان الزنديق (٣) ، وروى عن أخيه سليمان أنه قال بعد وفاته (٤) « بعداً له أشهد أنه كان

(١) الكازروني / مخطوطة مختصر التاريخ ورقة ٣٧ ، أبوشجاع / مخطوطة رياض الأنس لعقلاء الأنس ورقة ٥٧ ، الدهبي / تاريخ الإسلام ج ٥ ص ٢٧٣ ، تاريخ القرمان ص ١٤٢ ، سديو تاريخ العرب العام ص ١٧٣ - ١٧٨

(٢) يقول العمراني في مخطوطته « الأنباء في تاريخ الخلفاء » ورقتي ١١ - ١٢ « لما بلغ الوليد بن يزيد بن عبد الملك موت هشام قال : والله لأتلقين هذه النعمة بسكره قبل الظهر وأخذ رطلا وشربه وثني وثلاث حتى سكر ونام ، وكان فاجراً فاسقاً خاراً قليل الدين جداً وكان يخطب أيام الجمع وهو سكران » .

(٣) الكسبي / فوات الوفيات ج ٤ ص ٢٥٦

(٤) المصدر السابق ص ٢٥٧

مكتبة المهتدين الإسلامية

شروباً للخمر ماجناً فاسقاً» - أما يزيد بن عبد الملك فكان ماجناً منهمكاً بالشرب والملاذات ، وكان يسمى يزيد الماكن (١) .

ولا شك أن فساد الأحوال في الدولة الأموية شجع العباسيين على التطلع إلى نيل الحكم إلا أن كثيراً من المصادر ترد انتقال المطالبة بالخلافة من العلويين إلى العباسيين إلى أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية رأس العلويين في السنوات الأخيرة من القرن الأول الهجري حيث كان في زيارة للخليفة سليمان بن عبد الملك فأكرم وفادته إلا أنه رأى من فصاحته وعلمه ما حسده عليه ، وخافه فدبر قتله خشية أن يدعو لنفسه ، فدرس له من سمه وهو في طريقه إلى الشراة سنة ٩٨ هـ ، فلما أحس أبو هاشم بدنو أجله عرج إلى الحميمة (٢) حيث كان يقيم فيها على بن عبد الله بن العباس وابنه محمد فأخبره أن أمر المطالبة بالخلافة صائر إلى ولده وأوصى إلى علي وأولاده بحقه في الإمامة والتفت شيعة أبي هاشم حول علي وبنيه ، وقاموا على نصرتهم والدعوة لهم (٣)

ويقول المقرئ في مخطوطته - منتخب التذكرة (٤) : «في سنة مائة بدأت الدولة العباسية وبدوها أن أبا هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية قدم على سليمان بن عبد الملك سنة ٩٨ هـ فأعجب به وقضى حوائجه

(١) المصدر السابق ص ٣٢٣

(٢) الحميمة قرية صغيرة في أرض الصراة إلى الجنوب من البحر الميت على مقربة من العقبة .

(٣) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٥٣

(٤) المقرئ / مخطوطة منتخب التذكرة في التاريخ ورقة ٨٠ .

وصرفه وضم إليه من سمه . . فلما شارف الشراة بسمه أحس بذلك وقال لأصحابه ميلوا بي إلى ابن عمي محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وهو يوجد بكذا من الشراة من كور البلقاء أرض دمشق فلما صار إليه أهله أن الخلافة صائرة إلى ولده وأفشى إليه أسراره وعرفه دعائه وقال له : إذا مضت المائة فوجه دعائك . .

ومن ثم بدأ محمد الدعوة على رأس المائة وبعث الدعاة ، واستجاب له الناس كما سنتبين في الصفحات القادمة .
(تحقيق القول في تنازل أبي هاشم للعباسيين :

ان الشك يراودنا في صحة هذه الروايات بدليل ما م في المؤتمر الذي عقد في الحجاز في أواخر العصر الأموي ، والذي ضم أقطاب البيت الهاشمي من العلويين والعباسيين ، وتناقشوا في الوسائل التي تؤدي إلى القضاء على الحكم الأموي ، ونظروا فيمن يرشحون للخلافة في حالة نجاح مساعيهم فوقع اختيارهم على أحد الحاضرين وهو محمد ابن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية (١) ولو كانت وصية أبي هاشم صحيحة باسناد الأمر إلى العباسيين . . لما بايع العباسيون لخليفة علوي واحتفظوا بحقهم بالخلافة .

كما أن العلويين لم يكفوا بعد وصية أبي هاشم لعلي بن عبد الله ابن العباس وأولاده بحقه في الإمامة عن المطالبة في الخلافة بل ظلوا

في سعي دائب وثورات مستمرة من أجل الحصول على الخلافة وآخرها
كما رأينا ثورة زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وثورة ابنه
يحيى ، وثورة عبد الله بن جعفر بن معاوية ، وكل هذه الثورات وقعت
بعد الوصية ولو كانت الوصية أمراً حقيقياً لما طالب هؤلاء بالخلافة
لأن حقهم في ذلك يكون قد انتهى بتنازل الزعيم العلوي أبي هاشم
لعل وأولاده . . عن الخلافة ، ووصيته له بذلك . على أننا نتساءل
في مثل هذه الحالة ! ! هل تنازل شخص عن حقه يلغى حقوق
الآخرين ؟

وهل كان أبو هاشم نبياً يتلقى الوحي من السماء حتى يصبح تنازله
- لو وقع - مضيعاً لحقوق آل البيت وصارفاً الناس عن الولاء لهم ؟؟

ولكن من المرجح أن العباسيين أشاعوا خبر تنازل أبي هاشم عن
حقه في الإمامة إلى علي بن عبد الله بن العباس وأولاده ووصيته بذلك
لإعطاء مطالبتهم بالخلافة الصفة الشرعية وليكسبوا ولاء العلويين
ويتجنبوا خطرهم ، وكذا لكسب تأييد الفرس ومؤازرتهم . . لأن
الفرس يؤيدون العلويين ، ويرون أنهم أحق بالخلافة ، ومتى ماتنازلوا
عن هذا الحق للعباسيين أصبح من حق العباسيين المطالبة به والسعي
في تحقيقه .

ومهما تكن الأمور فإن الزعيم العباسي محمد بن علي وجد الوقت
مواتياً والفرصة سانحة لممارسة نشاطه والدخول في معترك الحياة
السياسية فأخذ في زمام الأمر وبدأ الدعوة وأرسل الدعاة حتى في حياة
(٧٢ - أثر الفرس)

والده الذي عاش إلى سنة ١١٧ هـ (١) وقد بعث أول دعاة له من مركز عوته الحميمة سنة ١٠٠ هـ (٢) وهم : ميسرة العبدى ومحمد بن خنيس ، وأبو عكرمة السراج ، وحجيان العطار بعث ميسرة إلى العراق والثلاثة الآخرين بعثهم إلى خراسان (٣) ، وكان محمد ذا عقل راجح ودهاء وله حنكة في تصريف الأمور وتقديرها لذلك رأى أن نقل السلطان من بيت لبيت لابد أن يسبق باعداد أفكار الأمة والتمهيد لهذا النقل وأن كل محاولة مفاجئة من المرجح أن تكون عاقبتها الفشل فرأى أن يسير بهذا الأمر بالأنانة المصحوبة بالحزم فعهد إلى شيعته أن يؤلفوا دعاة يدعون الناس إلى ولاية أهل البيت دون تسمية صاحب الدعوة خوفا عليه من بنى أمية (٤) .

وتنجلى مهارة محمد بن على وحذقه وحسن سياسته في المنهج الذى رسمه لدعوته سواء في اختيار البقاع التى تنطلق منها الدعوة أو اختيار شعارات الدعوة ومهنة الدعاة ، وتحديد أسلوب الدعوة وطريقة التعامل مع الناس ، فقد اختار الحميمة مركزاً للدعوة ومنطلقاً لها ومقراً للتنظيم والتدبير وكانت قرية صغيرة في الظاهر بعيدة عن المسرح السياسى ، ولكنها في الواقع كان لها موقعها الجغرافى الخطير حيث كانت تشرف على خط القوافل التجارية وتقع على مقربة من ملتقى طرق الحج .

(١) البصرى / مخطوطة المناقب العباسية ورقة ١٧ .

(٢) الطبرى / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ١٣٥ ، المقدسى / البدء والتاريخ ص ٥٩ ، إيمانى / مخطوطة كنز الأخبار ورقة ٤٩ .

(٣) الدينورى / الأخبار الطوال ص ٣٣٣ ، الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ١٣٦-١٣٥ .

(٤) الحضرى / محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ج ٢ ص ١٣ - ١٤ .

واتخذ الكوفة مقراً للدعاة العراق وهي المعروفة بالولاء لآل البيت كما أنها كانت نقطة الاتصال يلتقى فيها الذين يحملون الأوامر والتوجيهات من الحميمة مع الدعاة الوافدين من خراسان لعرض نتائج مساعيهم وجهودهم في سبيل نشر الدعوة في مناطق خراسان ولتلقوا الأوامر والتعليمات الجديدة .

كما أن اختيار خراسان مقراً لنشاط الدعوة للدليل آخر على عمق فهم وإدراك محمد بن علي ، وسوف أتحدث في موضوع لاحق عن سر اختيار خراسان مقراً لنشاط الدعوة والنتائج التي ترتبت على ذلك .

أما الشعار الذي اختاره لدعائه ، وكذا المهنة فأمر ساعده على نجاح الدعوة واستمرارها ، فقد أمر دعائه بالدعوة للرضا من آل محمد دون تعيين صاحب الدعوة كما أسلفنا ، وهي دعوة غامضة يظنها العلويون المخلصون وأنصارهم من أجلهم ، ويعتقد الخراسانيون أنها إنما تعني صاحب الحق الإلهي (١) .. وقد أوصى محمد بن علي أحد دعائه وهو أبو عكرمة السراج قائلاً : « فلتكن دعوتك للرضا من آل محمد ، وليكن اسمى مستورا من كل أحد إلا عن رجل توثقت منه وأخذت بيعته » (٢) .

لذلك . . التف الناس حول الدعوة وأيدوها ، وبقي صاحبها في

(١) المقرئ / مخطوطة منتخب التذكرة ورقة ٩٢ ، محمد حلمي / الخلافة والدولة في العصر العباسي ص ٣١ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص ١٠٤ ، طبعة الدعوة العباسية ص ٣٠٤ .

مأمن من قبضة الأمويين ، وقد أشار على دعائه أن يتعاطوا مهنة التجارة ويظهروا بها ظاهرياً . أما حقيقة أمرهم فبث الدعوة وغرس جذورها في القلوب ، وقد ساعدهم ذلك في اخفاء هدفهم عن عيون بنى أمية كما مكنهم من الالتقاء بالناس على مختلف المستويات فجابوا مناطق واسعة في خراسان دون إثارة شبهة ويقول الزعيم العباسي محمد بن علي في وصيته لأحد دعائه (١) : « أوصيك بتقوى الله والعمل ليوم مرجعك ، وأعلم أنه لا تخطو خطوة فيما تذهب إليه الا كتب الله لك بها حسنة وحط عنك بها سيئة ، ولا تظهرن شيئاً من أمرك ، حتى تقدم جرجان وتلقى بها أبا عبيدة ، وتلقى إليه ما ألقى إليك ثم تاتي وتلقى أهلها بتجارتك ، وتلبس العامة بسنتها ، وتلقى سليمان بن كثير والنفر الذين استجابوا لأبي هاشم ، ولا تظهرن جدا ولادعاء إلى سلة سيف وأقلل مكاتبتى ومراسلتى ، وأنفذ كتبك إلى أبي الفضل وإلى أبي هاشم ان رجع إلى العراق ، وان دعوت أحدا من العامة فلتكن دعوتك إلى الرضا من آل محمد ، فإذا وثقت بالرجل في عقله ويصيرته فاشرح له أمركم ، وقل بحجتك التي لا يعقلها إلا أولو الألباب »

وقد طبق رجال الدعوة العباسية توصيات زعيمهم ، وكانوا يعرضون صنف التجارة ويعجبون خلال الديار في هدوء وحكمة ومتى وجدوا أناسا لديهم المناخ الملائم للدعوة وتقارب في وجهات النظر أسروا ما يدعون إليه ، وصوزوا استبداد الأمويين بأسوأ الصور بل كانوا

يتهمونهم بأنهم لا يزالون يبطنون الكفر رغم ادعائهم الإسلام (١)

ولم يسمح لأحد من الدعاة الاتصال بالحميمة إلا عن طريق المشرف على الدعوة في الكوفة امعانا في السرية حتى لا ينكشف المركز الرئيسى لنشاط العباسيين التنظيمى وهو الحميمة ، وهكذا لم يتكشف أمر الحميمة إلا فى اخر مراحل الحركة ، وقبل انتقال أقطاب البيت العباسى إلى العراق سنة ١٣٢ هـ ، وأوصى محمد بن على دعائه بنشر الدعوة وبث الأهداف التى تسعى الدعوة لتحقيقها وحثهم على اللين واللطف وحسن الاتصال بالناس والتجاوز عن أساء إلیهم ، وأوضح لهم أن الدعوة ذات تبعات جسام لابد أن تلقى على طريقها الصعاب ، وسلوك سبيل القوة فى هذه المرحلة المبكرة من الدعوة خطر على سلامتها واستمرارها ، وقال لهم (٢) « انه محرم عليكم أن تشهروا سيفا على عدوكم كفوا أيديكم حتى يؤذن لكم » .

وهذا منهج اختطه محمد بن على لدعوته ما كان معروفا فى الحركات والدعوات التى نظمت من قبل ، والحركات العلوية عرفت بالتعجل ومواجهة الخصم دون تهيئة وإعداد . لذلك كان محمد بن على يحذر اتباعه من العجلة هذه والتسرع ويوصيهم بالروية والأناة ، ويقول فى وصيته لكبير دعائه {بكير بن ماهان(٣)} : « وحذر شيعتنا التحرك مما يتحرك فيه بنوعمنا من آل أبى طالب » .

(١) الدينورى / الأخبار الطوال ص ٣٣٥ ، الطيب النجار / الدولة الأموية فى الشرق

ص ١٤٦ ، فان فلوتن / السيادة العرسية ص ٩٥ .

(٢) أخبار الدولة العباسية لمؤلف مجهول ص ٢٠٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٠ .

التنظيم الإداري للدعوة

لما نشطت حركة الدعوة العباسية واشتد عودها ، رأى المشرفون عليها أنه لابد من وضع هيكل إداري وتنظيم سرى للدعوة والدعاة .. وكان التنظيم الإداري الناجح الذي وضعه العباسيون لدعوتهم نموذجاً اتخذته الحركات السياسية المتأخرة نبراساً كحركات القرامطة والفاطميين (١) .

وقد اشتمل جهاز الدعوة الإداري على سلسلة من المراتب تبدأ بمرتبة النقباء وكان عددهم اثني عشر نقيباً (٢) ، والنقباء هم وحدهم الذين يعرفون سر إمام الوقت ويحتفظون بهذا السر لأنفسهم ، ويلى مرتبة النقباء مرتبة نظراء النقباء وعددهم يساوى عدد النقباء . والنظير يخلف النقيب في حالة وفاته (٣) .

ثم يأتي بعد ذلك الدعاة وعددهم سبعون داعياً (٤) . ثم دعاة الدعاة (٥) ثم يمضى التشكيل فى عمقه إلى أن ينتهى بالخلافة السرية التى كانت تروج الدعاية للدعوة العباسية فى جميع الأمصار الإسلامية

(١) حسن محمود / العالم الإسلامى فى العصر العباسى ص ٦ .

(٢) الطبرى تاريخ الرسل والملوكلج ٧ ص ١٣٥ ، أخبار الدولة العباسية ص ٢١٦ - ٢١٧ ، انظر المقرئى - مخطوطة منتخب التذكرة ورقة ٨١ ، الجانى / مخطوطة كنز الأخبار ورقة ٤٩ .

(٣) أخبار الدولة العباسى ص ٢١٩ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، المقرئى ، مخطوطة منتخب التذكرة ورقة ٨١٧ .

(٥) أخبار الدولة العباسية ص ٢٢٢ .

وقد أشاعت القيادة العباسية أنها بهذا التنظيم . . انما تنهج نهج الرسل والأنبياء السابقين ، وتسير على هدى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم . . وهذا من شأنه أن يزيد حماس الدعوة ويدفعهم إلى التضحية والإخلاص في سبيل الدعوة ومما جاء بهذا الشأن في مقدمة وثيقة تنظيم الجهاز الإداري النص التالي : « بسم الله الرحمن الرحيم . . ان السنة في الاولين والمثل في الآخرين وان الله يقول : « واختار موسى اقومه سبعين رجلا لميقاتنا » ثم قال في آية أخرى : « وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا » ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وافاه ليلة العقبة سبعون رجلا من الأوس والخزرج فبايعوه فجعل منهم اثني عشر نقيبا .. فإن سنتكم سنة بنى اسرائيل وسنة النبي عليه السلام » (١) .

وقد أوضحت القيادة أن تشكيل الجهاز وتنظيم كادر رجال الدعوات الدعوة وضع لتيسير مهمة الدعوة وليس لخلق فروق بين رجال الدعوة وليس لأحد على أحد فضل إلا بالعمل (ليس للنقيب أن يدعي الفضل على غيره . . انما الفضل . . بالعمل لا بالنقابة) (٢) .

وكان لهذا التنظيم أثره الطيب في تقدم الدعوة وتطورها وتركيزها ، كما كان لطريقة اختيار النقباء والدعاة بالغ الأثر على نمو الدعوة وانتشارها . فقد تم اختيارهم من بلدان متعددة من خراسان حسب أهمية البلد والأوضاع السائدة آن ذاك : من مرو ، ونسا ، وأبيورد

(١) أخبار الدولة العباسية ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٥ .

وبلخ ، ومرو الروذ ، وخوارزم ، وآمل ، وكل داعية كان سفيرا للدعوة في بلاده (١) .

ولقد قام كل منهم بدوره خير قيام في المناطق التي وكل إليه الدعوة فيها ، وكانوا جميعا قدرات عسكرية خلقة ، واخلاص للدعوة وتفان في سبيلها ، وكان لهم نصيب كبير من الدبلوماسية والدهاء والقدرة على اجتذاب الأنصار ، ويقول الدكتور حسن محمود (٢) : « لقد ليست الدعوة العباسية لبوسا ثقافيا ، وأغلب الدعاة تعمقوا في العلوم الإسلامية وبرعوا في الحديث أو الفقه أو اللغة ، وتولوا التعليم ، وأخذ الناس عنهم . . ونعتقد أن ثمة مدرسة للدعوة العباسية برزت في هذه الفترة تدرب هؤلاء وتعهدهم نفسيا وثقافيا وعسكريا وتعدهم لليوم المرتقب » .

* * *

(١) المصدر السابق ص ٢١٦ - ٢١٩ .

(٢) حسن محمود ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ص ٩ .

الدعوة في العراق

كان يقوم بتنظيم الدعوة في العراق ميسرة العبدى ثم بكير بن ماهان المروزي (١) وبعد وفاته اضطلع بمسئولية قيادة الدعوة : أبو سلمة الخلال وهو مولى عجمي (٢) ، وعرف فيما بعد بوزير آل محمد (٣) وقد قاموا بدور كبير في تنظيم الدعوة والتخطيط والدعاية لها . والجهد في سبيلها ، وقد أخلصوا في ذلك ، وأنفقوا الأموال وبذلوا كل ما يستطيعون من تضحية في سبيل الدعوة . . فنرى أهم دعاة العراق بكير بن ماهان ينفق أموالا طائلة اقتناها من السند في الصرف على الدعوة والدعاة ، وأرسل بعض دعاة خراسان من قبله مثل (عمار ابن يزيد) . الذى تسمى فيما بعد (بخداش) (٤) ، وأرسله محمد بن على لخراسان لعلاج بعض الامور الهامة (٥) .

-
- (١) المقرئى / منتخب التذكرة في التاريخ ورقة ٨١ ، ابن عساكر / تاريخ دمشق ج ١٠ ص ٢٥٨ ، المروزي . . نسبة إلى مدينة مرو أو مرو الروذ . . وكل منهما مدينة فارسية وتبعد الأولى عن الثانية ٤٧ فرسخاً . . انظر ابن خرداذبه / المسالك والممالك ص ٣٢ ، المسعودى / التنبيه والإشراف ص ٣٠٤ ، ابن الأثير / اللباب في تهذيب الأنساب ج ٣ ص ١٩٩
- (٢) الجاحظ / مجموعة رسائل ص ١٤ ، المسعودى / مروج الذهب ج ٣ ص ٢٧٠ ، الكازرونى / مخطوطة مختصر التواريخ ورقة ٤٢ ، برائق الوزراء العباسيون ج ١ ص ٨٠
- (٣) بكير وأبو سلمة . اتضح لى أنهم من الموالى انظر المسعودى مروج الذهب ج ٣ ص ٢٧٠ وانظر المصادر حاشية (١) من هذه الصفحة .. أما ميسرة فلم أجد فى المراجع التى بحث فيها على الرغم من الجهد الذى صرفته فى البحث ما يؤكد لى عدم عروبته .. ولكننى أرجح أنه مولى .
- (٤) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ١٩٦ .
- (٥) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٤٩ .

أما أبو سلمة الخلال : . فقد قاد الدعوة في الكوفة بعد وفاة صهره بكير بن ماهان في السنوات الخمس الأخيرة التي سبقت قيام الدولة العباسية ، وبذل جهودا كبيرة في هذا المجال ، وأنفق مالا كثيراً في سبيل قيام الدولة العباسية (١) . . ويقول الذهبي : « كان (أبو سلمة) من مياسير الكوفة ، فأنفق أموالا في إقامة دولة بني العباس » ، ويقول العمري في مخطوطته مسالك الأبصار عن أبي سلمة (٣) : « كان من أكبر الدعاة للدعوة وأعظم السعاة في استتباب الأمر » .

* * *

(١) ابن خلكان / وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٩٦ .

(٢) الذهبي / تاريخ الإسلام ج ٥ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٣) العمري / مخطوطة مسالك الأبصار ورقة ١٤٧ .

الدعوة في خراسان

قام بتنظيم الدعوة العباسية في خراسان عدد من الرجال منهم :
أبو عكرمة السراج مولى ابن عباس . . وهو أول الدعاة ، وقد تجمع
حوله عدد من الدعاة منهم : محمد بن خنيس ، وحيان العطار ، وعمار
العبادي ، وقد علم والى خراسان آن ذاك أسد بن عبد الله القسري بخبرهم
فطاردهم وقبض على أبي عكرمة وحيان العطار وقتلهما ولم يثن ذلك
عزائم البقية من الدعاة . . بل زادهم مضاء وعزيمة واصراراً على
نشر الدعوة (١) .

كما قام بالدعوة في خراسان حرب بن عثمان مولى بني قيس بن
ثعلبة من أهل بلخ . . واشتهر بحماسة للدعوة وخلفه على الدعوة
كثير الكوفي ، وكان نشيطاً متحمساً لنشر الدعوة . . وفي سنة ١١٨ هـ
وجه بكير بن ماهان إلى خراسان داعية اسمه عمار بن يزيد - فنزل
مرو وغير اسمه وتسمى بخدّاش ودعا الناس وأطاعوه ثم انحرف
وأظهر مقالات تفرقت بسببها الجماعة إلى فريقين فريق معه وفريق
عليه . . وقد اتهم بسبب هذه المقالات بالزيف وبإحياء الخرمية بما
أحل من الأمور المحرمة حيث أباح النساء وأفقي بانه لاصوم ولا صلاة
ولاحج ، ويزيد ابن عساكر في الرواية أن خدّاش أخبرهم أن ما يدعوه

(١) الشيبني / مؤرخ العراق ابن الفوطي ج ١ ص ٢٣ .

إليه عن أمر الأمير العباسي محمد بن علي وقد قتله والي خراسان أسد ابن عبد الله القسري (١) .

وخوفا من فتنة خدّاش أوفد محمد بن علي إلى شيعته في خراسان كبير دعاة العراق بكير بن ماهان يشعّهم بكذب خدّاش (٢) . . إلا أنهم لم يصدقوه وطلبوا منه علامة ليصدقوه بها . . فعاد إلى الإمام ثم جاء لهم بعلامة هي عبارة عن عصي مضببة وأعطي كل واحد عصا وصدقوه وعاد إلى الحق من اتبع خدّاش منهم وتاب (٣) .

ثم وجه الإمام محمد بن علي إلى خراسان خمسة نفر من شيعته هم : سليمان بن كثير ، ومالك بن الهيثم ، وموسى بن كعب ، وخالد ابن الهيثم ، وطلحة بن زريق ، (٤) وأمرهم بكمّان أمرهم والدعوة سرا فقاموا بنشاط كبير في نشر الدعوة لأهل بيت نبينهم ، والترغيب في الانضمام إليها ، ومالبثوا يصورون أعمال بني أمية بصورة بشعة ، وينشرون أقوالا دعائية ضدهم في المدن والقرى حتى هيئوا النفوس لتقبل الدعوة الجديدة ، واعتناق مبادئها ، والسير على منهجها . . وكان سليمان الخزاعي صاحب استقامة ورأى ، وله دور كبير وبارز في

(١) ابن عساكر / تاريخ دمشق ج ١٠ ص ٢٥٨ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ١٩٦ ، ابن خلدون : ج ٣ ص ١٠١

(٢) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٤٩ .

(٣) المصدر السابق ج ٨ ص ٢٤٩ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٢١٨ ، ابن خلدون ج ٣ ص ١٠١ - ١٠٢

(٤) مخطوطة منتخب التذكرة في التاريخ ورقة ٨١ .

الدعوة العباسية ، وقد اختاره أبو مسلم فيما بعد اماما للصلاة عند إعلان الثورة ، ولكن أبو مسلم اختلف مع سليمان بن كثير في النهاية وقتله كما سنرى .

وأخذت خلايا الدعوة تتسع وجذورها تتعمق في سهول خراسان وجبالها ، ونشطت حركة الدعاة وأصبح لابد للدعوة من رئيس على درجة كبيرة من الكفاءة والمقدرة يشرف على شئونها ، وينظم مسيرتها ، وقد أوضح دعاة خراسان لإبراهيم الإمام الذى تسلم قيادة الدعوة العباسية بعد وفاة والده محمد بن على . . حاجة الدعوة في خراسان إلى قائد وزعيم يتولى مسئولياتها ، ويضع الخطط للتحركات التى يقوم بها رجال الدعوة ، ويعد العدة لاطلاق الشرارة في اليوم المنتظر فاختار لهذا الأمر رجلا فارسيا في مقتبل العمر ذا حزم وعلم ودعاء هو : أبو مسلم الخراسانى . . أرسله ابراهيم الإمام . . ليتولى رئاسة الدعوة في خراسان سنة ١٢٧ هـ ، وأمر الشيعة بالسمع والطاعة له (١) .

وكتب الإمام للشيعة بخراسان كتابا هذا نصه : « صدق وعد الله لأوليائه . . وحقت كلمة الله على أعدائه ، ولاتبديل لكلمات الله ولن يخلف الله الميعاد ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح . . فقطع دابر القوم

(١) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٢٥٨ ، ابن خلكان / وفيات الأعيان ج ٣

ص ١٠١ - ١٠٢ ، المقرئ / مخطوطة منتخب التذكرة ورقة ٩٢ - ٩٣ ويحدد اليمانى في مخطوطته كنز الأخبار أن توجهه أبى مسلم الخراسانى إلى خراسان سنة ١٢٨ هـ - انظر ورقة ٦٢ من المخطوطة .

الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين . . أما بعد : فأعدوا لأعداء الله
النيات . . فانها سيوف لاتفل ، وأعدوا لأعداء الله البصائر فانها جنن
يقيقكم الله بها بأسهم ، واستشعروا الطاعة فانها سهام لانطيش ، أعلم
أنه بحسب السلامة في النيات تكون السلامة في الأبدان من نكبات
الظالمين ، وعلى قدر الزيادة في البصائر يزيد الله أهلها في الأبدى
والبطش ، فاستبصروا اليقين ، وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين . .
أما بعد : فقد وجهت اليكم مجد الدهر عبد الرحمن بن مسلم مولاى . .
فألقوا أزمة أموركم إليه . وحملوه أعباء الورد لها والصدر في محاربة
عدوكم ، وعاهدوا الله على الطاعة وكونوا بحبله معتمدين ، (وعد الله
الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض . كما
استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم
من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد
ذلك فأولئك هم الفاسقون) (١) .

- وكان العباسيون يدركون خطورة العنصر العربى فى تجمعه وتكتله
لذلك قرروا أن ^{يجعل} يشيعوا فيه الفرقة والتنازع وأن يذكوا نار العصبية
المتأججة بين قبائله فى خراسان حتى يكون هذا التفكك فى الوحدة
العربية عاملا من عوامل انتصارهم فى مرحلة الإعداد ثم عند العمل الجدى
لإقامة بنيان الدولة - لذلك نصح ابراهيم الإمام أبا مسلم بقوله :
« انك رجل منا - أهل البيت - احفظ وصيتى ، وانظر هذا الحى من
اليمن فالزمهم واسكن بين أظهرهم . . فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم ،

واتهم ربيعة في أمرهم أما مضر فانهم العدو القريب الدار ، واقتل من شككت في أمره ، وان استطعت أن لاتدع بخراسان من يتكلم العربية فافعل ، وأما غلام بلغ خمسة أشبار تهمه فاقتله ، ولا تخالف هذا الشيخ يعني سليمان بن كثير ولا تعصه ، وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به مني (١)

وتستبعد بعض المصادر من التوصية عبارة « وان استطعت أن لاتدع بخراسان من يتكلم العربية فافعل » (٢) ، وأنا أشك أن ابراهيم الإمام يوصي أبا مسلم أن لا يدع بخراسان من يتكلم العربية ان استطاع ذلك مع وجود عدد من أبرز الدعاة العباسيين في خراسان من العرب وفي مقدمتهم شيخ الدعوة سليمان بن كثير والذي أمر الإمام أبا مسلم الخراساني أن لا . . يخالفه ، ولا يعصه ، وإذا أشكل عليه أمر أن يكتفي به عنه كما ورد في الوصية .

أما أبو مسلم فكان شديدا يفتك بمجرد التهمة ، وقيل أنه قتل من اتهم أو وقع في نفسه منه شيء ستمائة ألف شخص (٣) .

وقد نزل أبو مسلم في بلخ عند أبي النجم عمران بن اسماعيل أحد النقباء في دعوة بني العباس في خراسان ، (٤) ومالبت أن صاهره وكان أبو مسلم من أبطال الحرب والسياسة كثير الدهاء واسع

(١) ابن قتيبة / الإمامة والسياسة ج ٢ ص ١٣٧ . ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٣٤٨ ،
للبياني / مخطوطة كنز الأخبار ورقة ٦٢

(٢) الأزدي / تاريخ الموصل ص ٦٥ .

(٣) ابن خلكان / وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٤٨

(٤) المقرئ / مخطوطة منتخب التذكرة في التاريخ ورقة ٨١ .

الحيلة خبيراً بما يقتضى عمله ، يتناول الأمور بحزم وبأس شديد (١) .

تولى رئاسة الدعوة العباسية في خراسان ، وكان يدبر الأمور بحكمة ودهاء ، وقد أصاب نجاحاً كبيراً في نشر الدعوة وغرس جذورها وأخذ يصور للناس فساد الحكم الأموى وما يسومهم من خسف وظلم وأنه سيملكهم الأرض ، ويجعلهم سادة بعد أن كانوا عبيداً فسمع له الناس وأطاعوا وأجابوا دعوته . (٢) ، والتف حوله أعداد كبيرة من أهل خراسان الذين رأوا فيه منقذاً لهم من الحكم العربى الأموى الذى سامهم خسفاً ، وحقيقة أن اختيار رئيس للدعوة في خراسان من أصل فارسى أمر وفق فيه الإمام حيث أن القوة الضاربة هناك والقاعدة الجماهيرية والذين ينتظر أن يناصروا الدعوة هم الفرس واستجابتهم لدعوة يتولى رئاستها شخص من بنى جلدتهم أمر أقرب إلى الحقيقة لأنهم ينتظرون الخلاص على يده من الحكم الأموى وتحقيق أحلامهم ، وارضاء طموحهم .

وقد نهج أبو مسلم مع زعماء القبائل هناك مبدأ : « فرق تسد » ، فضرب زعماً بآخر وأشاع بينهم الفرقة والبغضاء (٣) حتى قضى على الجميع وصنى الامر لنفسه ، وتسلم الزمام ، ورفع الرايات السود خفاقة

(١) أحمد فريد / عصر المأمون ج ١ ص ٨٤ .

(٢) شوق ضيف تاريخ / الأدب العربى / العصر العباسى الأول ص ١١ - ١٢ .

(٣) سزى تفصيل ذلك في الصفحات القادمة .

فى سماء خراسان ، وكان أبو مسلم الدعامة القوية والركيزة الأولى التى قامت عليها الدولة العباسية بل هو رجلها الاول دون منازع .

وللدور الكبير الذى قام به أبو مسلم الخراسانى فى قيام الدولة العباسية . ، سأتحدث عن حياته المبكرة وكيفية التحاقه بالدعوة العباسية .

أيام أبي مسلم الأولى

لقد تعددت الروايات في أصل أبي مسلم الخراساني ، وكيفية التحاقه بابراهيم الإمام وانضمامه للدعوة العباسية ، قيل إنه كردي (١) وقيل أنه ادعى أنه عربي من ولد سليط (٢) بن عبد الله بن العباس (٣) ولكن معظم المصادر التاريخية تجمع على أنه فارسي الاصل (٤) .

أما عن كيفية التحاقه بابراهيم الإمام وانضمامه للدعوة فيروى الدينوري (٥) أن أبا مسلم كان مملوكا لعيسى وادريس ابني معقل ... وقد ولد عندهما فنشا غلاما فهما أديبا فاحباه حتى نزل منهما منزلة الولد وحصل أن اشتكى عمال اصبهان وهمذان والماهان عيسى بن معقل إلى أمير العراق يوسف بن عمر الثقفي لعدم تسديده جميع الخراج المترتب عليه ، وأخذ إلى السجن في الكوفة ، وكان في السجن جماعة من شيعة العباسيين وكان عيسى قبل شخوصه للسجن قد كلف أبا مسلم ببعض الأعمال . . فلما أنجزها لحق بعيسى فسر بقدومه ونزل دار ابن عيسى في بني عجل - وكان يزور عيسى بسجنه ويخدمه ،

-
- (١) ابن خلكان / وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٥٥ .
 - (٢) وقد ناقشه أبو جعفر المنصور عن هذا الادعاء في مناظرته المشهورة له قيل الفلك به .
 - (٣) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٢٥٦ .
 - (٤) انظر الدينوري / الأخبار الطوال ص ٣٣٧ ، ابن طباطبا / الفخرى ص ١٣٩ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٢٥٤ ، أخبار الدولة العباسية ص ٢٥٣ .
 - (٥) الدينوري / الأخبار الطوال ص ٣٣٧ .

وكان في السجن نفر من وجوه الشيعة العباسية وأثناء زيارته كان يسمع كلام الشيعة فوجد حديثهم هوى في نفسه ولما رأوا حبه لأمرهم ، وحرصه على معرفة أخبارهم اطلعوه على حقيقة أمرهم ودعوه إلى ما يدعون إليه ، فاستجاب لهم ، وأفضوا إليه بأسرارهم وأعجبوا بعقله وبصيرته .

وبلغ أمير العراق أخبار عن عيسى جعلته يحقد عليه فامر بضربه حتى مات تحت السياط ، فادعى أبو مسلم أن عيسى أعتقه قبل موته (١) وصار في النهار يعمل مع السراجين لان له خبرة في عمل السروج وصناعة الأدم (٢) ، وفي الليل مع الشيعة في السجن حتى قدم إلى الكوفة قوم من شيعة العباسيين في خراسان هم : سليمان بن كثير ، ولاهز بن قريط ، وقحطبة بن شبيب (٣) ، وهم في طريقهم إلى ابراهيم الإمام ~~نمكة~~ ومروا على الشيعة المسجونين بسجن الكوفة لزيارتهم . . فبعث معهم شيعة الكوفة أبا مسلم الخراساني إلى الإمام . . وكتبوا معه مايلي : أما بعد . . فقد بعثنا إليك غلاماً أميناً ليبيبا أديبا كتوما حافظاً لما استرعى مؤدياً لما أعطى اتخذناه لانفسنا وأتمناه على سرنا ، فهو على ماتحب ، فضع عنده ما أحببت أن تضع فانه على ماتحب في جميع خصاله (٤) .

(١) أخبار الدولة العباسية ص ٢٦٠ .

(٢) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٢٥٥ .

(٣) الدينوري / الأخبار الطوال ص ٣٣٧ .

(٤) أخبار الدولة العباسية ص ٢٦١

وقرأ إبراهيم الخطاب وفحص أبا مسلم وامتحنه ووجده كما وصفوه وكتب لهم الكتاب بالتالى : « أما بعد . . فقد قدم على رسولكم وقرأت كتابكم وعلمت الذى ذكرتم ، وقد تخيلت فى رسولكم الخير وتاملت فيه شمائل الذى يقوم بهذا الامر ، فاحتفظوا به ورغبوا فيه فإنه صاحبكم الذى يقوم بهذا الأمر (١) .

قدم أبو مسلم على شيعة العباسيين بالكوفة ومعه خطاب الإمام .. فاحتفظوا به ، واستعملوه فى مراسلاتهم إلى الإمام وبقي فترة على هذه الحال ثم رغب إبراهيم الإمام أن يستعملوا فى مراسلاتهم شخصاً آخر ويبقوا أبا مسلم عنده لخدمته وليستعين به فى أمره .

فأبقت الشيعة أبا مسلم عند إبراهيم الإمام ، ولقد صادف ذلك رغبة فى نفس أبي مسلم ربما ذلك ليكون قريباً من مركز الدعوة الرئيسى ليستطيع التخطيط أو المساعدة فى التخطيط بما يحقق أهدافه ويرضى طموحه ، وظل عند إبراهيم سنوات يقوم بخدمته ويستعين به فى أموره حتى بعثه ليقوم بأمر الدعوة فى خراسان .

وقيل إن أبا مسلم كان غلاماً لابي موسى السراج . . يتعلم منه السراجة ويخدمه ، وكان أبو موسى من موسرى الكوفة ومن دعاة الشيعة ، ويزاول مهنة التجارة بالسروج ، وكان أبو مسلم يخزله الأئنة ويعمل السروج (٢) .

(١) المصدر السابق ص ٢٦١ .

(٢) ابن الأثير / الكامل ج ٢ ص ٢٥٥ ، أخبار الدولة العباسية ص ٢٥٤ .

وكان أبو مسلم من ضياع بنى معقل العجليين ، وحصل أن ادريس ، وعيسى . . ابنا معقل العجليين سجنا في الكوفة ومعهما في السجن عاصم ابن يونس العجلي . . أحد دعاة بنى العباس ، وكان سجنه بسبب تهمته بالدعوة للعباسيين (١) .

كان أبو مسلم يزورهم في السجن . . ويقدم لهم الخدمة ، وقد قدم جماعة من نقباء الدعوة العباسية ، وهم النفر الذين أشرنا لهم في الرواية السابقة : (سليمان بن كثير ، ولاهز بن قريط ، وقحطية بن شبيب) . وزاروا الشيعة الموجودين في السجن وهم في طريقهم للحج (٢) ، وقابلوا أبا مسلم فاعجبوا بخفته وعقله وأدبه ، ولما عرف أبو مسلم حقيقة أمر النقباء مال إليهم وقال : « أنا صاحبكم وأكون معكم » . . فسألوا أبا موسى السراج أن يعينهم به ففعل وكتب معه إلى ابراهيم الإمام كتابا ، وتوجه النقباء إلى مكة ومعهم أبو مسلم والتقوا بالإمام حيث كانوا معه على موعد سابق ، ولما رأى أبا مسلم عرفه لانه كان يراه في مجلس أبيه (٣) ، وقد أعجبه منطق أبي مسلم ورأيه وأخلاقه فقال : « هذا عضلة من العضل (٤) » ، واستبقاه عنده لخدمته حتى بعثه ليقوم بأمر الدعوة العباسية في خراسان كما وضعنا في السياق السابق .

ونفهم من هذه الرواية أن أبا مسلم كان على اتصال بمحمد بن علي

(١) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٢٥٥

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص ٢٥٦ .

(٤) ابن خلكان / وفیات الأعيان ج ٣ ص ١٤٦ ، أخبار الدولة العباسية ص ٢٥٦ .

والد ابراهيم . . ولكن لم توضح الرواية هل كان لغرض الدعوة
أو لأُمور أُخرى لانتت للدعوة بصلة ، وقد تعددت الروايات التى تناقلها
المؤرخون . . وأوردنا بعضاً منها . . فى هذا البحث عن أصل أبى مسلم
وأسباب التحاقه بزعم الدعوة العباسية : ابراهيم بن محمد . : ولاحظنا
أنه انضم لابراهيم ولازمه فاعجب به وكان يستخدمه لأُموره
الهامة حتى طلبت شيعة العباسيين فى خراسان من الإمام بعث شخص
على قدر من الكفاية والقدرة يتولى رئاسة الدعوة فى خراسان يخطط
لها وينظم أُمورها فاختار لذلك أباً مسلم ، وكان اختياراً موفقاً لانه بحق
أعطى القوس باربها .

قال المأمون لما ذكر أبو مسلم عنده : « أجل ملوك الارض ثلاثة
هم الذين قاموا بثقل الدول : الاسكندر ، وأردشير ، وأبومسلم
الخراسانى (١) .

ويورد المقدسى وصفا لابى مسلم فيقول : « كان قصيراً أسمرأً
جميلاً حلواً . . نقى البشرة . . أحور العين . . عريض الجبهة حسن
اللحية . . وافرها طويل الشعر . . طويل الظهر . . قصير الساق
والفخذ . . خافض الصوت فصيحاً بالعربية والفارسية . . حلواً منطوق
راوية للشعر . . عالماً بالأُمور . . لم ير ضاحكاً ولا مازحاً إلا فى وقته
ولا يقطب فى شىء من أحواله . . تأتبه الفتوحات العظام فلا يظهر

(١) ابن خلكان / وفیات الأعيان ج ٣ ص ١٤٧ .

عليه أثر السرور . . وتنزل به الحوادث الفادحة فلا يرى مكتئبا . .
وإذا غضب لم يستفزه الغضب (١) .

وكان أبو مسلم كريما . . ولما حج - نادى في الناس : « برئت
الذمة ممن أوقد نارا . . وبذلك كفى العسكر ومن معه أمر طعامهم
وشراهم في ذهابهم وإيائهم (٢) .

* * *

وكان لأبي مسلم الدور الرئيسي والاثـر الفعال في نجاح الدعوة
العباسية ومن ثم قيام دولتهم والقضاء على دولة بني أمية . . وكان له
من القدرات العظيمة ما جعله أعظم دعاة بني العباس كفاية وحنكة
ودهاء ... أوقع خصومه في كثير من الشراك التي نصبها وحال دون
اتحادهم حتى انتقل بالدعوة من نصر إلى نصر (٣) .

ويقول صاحب أخبار لدولة العباسية في معرض حديثه عن الدعوة
العباسية وقيام دولة بني العباس : « ثم قبض الله أبا مسلم حتى انتهت
به الغاية وحصد من كان يرمقها ويطمع فيها (٤) .

ويقول ابن تغرى بردى : « (أبو مسلم) صاحب دعوة بني العباس

(١) المقدسي / البدء والتاريخ ج ٦ ص ٩٣ ، وأوردنا نص الوصف بقصد لقاء الضوء
على ما يتصف به من صفات خلقية يتميز بها عن سواء من علم بالأمور وثبات الجاش والثقل
والعمق وعدم التأثر بما يصيبه من كسب أو خسارة . . وهذه ميزات قلما تتوفر لدى انسان .

(٢) ابن خلكان / وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٤٨ .

(٣) فلهوزن / تاريخ الدولة العربية ص ٤٩١ .

(٤) أخبار الدولة العباسية ص ٢٥٢

وأحد من قام بأمرهم حتى تم له ذلك ، ووطأ لهم البلاد وقتل العباد (١) .

أما الدكتور - محمد الطيب النجار فيقول عن أبي مسلم : « وكان من الطبيعي أن يسارع الموالي وهم في هذا الإقليم أكثرية وغالبية إلى الانضواء تحت راية ذلك الزعيم القسوى الذى عرف كيف يدير السفينة وسط هذه الامواج المتلاطمة ، وكيف يستغل العواصف الجائحة فيوجهها لمصلحته ويجعلها أساس خير لحركته » (٢) .

وكان لأبي مسلم خبرة فائقة ، وكفاية نادرة ، في أمور الحرب وقيادة الرجال ، وقد مكنته ذلك من ارساء دعائم الدولة العباسية وأصبح صورة من زعامة قوة الموالي النامية الذين ظهروا على مسرح السياسة ، وآلت إليهم مقاليد الأمور يتصرفون فيها كيف يشاءون فقد كان أبو مسلم مقدمة للبرامكة ، وآل سهل ، والطاهريين والبويهيين ، ولقد وضع أبو مسلم أساس الدولة الخراسانية التى خشي المنصور أن تتحقق في حياته فتحققت في عهد المامون باستقلال الطاهريين (٣) ، وكان يلقب بعدة ألقاب منها : صاحب دعوة بنى العباس ، وصاحب دولة بنى العباس ، وأمير آل محمد (٤) . . وسوف أتحدث عن اتجاهات أبي مسلم ، وأهدافه ، ونهايته في مكان آخر من هذه الرسالة .

* * *

(١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٣٥ .

(٢) الطيب النجار / الموالي في العصر الأموى ص ١١٧ .

(٣) الطبرى / تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٢٦٧ ، حسن محمود / العالم الإسلامى في العصر العباسى ص ٤٥

(٤) العنى / مخطوطة تاريخ البدر فى أوصاف أهل العصر . . ورقة ٢٥ .

سر اختيار خراسان مركزاً للدعوة العباسية

كان العباسيون يقدرّون أنّهم لن يجدوا تاييداً من العلويين أو من العرب عامة . . ولهذا انصرف جل اهتمامهم إلى اختيار الانصار من الفرس عامة والخراسانيين بصفة خاصة ، وإلى أن تكون المراكز الرئيسية في الدعوة لهؤلاء الموالى الذين اشتد اتصالهم بالعباسيين وفي التوجيهات التي كان يوجهها زعماء الدعوة العباسية لخاصة دعائهم كانوا يوضحون سر هذا المسلك . . ومن ذلك قول محمد بن علي في الخطاب الذي وجهه إلى بعض دعائه وفيه يتضح السر في اختيار خراسان مكاناً لممارسة نشاط الدعوة - ونص الخطاب : « أما الكوفة وسوادها . . فشيعة علي وأولاده ، وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف وتقول : كن عبد الله المقتول ، ولاتكن عبد الله القاتل وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب أعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان ، وطاعة مروان وفيهم عداوة راسخة وجهل متراكم ، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليها أبو بكر وعمر ، ولكن عليكم بخراسان . فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر . . وهناك صدور سليمة ، وقلوب فارغة . . لم تنقسمها الاهواء ، ولم تتوزعها النحل ، ولم يقدح فيها فساد . . وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحي وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة . . وبعد :

فإني أتفائل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق (١) .

من هذا النص يتضح لنا أن الزعيم العباسي كان على دراية كاملة بتوزيع الولاءات السياسية في الأقاليم الإسلامية ، وأن درايته هذه وجهته إلى إقليم خراسان ليكون منطلق دعوته ، وهناك ثلاثة أمور جعلت خراسان مكانا مناسباً لنشر الدعوة :

أولاً : ان الدعوة العباسية اتخذت الدعوة للرضا من آل محمد شعاراً لها . . والدعوة لآل البيت مؤداها نقل الخلافة إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم . . وهذا مماثل ما كان سائدا لدى الساسانيين من نظرية الحق الإلهي للملوك حيث كان يتوارث الملك أهل بيته ولا يجوز نقله إلى غير بيت الملك .

ثانياً : ان البلاد الفارسية كانت ذات تاريخ وملك قديمين وقد قاسى الفرس من استبداد الأمويين ، وعوملوا معاملة تنطوى على عدم المساواة بينهم وبين العرب ، وكان العنصر العربي بينهم . . صاحب الكلمة العليا والنقوذ السائد ، وكان أهل فارس مستعدين للتعاون مع أى ثائر ضد الحكم القائم للتخلص منه .. لذلك عملوا على معاونه الداعين إلى نقل الخلافة إلى بيت النبي (٢) .

(١) المقدسي / أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ، انظر المقرئ

نطوة منتخب التذكرة في التاريخ ورقة ٨١ .

(٢) سرور / الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ص ١٧٤ .

ثالثاً : اشتعال نار العصبية في خراسان وقد مكن ذلك العباسيين من نشر دعوتهم وغرس جذورها في خراسان ، وكان ذلك من الاسباب التي ساعدت على اضمحلال سلطان بني أمية ، والعصبية القبلية قديمة في القبائل العربية كانت مشتعلة في الجاهلية قبل الإسلام وكانت تضيق وتتسع حسب الظروف والاحوال . . فتشتعل أحيانا بين عدنان وقحطان ، وأحيانا بين القبائل العدنانية نفسها مثل ربيعة ومضر وهكذا شان بقية القبائل العربية تشتد عصبياتها أحيانا وتفتت أحيانا أخرى (١) .

* ولما جاء الإسلام بآدابه السمحة ومبادئه العادلة ألف بين القبائل ، وزالت البغضاء والإحقاد من القلوب ، وقد ورد اشارة لذلك في قوله تعالى : « هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو انفقت مافي الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم . . ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم » (٢) .

ألف الإسلام بين القلوب وأوهم آثار العصبية في نفوس العرب وبقيت الحال على ذلك حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين ، ولما جاء العهد الاموى ، واستقر الناس في الحواضر الإسلامية عاد إليهم ما كان موجودا في الجاهلية ، فتفاخروا بما كان لأبائهم من مجد في الجاهلية وبلاء في الإسلام . .

(١) الطبرى / تاريخ الرسل والملوك ج٩ ص ٦٨-٧٤ ، اليعقوبى / ج ٢ ص ٣٣٣ ،

أحمد رفاعى / عصر المأمون / ج ١ ص ٧٤ .

(٢) سورة الأنفال . . آية ٦٢ ، ٦٣ .

ومن المناطة التي اشتعلت فيها نار العصبية بشكل كبير خراسان ،
ولقد زاد في اذكاء نار العصبية بين القبائل العربية في هذه المنطقة
حمق بعض الولاة وتصرفاتهم البعيدة عن الحزم والحكمة حيث
كان كل وال يقرب أفراد قبيلته ويسند إليهم المناصب ويمنحهم
الميزات ويبعد الآخرين فتشتعل بذلك الاحقاد وتشتد الضغائن وتقوم
الفتن وتضطرم الحروب الاهلية كما حصل بين عبد الله بن خازم
والى خراسان وتناصره مضر وبين أوس بن ثعلبة الذي استنصرت به
ربيعة وبابيعته على أن يقاتل ابن خازم ويخرج مضر من خراسان ،
ودارت حروب بين الطرفين انتهت بهزيمة ربيعة (١)

وكان أسد بن عبد الله القسري أثناء ولايته على خراسان يتعصب
لقبيلته حتى أفسد الناس وضرب نصر بن سيار بالسياط ، وكذا
عبد الرحمن بن نعيم ، وسورة بن أبجر ، والبختري بن أبي درهم ،
وعامر بن مالك ، وسيرهم إلى أخيه خالد بالعراق وكتب إليه أنهم
أرادوا الوثوب به فلامه وعنفه وقال : « هلا بعثت برؤوسهم » (٢) .

ومما زاد في تفاقم الأمور في خراسان واضطراب الامر فيها تهاون
بعض الخلفاء الامويين وعدم تقديرهم لشعور الناس عند تولية الولاة ،
فنرى هشام بن عبد الملك يعين نصر بن سيار واليا على خراسان
مع ضعف عصبيته وهو يعلم ذلك حيث قال هشام لمن استشاره في تعيينه

(١) انظر الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ٦٨ - ٧٤ ، يعقوب ج ٢ ص ٣٣٣ .

(٢) ابن خلدون ج ٣ ص ٨٦ .

وأعطاه المشورة بعدم صلاحيته لضعف عصبيته في خراسان : « أوتريد
عشيرة أقوى مني أنا عشيرته » ، وكان تعيين نصر بن سيار في ولاية
خراسان من مساويء تصرفات هشام بن عبد الملك نظرا لضعف عصبيته .
ويقول الدكتور - أحمد رفاعي (١) : « وقد بلغت العصبية بين مضر
واليمن في خراسان طورا عنيفا جعل التزاوج بين القرنيين موضع
اضطهاد وسخرية وازدراء »

وعندما هدم البانيون دور المضرية أثناء الحرب التي أشعلتها نار
العصبية بين نصر بن سيار وجديع الكرمانى (٢) قالت أم كثير
الضبية :

لأبارك الله في أنثى وعذبا تزوجت مضريا آخر الدمار
أبلغ رجال تميم قول موجعة أحللتموها بدار الذل والفقر
ان أنتم لم تكروا بعدجولتكم حتى تعيدو رجال الازد والطهر
انى استحييت لكم من بذل طاعتكم هذا المزونى يجيبكم على قهر

قال الشاعر عباد بن الحارث :

ألا يانصر قد برح الخفاء وقد طال التمنى والرجاء
وأصبحت المزون بارض مرو تقضى في الحكومة ما تشاء
يجوز قضاؤها في كل حكم على مضر وان جار القضاء

(١) أحمد رفاعي / عصر المأمون ج ١ ص ٧٧ ، انظر اليعقوبى ج ٢ ص ٣٣٢

(٢) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ٧٤

وحمير في مجالسها قعود ترقرق في رقابهم الدماء
فان مضر بذا رضيت وذلت فطال لها المذلة والشقاء
وان هي أعتبت فيها والا فحل على عساكرها العفاء

* وقد عرف دعاة بني العباس كيف يستفيدون من هذه الصراعات العصبية التي ساعدت على انهك الامويين وتقليص نفوذهم

فنصر بن سيار لما ولي أمر خراسان قرب مضر ، وتحامل على اليمن وربيعه وقد غضب عليه جديع بن علي الكرمانى الازدى ، وكان رئيس الازد آنذاك وناصر اليمن وربيعه فاخذه نصر وحبسه . إلا أن ربيعة واليمن أخرجه من السجن ، ولما رأى الكرمانى تاييد اليمن وربيعه له ضد نصر بن سيار وثب به فحاربه ، وكان له العلو على نصر (١) ، وقد استفاد أبو مسلم الخراسانى رئيس الدعوة العباسية فى خراسان من هذه الخلافات والحروب الدائرة على أرض خراسان بين نصر والكرمانى وحاول زرع الفتنة بينهم وضرب واحدا بالآخر وأظهر أبو مسلم ميلا للكرمانى وطلب منه الدعوة إلى آل محمد وصار يستميل أصحابه ويدعوهم إلى ذلك حتى أظهروا دعوة بنى هاشم فى خراسان (٢).

لقد اشتد أمر الكرمانى بانضمام أبى مسلم الخراسانى إليه إلا أن الكرمانى قتل بسلح القوة التى بعثها نصر بن سيار بقيادة ابن الحارث ابن سريج الذى كان موتورا حيث أن الكرمانى قد قتل والده ، وكان

(١) اليعقوبى ج ٢ ص ٣٣٣ .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

الحارث أحد أطراف النزاع في خراسان وكان يدعو إلى كتاب الله والعمل بالسنة والبيعة للرضا من آل محمد ، وكان يناصره ستون ألفا بين عرب وعجم (١)

وبعد قتل الكرمانى قام بالامر بعده ابنه على الكرمانى واتفق مع أبى مسلم على قتال نصر فقاتلوه حتى أخرجوه من دار الإمارة في مرو ، ودخلوا مرو وأعلن على الكرمانى طاعته وائتماره بامر أبى مسلم (٢) .

لقد ساقنى الحديث إلى الاستطراد عن الصراع القبلى في خراسان حتى بعد بداية الدعوة العباسية مع أنى أبحث أحد الاسباب التى دعت الزعيم العباسى إلى اختيار خراسان منطلقا لدعوته فقط ، ولكن رأيت من المناسب ربط الحديث ببعضه عن هذا الموضوع وحتى اعلان الثورة ، وقد رأينا بداية الصراع قبل مولد الدعوة العباسية

وهكذا فإن الأمور الثلاثة التى استعرضناها ، كانت حوافز جيدة لاختيار خراسان مركزاً لنشر الدعوة ، وكان ذلك اختيارا موفقا وقد استفاد الدعاة العباسيون من اضطراب الأمور في خراسان واشتعال نار العصبية بين القبائل العربية هناك كما استفادوا من نقمة الموالى على الامويين ، واستغلوا ذلك أفضل استغلال ، وتمكنوا من غرس بذور الدعوة في هذه التربة الخصبة والمناخ الملائم حتى عظم شأنها ، واشتد عودها ، وكثر رجالها وحققت الهدف الذى تسعى إليه ورفعت الرايات

(١) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٦٥ ، ابن تغرى . يردى / النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣١٠ .

السود خفاقة في أرجاء خراسان وزحفت الجيوش من خراسان إلى الكوفة تحت لواء الدعوة الظافرة وبخط مغاير لزحف الجيش الإسلامي الذي رأته إيران في عهد عمر بن الخطاب يزحف من القادسية إلى مرو (١) .

* أسباب استعانة العباسيين بالفرس واستجابتهم لهم :

لقد سبق القول عند الحديث عن أسباب اختيار خراسان مركزاً لنشر الدعوة أن العباسيين كانوا يقدرّون أنهم لن يجدوا العون من بنى عمهم العلويين ومن العرب عامة . . لذلك اتجهوا إلى اختيار الانصار من الفرس لإدراكهم أن الفرس وغيرهم من الموالي متذمرون من الحكم الأموي الذي رأوا أنه أجحف بنحقهم وعاملهم معاملة ظالمة وفرق بينهم وبين العرب في الحقوق والمعاملات وكانوا يعانون حيفاً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً . . لذلك أصبحوا عوناً لكل من خلع الطاعة أو طلب الخلافة من العلويين والخوارج وغيرهم كما مر بنا .

وقد استغلت القيادة العباسية هذا الشعور لدى الفرس استغلالاً جيداً واستفادوا من هذه العناصر الساخطة على الدولة الأموية ، واتخذوا معظم دعايتهم منهم ، وبرز منهم عدد لا يستهان به ، إحتلوا أماكنهم في مراكز قيادية في سلم الدعوة العباسية وتحملوا مسئوليات كبيرة في نشرها في شرق الارض وغربها .

(١) حسن محمود / العالم الإسلامي في العصر العباسي ص ٥٨ .

وكان معظم الدعاة والنقباء من الفرس ، وكان للفرس دور كبير وأثر فعال في قيام الدولة العباسية . (١) ، وكانت القيادة العباسية توصي رجالها بضرورة اجتذاب الاعاجم إلى صفوف الدعوة ، وبصدد ذلك يقول محمد بن علي في خطابه إلى رئيس الدعاة في خراسان آنذاك : « واستكثر من الاعاجم فانهم أهل دعوتنا وبهم يؤيدها الله » (٢)

ويقول محمد بن علي أيضاً : « قد خصنا الله باهل خراسان فهم أنصارنا وأعواننا وذخائرنا » (٣) ، كما قال في خطابه الذي دونا نصه في موضع آخر من هذا الكتاب والموجه لبعض دعائه : « عليكم بخراسان ، فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر ، وهناك صدور سالمة وقلوب فارغة لم تنقسمها الاهواء ولم تتوزعها النحل ، وليست لهم اليوم همم العرب ، وما يزالون يدالون ويمتهنون ويظلمون ويلطمون ويتمنون الفرج ويؤملون » (٤) .

من هذا المنطلق اعتمد العباسيون على الفرس في نشر دعوتهم والدعوة لهم ، وقد تفاءل الزعيم العباسي محمد بن علي في خراسان وأهلها خيراً في مناصرة ومؤازرة دعوته وصور هذا التفاؤل في خطابه الذي وجهه لبعض دعائه ، وقد تضمن الخطاب دراسة تحليلية لمناطق

(١) انظر الجاحظ / مجموعة رسائل ص ١٤ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص ٢٠٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٥ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

التجمع العربي ، ومدى مايتوقع من مؤازرة وتأييد لقضية العباسيين وهو مدى محدود بل هو في الواقع غير موجود (١) . لهذا كان اتجاههم للفرس واعتمادهم عليهم

وورد في بعض الروايات أن ابراهيم الإمام أوصى رئيس دعوته في خراسان أبا مسلم الخراساني أن لايدع بخراسان من يتكلم العربية ان استطاع (٢) ، وقد ناقشت هذه الرواية في موضع آخر من هذا الكتاب وشككت في صحتها لانه كان يوجد من بين دعاة بني العباس البارزين من ينتمون إلى العنصر العربي مثل : سليمان بن كثير الخزامي ومن غير المتوقع أن يوصى الإمام بهذه الوصية

إنما الامر الثابت أن العباسيين وثقوا بالفرس واعتمدوا عليهم وعلقوا عليهم الآمال ، وكان الفرس عند حسن ظن العباسيين بهم إذ تفانوا في سبيل نجاح الدعوة العباسية ، وتعرضوا للمتعاب والويلات والتعذيب بل الإعدام أحيانا من ولاة بني أمية (٣) .

ولقد استجاب الفرس للدعوة العباسية رغبة في التخلص من الحكم الاموي وأملا في استعادة سلطانهم الغابر الذي قوض المسلمون أركانه ، وكان هذا دأب غالبيتهم مناصرة أى ثائر ضد الدولة الاموية وما لبثوا

(١) محمد حلمي / الخلافة والدولة في العصر العباسي ص ٣٢ .

(٢) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٣٤٨ ، ابن قتيبة / الإمامة والسياسة ج ٢ ص ١٣٧

(٣) الطبري المصدر السابق ج ٨ ص ١٨٨ ومثال من أعدموا من الدعاة: أبو بكرمة السراج ،

ينتهبزون الفرص كلما لاحت لهم في سبيل القضاء على هذه الدولة العربية لانهم كانوا يحقدون على الامويين بل على العنصر العربي باكملة ، ويسعون جهدهم في البحث عن سبيل يلتمسون فيها الخلاص من محتهم التي يعيشونها فقد انضموا إلى حركة المختار بن عبيد الثقفي سنة ٦٦ هـ أملا في تحقيق مآربهم بارجاع سيادتهم القومية وتحطيم السيادة العربية ، ورغبة في الانتقام لانفسهم (١) ، وكان أغلبية جيش المختار من الفرس وغيرهم من الموالى (٢)

وجاءت بعد ذلك ثورة عبد الرحمن بن الاشعث وهو رجل عربي جرىء كان من المقربين للحجاج الثقفي إلا أنه ثار عليه وأخذ يؤلب الناس ضده ويجمع الجموع لمحاربتة ، (٣) وفي هذه الثورة وجد الفرس وغيرهم من الموالى الناقمين على الحكم العربي ضالتهم المنشودة للقضاء على سلطان بنى أمية ، فانضموا تحت لبواء الثائر، وقد قيل إن من قاتل مع بن الاشعث من الموالى في موقعة دبر الجماجم نحو مائة ألف مقاتل (٤) وقد فشلت ثورة ابن الاشعث بالقضاء عليه سنة ٨٥ هـ .

كما انضم الفرس وغيرهم من الموالى إلى العلويين الذين طالبوا بالخلافة وقاتلوا في صفوفهم إلا أنهم لم يفلحوا

ولما بزغ فجر الدعوة العباسية وبدأت نشاطها متخذة من شعاراتها

(١) د. محمد الطيب النجار / الموالى في العصر الأموى ص ١٠١

(٢) الدينورى / الأخبار الطوال ص ٢٨٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٣١٦ - ٣١٨ .

(٤) الطبرى تاريخ الوسل والملوك ج ٨ ص ١٥ .

الدعوة للرضا من آل محمد وذلك سنة ١٠٠ هـ .. (١) التف الفرس
حولها وأيدوها وصرفوا المال والجهد في سبيلها مستبشرين بهذه الدعوة
الجديدة ومتفائلين بالخلاص من حكم بني أمية واستعادة مجدهم
الغارب في ظل السلطة الجديدة المرتقبة . . لاسيما أن دعاة بني العباس
وأغلبهم من الفرس أغروا الفرس بالانضمام إلى الدعوة فقد نادوا
بتحسين حالهم ، ومساواتهم بالعرب واشراكهم في إدارة شئون الدولة
متخذين ذلك أساسا لبرنامجهم الاجتماعي ، كما وعدوا باقامة العدل
وأن يقوم إمامهم في الحكم وفق الكتاب والسنة (٢) .

لذلك تهافت الفرس على هذه الدعوة وآزروها وبذلوا كل طاقاتهم
في سبيلها ، ولقد أوردت في حديثي عن أسباب اختيار خراسان مركزاً
لنشر الدعوة العباسية تحليلاً يقارب أو يماثل مما ساورده عن أسباب
استجابة الفرس للدعوة العباسية ، وتشيعهم لآل البيت لتداخل
الموضوعين ، وهو أن فكرة التشيع يفهمها الفرس من المسلمين بسهولة
لان مؤداها نقل الخلافة إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم . . صاحب
الرسالة . . وسيد الأمة وذلك قريب مما كان عندهم من نظرية الحق
الإلهي للملوك ولايجوز نقله إلى غير بيت الملك ، كما أن البلاد الفارسية
كان لها تاريخ عريق ومجد تليد ، وقد عامل بنو أمية الفرس معاملة
غير عادلة فكانوا مستعدين لان يقوموا بالعمل على تغيير الدولة الحاضرة

(١) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ١ ص ١٣٥ - ابن كثير / البداية والنهاية ج ٩ ص ٨٨ ،
الباني / مخطوطة كنز الأخيار ورقة ٤٩ .

(٢) سرور / الحياة السياسية في الدولة الإسلامية ص ١٦٨ .

واخراج الخلافة إلى الدولة المستقبلية كى يكون لهم فيها حظ أحسن من حظهم فى دولة بنى أمية (١) .

وقد تشبع عدد كبير من عظماء الفرس وعامتهم للدولة العباسية ، وأسهم كثير منهم اسهاما فعالا فى قيام الدولة العباسية وبرز منهم رجال كثيرون على المسرح السياسى كان لهم در رئيسى فى نجاح دعوة بنى العباس وقيام دولتهم ، وليس ذلك ناتجا عن اخلاصهم لصاحب الدعوة وتفانيهم فى حب آل البيت بقدر ما كانوا يسعون إلى التخلص من حكم بنى أمية المتعصب للعرب وطمعا فى حياة سعيدة فى ظل الدولة الجديدة يشاركون فى مسئوليات الحكم والإدارة ويحققون من خلال ذلك آمالهم فى استعادة مجدهم القديم . . لاسيا وأن الدولة الجديدة ستكون مدينة لهم فى قيامها لمؤازرتهم ومناصرتهم لدعوتها ، ويقول بروكلمان : « ان أبا مسلم اعتمد فى دعايته على المعتقدات الإيرانية القديمة ويظن أنه نشر مبادئ الحلول والتناسخ بين الارواح وادعى بان الروح الإلهية المقدسة قد حلت فيه » (٢) .

وهناك حديث دار بين دهقان مرو ، وأبى مسلم الخراسانى ، وخالد البرمكى وان كان وقته متاخرا عن بداية الدعوة إلا أنه يعبر عن هدف الفرس من مناصرة العباسيين ودعوتهم يقول دهقان مرو : « لاريب

(١) الخضرى / تاريخ الأمم الإسلامية ج ٢ ص ١٤ ، سرور / الحياة السياسية فى الدولة العربية الإسلامية ص ١٧٤ .

(٢) بروكلمان / تاريخ الشعوب الإسلامية ص ١٦٧ .

عندى أن الفرس يتفانون فى نصره العباسيين . . لانهم انما يسعون
فى مصلحة أنفسهم ويجب على كل فارسى أن يقدم نفسه وماله
انصرة بيت النبى لأن فى نصرته رفع شأن الفرس» (١)

ويقول الدكتور حسن محمود (٢) : « وقد أيدت القوى الإيرانية
الدعوة العباسية ليمضى التنفيذ الإيراني صاعداً فى حركة مطردة نحو
القوة السياسية والاحياء الثقافى ، ولاشك أن الثورة العباسية ثورة
ايرانية انبعثت من خراسان ووجدت صدى منطلقاً فى مدن ايران
وريفها وخرج المد الثورى منها إلى كافة الجهات الإسلامية والعباسيون
بعد نجاح ثورتهم كانوا أحرص مايكونون على إيران وولاء أهلها » .

• إعلان الثورة العباسية :

.....

قلنا فى حديث سابق أن العباسيين ظلوا بعيدين عن حلبة الصراع
والمنافسة على الخلافة حتى سنة ١٠٠ هـ (٣) - حيث دخلوا هذا المعترك
أيام خلافة عمر بن عبد العزيز ، ووجه محمد بن على زعيم الدعوة
العباسية دعائه من الحميمة قاعدة العباسيين إلى كل من العراق
وخراسان ، وكان رسله الاوائل إلى تلك الجهات ميسرة العبدى ،
ومحمد بن خنيس ، وأبو عكرمة السراج ، وحيان العطار (٤) .

(١) جرجى زيدان / أبو مسلم الخراسانى ص ٣٠ - (حاولت الحصول على هذه الرواية
بأحد المصادر الرئيسية ولكنى لم أوفق) .

(٢) حسن محمود / العالم الإسلامى فى العصر العباسى ص ٢٢ .

(٣) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ١٣٥ ، اليبانى / مخطوطة كنز الأخبار ورقة ٤٩

(٤) الدينورى الأخبار الطوال ص ٣٣٢ ، الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ١٣٥-١٣٦

أرسل ميسرة إلى العراق والثلاثة الآخرين إلى خراسان (١) وأوصاهم بأن يدعوا الناس سرّاً ، ويكون ظاهر أمرهم التجارة وحقيقته الدعوة لآل البيت دون إبراز اسم صاحب الدعوة بل يدعون للرضا من آل محمد وأوصاهم قائلاً : « انطلقوا أيها النفر فادعوا الناس في رفق وستر فاني أرجو أن يتم الله أمركم ويظهر دعوتكم ولا قوة إلا بالله » (٢)، ثم بدأ الدعاة ينشرون دعوتهم وأخذ أمر الدعوة يقوى شيئاً فشيئاً وتكاثر عدد دعاة وأنصارها وغالبيتهم من الفرس ، وذلك على الرغم من السرية التامة التي أحيطت بها الدعوة مخافة سلطان بني أمية ، ومقابل ازدياد قوة الدعوة العباسية ورسوخها كان الضعف والانحلال يسريان إلى جسم الدولة الأموية ، وكان للعنصر الفارسي الحائق على الحكم الأموي أثره الكبير في تصعيد قوة الدعوة العباسية بانضمامه إليها واضعاف الدولة الأموية بالتخلي عنها بل العمل ضدها في عنف وضرارة .

هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فقد أخذت النكبات والأرزاء تجتاح الدولة الأموية حتى بدأ أمرها يضطرب وشأنها يضعف في سنة ١٢٥ هـ - ولى الخلافة الوليد بن يزيد وكان منغمساً في ملذاته ومتمادياً في فسقه ومجونه (٣) ، وقد أشرنا لذلك في أول هذا الفصل ، وقد

(١) المقرئ / مخطوطة منتخب التذكرة في التاريخ ورقة ٨١ .

(٢) الدينوري / الأخبار الطوال ص ٣٣٢ .

(٣) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ٢ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٢٦٤ ، الكتبي /

فوات الوفيات ج ٤ ص ٢٥٦ ، العمراني / مخطوطة الأنباء في تاريخ الخلفاء ورقة ١١ - ١٢ .

اضطربت الأمور في عهده ، وأشعل نار الفتن بمآلاته المضرة على اليمنية وقتل خالد بن عبد الله القسري أمير العراق السابق مما أحقق قومه الهانية على الخليفة ، وقاموا بثورات ضده كان يقودها يزيد بن الوليد انتهت بقتل الخليفة الوليد بن يزيد ثم أعقب ذلك ثورات وفتن انتهت بتسلم مروان بن محمد مقاليد السلطة كآخر خليفة أموى ، وقامت ضده ثورات وفتن أربكته وفككت الدولة .

وفي نفس الوقت كانت العصبية والنزاع القبلى قد بلغ مداه في خراسان مما هباً السبيل أمام دعاة بنى العباس لنشر دعوتهم وارساء قواعدها واجتذاب الأنصار إليها . . لاسيما بعد أن تولى رئاسة الدعوة في خراسان أبو مسلم الخراساني الذي عرف بما أوتي من حذق وحنكة ومهارة كيف يستغل هذه الانقسامات والخلافات هناك بين زعماء القبائل العربية من جهة وبين هذه القبائل والأمير الأموى في خراسان نصر بن سيار من جهة أخرى .

وقد أدرك أبو مسلم الدور الخطير الذى أسند إليه القيام به ، والآمال الكبيرة التى يعلقها ابراهيم الإمام على اختياره لهذا المنصب الهام بالإضافة إلى ما يدفعه من طموح لتحقيق مآرب ومقاصد سياسية يطمح إليها ، وأخذ بزمام الأمر مشمرا عن ساعده لبث الدعوة وكسب الأنصار فأرسل دعائه إلى نواحي خراسان . . ويقول الدينورى (١) : « كانوا (يعنى الدعاة) يدورون بها كورة كورة وبلدا بلدا في زى

التجار فاتبعه عالم من الناس عظيم » ، وكانت الشيعة العباسية تجتمع في الكور بالآلاف فيجتمعون في المساجد ويتعارفون (١) .

وقوى أمر الدعوة واستمر في صعود والتف حولها الأتباع وذلك بفضل ودبلوماسية وحكمة أبي مسلم الذي يعرف كيف يقتنص الأنصار والأعوان ، وكان له الأثر الكبير في النجاح الذي حققته الدعوة بسرعة مذهلة ، وكان لأبي مسلم بين الشيعة العباسية الكلمة المسموعة والشخصية المطاعة ، وقد تعلقوا به وأحبوه كثيراً وبلغ شأوا لم يبلغه من سبقوه وكان له منزلة كبيرة عند الشيعة حتى أنهم كانوا يتحالفون به فلايخشون ويذكرونه فلايملون (٢) .

ويقول صاحب مخطوطة « تاريخ البدر في أوصاف أهل العصر » (٣) « قوى أمر أبي مسلم وكثر جيشه » .

وقد استطاع العباسيون بفضل أبي مسلم الخراساني أن يحولوا التيار المعادي للأمويين في الشرق لمصلحتهم (٤) ، ويقول الدكتور حسن محمود : (٥) « وتتجلى حكمة أبي مسلم كداعية وبراعته كزعيم في فجر الثورة الأولى في عمله على كسب ولاء جميع الفئات التي كانت تدعو

(١) ابن قتيبة / الإمامة والسياسة ج ٢ ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٢) الدينوري / الأخبار الطوال ص ٣٤٣ .

(٣) العيني / مخطوطة تاريخ البدر في أوصاف أهل العصر ورقة ٢٠ .

(٤) بروكلمان / تاريخ الشعوب الإسلامية ص ١٦٦ .

(٥) حسن محمود / العالم الإسلامي في العصر العباسي ص ٤٨ - ٤٩ .

إلى الإصلاح وتعمل على تغيير الأوضاع التي أفسدها الخلفاء الأمويون
الأواخر لتوحيد الحركات الثورية خلف هدف واحد للاطاحة بالنظام
الأموي كما لم يحد عن الدعوة للرضا من آل محمد برغم نجاح حركته ،
ولم يكشف عن خبيي الدعوة العباسية » .

وبعد أن اطمأن أبو مسلم إلى الدعوة وما وصلت إليه من القوة
واتساع القاعدة رفع تقريراً لابراهيم الإمام عن الدعوة ونشاط الدعاة
فاستبشر خيراً وأخذ يفكر في الوقت المناسب الذي يمكن أن يحدده
موعداً لإعلان الثورة والإمام يدرك أنه قبل إعلان الثورة لابد من
تحقق أمرين :

١- قوة الدعوة واكتمال استعدادها .

٢- توفر الظروف المناسبة لإعلان الثورة .

أما قوة الدعوة فقد تحقق ذلك حيث كثر أنصارها وانتشرت
في نواحي خراسان ويقول الدينوري : (١) « لقد عمت الدعوة أرض
خراسان سهلها وجبلها وأقصاها وأدناها » .

٣ أما عن مناسبة الظروف المحيطة بالدعوة وبالدولة الأموية فقد تهيأ
ذلك لكثرة الاضطرابات والفتن التي كانت تعصف بالدولة الأموية
في عهد خلفائها الأواخر وبالذات مروان بن محمد حيث صرف كل
جهده في اخماد الثورات التي قامت في جهات متعددة من الدولة فقد

ثار ضده أهل فلسطين وأهل حمص وسائر أهل الشام ، كما ثارت الخوارج في العراق بقيادة الضحاك بن قيس الشيباني الحروري . . وانتفض عليه سليمان بن حبيب بن المهلب بالأهواز ، وغلب عبد الله ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على فارس وأصبهان والرى ، وغلب منصور بن جمهور على الجبل (١) .

وقد قوى شأن بعض هذه الحركات وصرف مروان كل جهده في التغلب على الثوار واخماد فتنهم ، وانشغل عن دعاة بني العباس مما هياً الظروف أمامهم ومهد السبيل لنجاح الدعوة وتعاضم أمرها هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه من تأجج النزاع القبلي في مهد الدعوة العباسية خراسان ^{بها} والصراع القائم بين الوالى الأموى في خراسان نصر بن سيار ، وزعماء القبائل العربية هناك .

كل هذه الأمور جعلت الوقت مناسباً لإعلان الثورة لاسياً وأن زعماء الدعوة العباسية وعلى رأسهم أمامها ابراهيم بن محمد يدركون أن مروان بن محمد لا يستطيع امداد نصر بن سيار ، لانشغاله في اخماد الفتن والثورات المشتعلة في معظم جهات الدولة لذلك كتب ابراهيم الإمام لأبي مسلم الخراساني يأمره باعلان الثورة وأتاه الكتاب وهو يقومس في طريقه إلى الإمام (٢) فامرته بالرجوع وإظهار الدعوة دون

(١) اليعقوبى ج ٢ ص ٣٣٨ ، انظر الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ٥٥ ابن خلكان / وفیات الأعيان ج ٣ ص ١٤٩ ، أخبار الدولة العباسية لمؤلف مجهول ص ٥٥ ، ٥٧ .

(٢) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ٨٢ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٣٥٧ ، ابن خلدون ج ٣ ص ١١٧ .

تربص فقد حان الوقت لذلك (١) ، وأمره أن يبعث قحطبة بن شبيب بما معه يوافيه به في الموسم فانصرف أبو مسلم إلى خراسان يوم الثلاثاء التاسع من شعبان سنة ١٢٩ هـ (٢) ووجه قحطبه إلى الأمام بما معه من الأموال والعروض (٣) ، ونزل أبو مسلم قرية قريبة من قرى مرو يقال لها فنين إلا أنه تحول منها إلى قرية سليمان بن كثير سفيذنج لقربها من مرو قصبة خراسان وذلك بعد مشاوره مع الشيعة (٤) ، وأرسل أبو مسلم رجاله إلى نواحي خراسان وحدد لهم اليوم الذي تعلن فيه الثورة

وبعث ابراهيم الإمام اللواء والراية وكان اللواء يدعى بالظل والراية تدعى السحاب وأسباب تسمية اللواء بالظل والراية بالسحاب .. أن السحاب يطبق على الأرض ، وكذلك دعوة بن العباس . أما الظل فإن الأرض لاتخلو من الظل أبدا ، وكذلك لاتخلو من خليفة عباسي أبد الدهر (٥) ،

وفي ليلة الخميس الموافق ٢٥ رمضان سنة ١٢٩ هـ - عقد أبو مسلم اللواء الذي بعث به ابراهيم الإمام على رمح طوله أربعة عشر ذراعا وهو يتلو : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » ، ولبس أبو مسلم السواد ، وكذلك لبسه سليمان بن

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ٨٢ ، المقدسى / البدء والتاريخ ج ٦ ص ٦٣ ، ابن كثير / البداية والنهاية ج ١٠ ص ٣٠ .

(٢) حسن محمود / العالم الإسلامى فى العصر العباسى ص ٤٣ .

(٣) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٣٥٧ ، ابن الوردى / تمة المختصر ج ١ ص ٢٨٣ ، تاريخ بن خلدون ج ٣ ص ١١٧ .

(٤) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٣٥٧ ، أخبار الدولة العباسية ص ٣٧٤ .

(٥) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ٨٤ ، المقرئى / مخطوطة منتخب للتذكرة

كثير ومن أجاب الدعوة العباسية (١) ، وأوقدوا النيران في تلك الليلة كعلامة للشيعة العباسية فالتف الشيعة على أبي مسلم من كل حذب وصوب مرحبين ومجيبين النداء . ويقول الدينورى (٢) : « وانجفل الناس على أبي مسلم من هراة ويوشنج ومرو الروذ والطارقان ومرو ونسا وأبيورد ونيسابور وقومس وسرخس وبلخ والصغانيان والطخارستان وختلان وكش ونسف فتوافوا جميعا مسودى الثياب ، وقد سودوا أيضاً أنصاف الخشب التى كانت معهم وسموها (كافر كوباك) (٣) ، وأقبلوا فرسانا وحماره ورجاله زهاء مائة ألف رجل » .

وبدأ أبو مسلم عمله بتحسين سفيذنج وتحصن بها ، ولما كان يوم عيد الفطر سنة ١٢٩ هـ - أقيمت أول جماعة لأهل الدعوة حيث أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلى بالشيعة صلاة العيد ونصب له منبر فى المعسكر .

مكث أبو مسلم فى سفيذنج اثنين وأربعين يوماً ووزع الدعاة فى نواحى خراسان لتنظيم أمر الشيعة (٤) . ثم انتقل إلى الماخوان من قرى مرو فحفر فيها خندقاً حصينا وتحمل إليه يوم الخميس ثمان ليال خلون من ذى القعدة سنة ١٢٩ هـ (٥) ، وتوافدت وفود الشيعة إلى

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ٨٤، المقرئى/مخطوطة منتخب التذكرة ورقة ٩١ ، محمود اسماعيل الحركات / السرية ص ٧٦ .

(٢) الدينورى / الأخبار الطوال ص ٣٦١ .

(٣) كافر كوباك : مضرب الكافر .

(٤) أخبار الدولة العباسية ص ٢٧٧ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٧٨ .

معسكر أبي مسلم واستبشر بظهور الطالقان وأهل نسا ومرو الروذ وآمل فزاد ذلك في قوته وحتى العبيد صاروا يخلعون طاعة أوليائهم وينضمون للثورة (١). وفي أثناء ذلك غلب حازم بن خزيمة على مرو الروذ وقتل عاملها الاموى بشر بن جعفر ، وكتب لابي مسلم بالفتح (٢) ، وكان يتصارع في خراسان عدد من القوى السياسية وهى :

١ - قوة الدولة الأموية ممثلة بالوالى الأموى فى خراسان نصر بن سيار .

٢ - البائية وربيعه ويتزعمهم جديع الكرمانى .

٣ - الخوارج وعلى رأسهم شبان الحرورى .

٤ - أما القوة الرابعة فهى قوة الثورة العباسية بقيادة أبي مسلم الخراسانى ، وكان يجمع بين القوى الثلاث الأخيرة وحدة الهدف وهو القضاء على الحكم الأموى . . إلا أن كلا منهم يخشى الآخر .

ولما عظم شأن الثورة العباسية وكثر أنصارها وأصبحت خطرا يهدد كيان الدولة الأموية انتبه الأمويون للأمر وأخذوا يفكرون جديا فى كيفية القضاء على هذا الخطر المحدق بهم المتمثل فى الثورة العباسية .

أخذ كل من أبي مسلم ، ونصر بن سيار يعمل بنشاط مستخدما كل ماله من دبلوماسية وحنكة فى محاولة جذب القوى الأخرى

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ، ص ٨٨ ، أخبار الدولة العباسية ص ٢٧٨ .

(٢) ابن كثير / البداية والنهاية ج ١٠ ص ٣١ .

إلى جانبه وصار كل واحد يجرح الآخر ويكيل له التهم بأسلوب غير مقبول فنصر بن سيار وحزبه يشيعون أن أبا مسلم وحزبه خارجون عن الملة الإسلامية ، وليسوا من أهل القبلة وإنما هم عبدة سنانير (١) .

أما شيعة أبي مسلم فيشبهون بني أمية وينشرون عيوبهم ويصفون حكمهم بالجور والظلم والاستبداد والخروج على الإسلام الصحيح وأنهم مغتصبون للخلافة ، وأن آل محمد صلى الله عليه وسلم أحق بها (٢)

وهكذا سعى كل من الطرفين لكسب القوى المتصارعة في المنطقة إلى جانبه ، وقد كسب أبو مسلم الجولة ونجح في الإبقاء على العداء بين نصر وخصومه وضرب واحد بالآخر ، وكما أسلفنا أن أبا مسلم كان يلتقى مع طرفي النزاع الكرمانى وشيبان الحرورى في الهدف وهو العمل على الإطاحة بعرش بني أمية ويقول ابن الأثير (٢) : « كان الكرمانى وشيبان لا يكرهان^١ أمر أبي مسلم لأنه دعا إلى خلع مروان » ولقد استطاع أبو مسلم بمهارته وقدرته الفائقة أن يزرع بذور الشقاق بين زعماء القبائل والوالى الأموى نصر بن سيار ، فاستمرت الحروب بين نصر والكرمانى زعيم اليمانية حتى أثخن كل واحد منهم الآخر بالجراح وأنهك قواه في الوقت الذى تزداد فيه قوة الحزب العباسى لكثرة من ينضم إليهم من الأنصار من أهل خراسان من بين متدين

(١) أخبار الدولة العباسية ص ٢٨٢ .

(٢) الدينورى / الأخبار الطوال ص ٣٣٥ .

(٣) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٣٦٧ .

بذلك إلى طالب بذخل (١) وموتور يرجو أن يدرك بها ثأره (٢) .

وكان أبو مسلم في بادئ أمره إذا كتب لنصر بن سيار يوجهه إليه باسم الأمير نصر ، فلما قوى أمر أبي مسلم صار يكتب لنصر بادئا بنفسه فقال : أما بعد . فإن الله تباركت أسماؤه غير أقواما في القرآن فقال : « واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ل يكونن أهدي من إحدى الأمم ، فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلى سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » (٣)

لقد عظم ذلك على نصر ، وأدرك الخطر الذي يحيط به لاسيا بعد أن تجرأ أبو مسلم ، وقطع المعونات والمواد المرسلة لنصر من كور طخارستان وبلخ ومرو الروذ ، وكثر عدد الوافدين على معسكر نصر من الأنصار والمؤيدين (٤) ، ثم تلا ذلك سقوط أبيورد وهراة بالإضافة إلى سقوط مرو الروذ الذي سبق ذكره وفي الوقت الذي كانت تتوسع فيه سلطة الثورة العباسية وتفتح البلد تلو الآخر ، كانت الحرب مشتعلة بين نصر والكرمانى ، وقد قتل من أصحاب نصر سبعمائة شخص ومن أصحاب الكرمانى ثلاثمائة شخص (٥) .

(١) الذخل / الثأر .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص ٢٨٥ .

(٣) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٤) الدينورى / الأخبار الطوال ص ٣٦١ .

(٥) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٣٦٤ .

أنهكت الحروب الطرفين ، ولما أيقن أبو مسلم أن كلا من الفريقين
أثخن صاحبه وأن لأمدد لهم استعمل مكره ودهاءه فكتب لشيبيان
الحروري كتابا فيه اطراء لمضر وذم وتحقير لليمانية فيأمر الرسول
أن يمر على مضر وفي الكتاب : انى رأيت أهل اليمن لاوفاء لهم ولاخير
فيهم فلا تثقن بهم ولانطمئن اليهم فانى أرجو أن يريك الله فى اليانية
ما تحب ولئن بقيت لا أدع لها شعراً ولا ظفراً ويرسل كتابا آخر فيه
ثناء لليمانية وذم للمضرية فيأمر الرسول أن يجعل طريقه على اليانية ،
وهو يدرك أن الرسول إذا مر على اليانية أو المضرية سيأخذون الكتاب
ويقرءونه وبالفعل حصل ذلك وصار هوى كل من الطرفين معه .

ثم أخذ يكتب إلى نصر بن سيار وإلى الكرماني مدعيا أن الإمام
أوصاه بهما وليس يعدو رأيه فيهما ، وهكذا كان أبو مسلم لايتورع عن
استعمال أية وسيلة يعتقد أن فيها مايحقق أهدافه ، فكان يشير
الضعائن والأحقاد بين خصومه ويحول دون اتفاقهم بكل ما أوتى من
كيد وغدر وحتى لاتتحد كلمتهم ويقوى أمرها متبعا بذلك الطريقة
التي سبق الحديث عنها « فرق تسد » وقد جنى بذلك ثمار النجاح
والقضاء على خصومه .

وأقبل أبو مسلم حتى نزل بين معسكر الكرماني ومعسكر نصر
ابن سيار وهابه الفريقان لقوته وكثرة جيشه ، وقد كتب نصر
للخليفة الأموى مروان بن محمد يصف له الحالة فى خراسان ويؤكد

(١) المصدر السابق نفس الصفحة ، تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١١٩ .

(م ١٠ = أثر الفرس)

تفاقم الأمور وقوة أبي مسلم الخراساني ، وإجابه أهل خراسان لدعوته وكثرة أتباعه وأنه يدعو لابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ويطلب منه المدد (١) ، وذيل كتابه بأبيات من الشعريصور الحالة فيها (٢) :

أرى خلل الرماد وميض نار ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكي وإن الحرب أولها الكلام
فإن لم يطفئها عقلاء قوم فإن وقودها جثث وهام
وقلت من التعجب ليت شعري أأيقاظ أمية أم نيام
فإن يكن قومنا أمسوا رقودا فقل هبوا فقد حان القيام
تعزو عن زمانكم وقولوا على الإسلام والعرب السلام

« وعجز البيت الأخير يجعلنا نستنتج أن القوة المناوئة لتصرف والى توشك أن تمسك بزمام الأمور قوة غير عربية أو تعمل لصالح غير العرب والإسلام فهو يقول : « على الإسلام والعرب السلام » .

وقد كتب له مروان جوابا يقول فيه يرى الشاهد مالا يرى الغائب فاحسم الثلول قبلك (٣) .

(١) الهماني / مخطوطة كنز الأخبار ورقة ٦٣ .

(٢) الدينوري / الأخبار الطوال ص ٣٥٧ ، ابن الوردي تنمة المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ٢٨٣ ، البصري / مخطوطة المناقب العباسية ورقة ٢١ .

(٣) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٩٢٩ ، المسعودي / مروج الذهب ج ٣ ص ٥٤٠ .

وكتب نصر إلى أمير العراق الأموى يزيد بن هبيرة يستمد منه العون والنجدة والمدد ويشرح له الوضع فى خراسان (١) ، وكتب له الأبيات التالية :

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه وقد تبينت أن لا خير فى الكذب
ان خراسان قد رأيت بها بيضا لو أفرخ قد حدثت بالعجب
فراخ عامين إلا أنها كبرت لما يطرن وقد سربلن بالزغب
فإن يطرن ولم يحتل هن بها يلهن نيران حرب أيما هب
إلا أن يزيد اعتذر عن اغاثته وامداده لقلة ما لديه من الرجال (٢).

بقى نصر بن سيار فى الميدان وحيدا ينادى ويستصرخ ولكن لم يسمع صوته أو يجاب نداه - لذا أدرك أنه لا بد من الاعتماد على نفسه فى حروبه الدائرة لتعذر الخليفة الأموى مروان بن محمد ووالى العراق يزيد بن هبيرة عن امداده فأرسل جيشا بقيادة مولاة يزيد فى خيل عظيمة لمحاربة أبى مسلم فوجه إليه أبو مسلم مالك بن الهيثم الخزاعى ، فالتقوا بقرية تدعى آلين وجرى بين الفريقين موقعة انتهت بانتصار جيش الثورة العباسية ، وأسر يزيد رئيس جند نصر بعد أن جرح فأمر أبو مسلم بمداواته حتى شفى وخيره بين الإقامة معه والدخول فى دعوته وبين الرجوع إلى مولاة نصر ويعطى عهد الله وميثاقه ألا يحارب

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ٩٢ .

(٢) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٣٦٦ .

ولا يكذب عليهم وأن يقول فيهم مارآى ، فاختر الرجوع إلى موله ، وكان أبو مسلم أحسن معاملته ليحسن له الدعاية في جيش نصر بن سيار . وقال أبو مسلم : ان هذا سيرد عنكم أهل الورع والصلاح فأننا عندهم على غير الإسلام .

قدم يزيد على نصر فقال له : « لامرجا بك والله ما ظننت استبقاك القوم إلا ليتخذوك حجة علينا » فقال يزيد : « هو والله ما ظننت » ، وقد استخلفنى ألا أكذب عليهم ، وأنا أقول أنهم يصلون الصلاة لمواقبتها بأذان واقامة ، ويتلون كتاب الله ويذكرون الله كثيراً ، ويدعون إلى ولاية . رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أحسب أمرهم إلا سيعلو ولولا أنك مولاي أعترقتنى من الرق ما رجعت إليك ولأقمت معهم (١) .

لقد شجع أبا مسلم انتصار جيشه على جيش نصر وأخذ يسعى لاستمالة أى من الطرفين المتحاربين إلى جانبه ليقوى به ويضعف الجانب الآخر ليحقق أهدافه شيئاً فشيئاً بالقضاء على خصومه واحدا تلو الآخر ، فعرض على الكرمانى التحالف معه ضد نصر فوافقه على (٢) ذلك وقد عز هذا الاتفاق على نصر الذى أخذ يسعى لافساده وخوف الكرمانى من أبى مسلم وعرض عليه أن يبرم معه صلحا ، وبينما كان الكرمانى بانتظار كتابة وثيقة الصلح إذ بنصر يوجه إليه شيبان بن الحارث الحرورى فى ثلاثمائة فارس وكان ابن الحارث موتورا حيث

(١) الخضرى / تاريخ الأمم الإسلامية ج ٢ ص ٢٣ .

(٢) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٣٦٥ .

سبق أن قتل جديع الكرمانى والده فتقاتلا وطعن جديع فى خاصرته
وفر قومه ثم قتله نصر وصلبه (١) .

لقد زاد مقتل الكرمانى شقة الخلاف بين نصر وأبناء الكرمانى
وأتباعه ، وأبعد امكانية التحالف بين نصر وهؤلاء ، وقد انضموا
إلى أبى مسلم مطالبين بثأر والدهم (٢) ، وبانضمامهم إلى أبى مسلم زادوا
من خطورته وتعززت بهم قوته .

أما نصر بن سيار فخاف نتيجة اتحاد هذه القوى ضده وعمل
على افساد ما بينهم وحذر على بن الكرمانى من غدر أبى مسلم وكاد
ينصرف عن أبى مسلم لولا أن الأخير علم بذلك فتدارك الموقف وأرسل
لعلى بن الكرمانى يدفعه للمطالبة بثأر أبيه ، ويثير حفيظته على نصر
قاتل أبيه وبذلك استطاع أن يصرف ابن الكرمانى عن نصر بل ألهب
نار الحقد والانتقام فى نفس الكرمانى على قاتل أبيه ، ولما علم نصر
بابتعاد ابن الكرمانى عنه وانتقاضه عليه كتب إليه يوضح له هدف
أبى مسلم ويذكره بما حصل من رجاله للعرب فى البلدان التى فتحوها
وكان نص خطابه : « ان الحرب بيننا كانت على الحمية وقد كانت
لبعضنا على بعض فيها بقية ترجع إلى الفة العرب ، وقد نجم بين
أظهرنا من همته استئصالنا جميعا وقد بلغك ما أوقع هؤلاء بنسا ،
وطالقان ، ومرو الروذ ، فإذا حصدناهم عاودنا ما كنا فيه أو حكمناك

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٥ ص ٩٣ ، ابن الأثير الكامل ج ٥ ص ٣٦٥ .

(٢) الدينورى / الأخبار الطوال ص ٣٦٣ ، إيمانى / مخطوطة كنز الأخبار ورقة ٦٣ .

فانفذنا حكمك(١). . فرد عليه على الكرمانى قائلا : « والله ماوفيت
لى قبل اليوم فكيف أثق بك اليوم (٢) .

لما تخرج موقف نصر واشتدت ضائقته عاد وطلب الصلح من على
الكرمانى ، وطلب أن يبعث له رجلين من ثقاته فقال لهم نصر :
« أبلغا عنى صاحبكما وقولا له إن الأمر قد جل عن الذى كنا نقتتل
عليه وعاقبة هذا التباين فيها البوار فإذا أبيت أن تساعدنى فى حرب
هؤلاء السوداء فوادعنى شهرا ، فقد شغلتنى عن اطفاء جمرتهم وضع الحرب
بينى وبينك حتى أتفرغ لهم وأحاکمهم فإن ظفرت بهم فأنت على
رأس أمرك فإن ظفروا بى فأنت أعلم بشأنك بعد ، وأيقن أنهم أن
ظفروا بى تفرغوا لك فبلغ الرسولان الوصية للكرمانى فقال الكرمانى لهما :
ارجعا وقولا له : لست من خدعك فى شىء ، وقد عاقدت القوم ولن
أرجع عما أعطيتهم من نفسى (٣) .

ولما يئس نصر من استجابة الكرمانى لدعوته ، وبقي وحيدا اتجه
إلى الحرورية وطلب من زعيمهم شيبان الموادة والصلح فرفض الاتفاق
فى البداية إلا أنه بعد ضغوط وافق على الصلح والموادة (٤) .

ولما علم أبو مسلم بالاتفاق المبرم بين نصر وشيبان استعمل مكره
ودهاء الدبلوماسى كعادته كى يبطل هذا الاتفاق ورمى شيبان بعلى

(١) أخبار الدولة العباسية لمؤلف مجهول ص ٢٨٩ .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٣) المصدر السابق ص ٢٩٤ .

(٤) ابن الأثير / الكامل ، ج ٥ ص ٣٦٧ ، أخبار الدولة العباسية ص ٢٩٨ .

ابن الكرماني الذي ثناه عن رأيه بموادعة نصر ومصالحته (١) ، وترك شيبان ميدان القتال وذهب إلى سرخس في شهر ربيع الآخر ومعه من والاه من قومه (٢) .

لقد ازداد موقف نصر حرجا بعدما استجابة الزعيمين الكرماني وشيبان لدعوته وأراد أن يرى بآخر سهم في جعبته فيجرب حظه مع ربيعة واليمن ويطلب منهم الاتفاق معه على حرب أبي مسلم وبعث لهم شعرا يذكرهم فيه بهدف أبي مسلم ، والمبدأ الذي يسير عليه ويخوفهم مغبة الأمر وجاء في شعره (٣) :

أبلغ ربيعة في مرو وفي يمن أن اغضبوا قبل أن لاينفع الفضب
ما بالكم تنشبون الحرب بينكم كأن أهل الحجا عن رأيكم غيب
وتتركون عدوا قد أحاط بكم ممن تأشب لادين ولا حسب
لاعرب مثلكم في الناس نعرفهم ولاصريح موال إن هم نسبوا
فمن كان يسألني عن أصل دينهم فان دينهم أن تهلك العرب
قوم يقولون قولاً ما سمعت به عن النبي ولا جاءت به الكتب

ولم يستجيبوا لنصر ، ولم يؤثر فيهم استصراخه لذلك اتجه نصر نحو أبي مسلم وطلب منه أن يدخل مع مضر إلا أن أبا مسلم فضل الابقاء

(١) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٣٦٧ ، أخبار الدولة العباسية ص ٢٩٨ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص ٣١٠ .

(٣) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٣٦٧ .

على حلفه مع الكرمانى وصحبه ورفض طلب نصر وعاد وفده وعليهم
الذلة والكتابة (١) .

وهكذا أصبح نصر فى موقف لا يحسد عليه فلا الخليفة أمده ولا
الزعماء من حوله تحالفوا معه وناصروه ، وعليه أن يواجه الموقف
المؤلم بنفسه ، ويقال أن والى العراق أمده ببعض المال والرجال إلا أن
ذلك بعد فوات الأوان ولم يجد شيئاً وقال نصر فى هذه المناسبة (٢) :

أنا وما نكتم من أمرنا كالثور إذ قرب الناحع
أو كالتى يحسبها أهلها عذراء بكرا وهى فى التاسع
كنا نرفيها فقد مزقت واتسع الخرق على الراقع
- كالثوب إذ أنهج فيه البلى أعياء على ذى الحيلة الصانع

أما زعيم الثورة العباسية أبو مسلم فقد قويّت شوكته بانضمام
الكرمانى إلى صفه وبالكثل البشرية التى توافدت إليه من كل حذب
وصوب .

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ٩٧ - ٩٨ .

(٢) البصرى / مخطوطة المناقب العباسية ورقة ٢١ - ٢٢ .

دخول مرو والزحف نحو الغرب

بعد أن اتضح لأبي مسلم الخراساني الموقف السياسي في خراسان دفع على بن جديع الكرمانى إلى داخل مرو لاشعال الحرب مع نصر فدخلها وأشعل الحرب ، واغتمم أبو مسلم الفرصة ودخل مرو والحرب دائرة بين الطرفين (١) ، وكان يتلو الآية الكريمة « ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من من عدوه » (٢). وتلقاه الكرمانى قريبا من دار الإمارة فقال : « قد ذل لك الأمر وملكت مرو فامض إلى دار الإمارة » (٣) ، فمضى إليها ونزلها والكرمانى معه ثم دعوا الناس للبيعة فلم يتخلف أحد من أهل مرو وكان يبائع الناس للرضا من آل محمد (٤) .

وكان دخول أبي مسلم لمرو قسبة خراسان يوم الخميس ٩ جمادى الأولى سنة ١٣٠ هـ ، وهرب منها نصر في اليوم الثانى من دخول أبي مسلم لها بعد أن دعاه أبو مسلم للبيعة ولاشك أنه خاف نتيجة ذلك (٥) .

واتجه نصر إلى سرخس ثم طوس ثم نيسابور فأقام فيها (٦) ،

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك / ج ٩ ص ٩٨ .

(٢) سورة القصص آية / ١٥ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص ٣١٦ .

(٤) أخبار الدولة العباسية ص ٣١٦ ، اليماني / مخطوطة كنز الأخبار ورقة ٦٣ - ٦٤ .

(٥) الطبرى تاريخ الرسل والملوك / ج ٩ ص ٩٨ .

(٦) ابن خلدون / ج ٣ ص ١٢٣ .

وبهروب نصر بن سيار الوالى الأموى فى خراسان تم لأبى مسلم التغلب على قوة الدولة الأموية فى خراسان وبقي أمامه جيوب قرر تصفيتها ، وان كان بعضهم ممن أسهموا اسهاما فعالا فى الحروب معه وتحقيق النصر له مثل أبناء الكرمانى ، وشيبان الحرورى الذى انسحب سابقا من الميدان العسكرى وأقام فى سرخس ، أما ماتبقى من رجال نصر ابن سيار فقد صنى الحساب معهم فقتل صاحب شرطته سلم بن أحوز وأصحابه وهم أربعة وعشرون رجلا كما قتل عددا من وجهاء مضر (١) .

ولما استقام الأمر لأبى مسلم أرسل إلى شيبان الحرورى يدعوه إلى البيعة فقال شيبان (٢) : « أنا أدعوك إلى بيعتى » فأرسل أبو مسلم جيشا لقتال شيبان بقيادة بسام بن ابراهيم مولى بنى ليث ، وسار بسام إليه وقاتله فانهزم شيبان ، ودخل المدينة ومن ثم قتل مع عدد كبير من أصحابه وذلك سنة ١٣٠ هـ (٣) .

أما أبناء الكرمانى فرأى أبو مسلم أنه من الحكمة عدم التعجيل فى القضاء عليهم للاستفادة منهم كما فعل المنصور فيما بعد فى استغلال أبى مسلم ضد عمه عبد الله ابن على - ولأنه لايتوقع خطراً منهم انما رأى أن يباعده بينهم فعين عثمان الكرمانى عاملا على بلخ (٤) - .

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ٩٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠٢ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٣٨٣ .

(٣) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٣٨٣ .

(٤) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٥ ص ١٠٣ .

وعندما سار أبو مسلم إلى نينوى أخذ معه ابني الكرمانى على وعثمان ليعبدهما عن مركز قوتهما ، ومن ثم دبر قتلهما فقتلا سنة ١٣١ هـ (١) - كما فعل معه المنصور فيما بعد - وهكذا قضى أبو مسلم على أنصاره الذين آزره وناصره بالأمس ولكن أبيا مسلم كان كعادته يؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة .

المهتدين

وبعد استيلاء أبي مسلم على مرو وهروب نصر بن سيار والقضاء على شيبان الحرورى وابني الكرمانى أرسل عمالا إلى البلدان التى خضعت له كسمرقند وطخارستان وطوس وغيرها (٢) ، ونظم الأمور وجهاز الجيش لاستكمال اخضاع المنطقة ومن ثم الزحف للعراق والشام للقضاء على الحكم الأموى ، وتعتبر مدينة مرو اللبنة الأولى فى بناء الدولة العباسية الشامخ ، وفى سنة ١٣٠ هـ قدم قحطبة بن شبيب من ابراهيم الإمام ومعه اللواء الذى عقده له الإمام ويعنى ذلك توليته قيادة الجيش فجعله أبو مسلم على مقدمة جيشه تنفيذا لما أمر به الإمام ، وأمرهم بالسمع والطاعة له (٣) .

ووجهه على رأس الجيش إلى طوس وكان فيها النابى بن سويد العجلى (٤) ، ومعه تميم بن سيار ، وقد دفعه والده نصر نجدة للنابى

(١) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٣٨٥ ، فارق عمر / العباسيون الأوائل ج ١ ص ٧٩ - ٨١ .

(٢) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٣٨٦ .

(٣) الطبرى تاريخ الرسل والملوك / ج ٩ ص ١٠٤ ، ابن خلدون / ج ٣ ص ١٢٤ ،

ابن الوردى / تمة المختصر ج ١ ص ٢٨٤ .

(٤) ابن خلدون ج ٣ ص ١٢٤ - ١٣٥ .

على رأس قوة وكانوا معسكرين بالسوذقان فدعاهم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإلى الرضا من آل محمد فلم يجيبوه ، فقاتلهم قتالا عنيفا وانتهت المعركة بقتل تميم بن نصر وجمع كثيف من الجيش أما النابي فقد هرب للمدينة وتحصن بها إلا أن قحطبة وجيشه حاصروا المدينة ونقبوا سورها ودخلوها وقتلوا النابي ومن معه وبهذا تم الاستيلاء على طوس (١) ، وكتب قحطبة لابن مسلم بالفتح

ولما بلغ نصر بن سيار مقتل ابنه والقضاء على جيشه عظم عليه الامر وكتب إلى الخليفة مروان بن محمد يخبره بتأزم الموقف ويطلب منه المدد فبعث له قوة على رأسها نباته بن حنظلة الكلابي

وفي شعبان سنة ١٣٠ زحف قحطبة إلى نيسابور واحتلها وأخذ البيعة من أهلها للرضا من آل محمد

هذا وبالنسبة لنباته وجيشه الذي أرسل امدادا لنصر بن سيار فقد وصل جرجان ، وهناك انضم له فلول المنهزمين من جيش نصر ، وبذلك اجتمع له قوة كبيرة ، وفي شهر ذى القعدة سنة ١٣٠ زحف قحطبة لقتال نباته ومن اجتمع إليه من الجيوش في جرجان ، وكان مع قحطبة عدد من رجال الثورة العباسية البارزين كخالد بن برمك ولما تقابل الجيشان خاف رجال قحطبة لما رأوا جيش نباته وقوته

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ١٠٥ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٣٨٦ -

٣٨٧ ، أخبار الدولة العباسية ص ٣٢٤

الهائلة ودب الرعب إلى قلوبهم إلا أن قحطبة حفزهم وأثار في نفوسهم
النخوة الوطنية وخطب فيهم يذكرهم بما كان لأبائهم أهل خراسان
من عزة ومجد ويحثهم على الاستبسال لاسترجاع مجدهم الغابر ، وأنهم
أهل الأرض الأصليين ، ويقاتلون من أجل استعادة عزتهم وذكر لهم أن
الإمام سبق وأن وضح له أنه وجيشه سيلقون عدوهم بمثل هذا العدد
فينصرهم الله عليهم (١)

وهكذا استطاع قحطبة أن يضرب على الوتر الحساس لاستشارةهم
جيشه من الخراسانيين بتذكيرهم بمجدهم الماضي والعمل من أجل
استعادته ، والتحم الجيشان ودارت المعركة ، وانتهت بمقتل نباته
وعشرة آلاف من جنده (٢)

نهاية نصر بن سيار وتوجه جيشه

الثورة إلى العراق

ذكرنا سابقا أن نصراً هرب من مرو بعد أن دخلها أبو مسلم واستقر بنيسابور ثم تحول منها إلى قومس ثم إلى خوار الري (١) ، وكان قحطبة بن شبيب قد بعث جيشا للقضاء على نصر بقيادة ابنه الحسن وسيره إلى قومس سنة ١٣١ هـ ، إلا أن الأمير الأموي الشريد تحول منها إلى خوار الري واستولى الحسن على قومس ، ولما وصل نصر إلى خوار الري بعث لابن هبيرة أمير العراق يطلب منه المدد إلا أنه لم يجبه وسجن رسله (٢) .

وكتب نصر للخليفة مروان بن محمد يشرح له الموقف ويوضح له ما حصل من ابن هبيرة ، ويصور له حالته تصويرا معبرا فيقول : « انما أنا بمنزلة من أخرج من بيته إلى حجرته ثم أخرج من حجرته إلى داره ثم أخرج من داره إلى فناء داره فان أدركه من يعينه فعسى أن يعود إلى داره وتبقى له وان خرج من داره إلى الطريق فلادار له ولا فناء » (٣) فكتب مروان لابن هبيرة أن يمد نصرا فجهز جيشا كثيفا أمد به نصرا (٤) .

(١) ابن خلدون / ج ٣ ص ١٢٥ ، أخبار الدولة العباسية عن ٣٣١ .

(٢) الطبري تاريخ الرسل والملوك / ج ٩ ص ١١١ .

(٣) المصدر السابق / ج ٩ ص ١١١ - ١١٢ .

(٤) المصدر السابق ص ١١١ - ١١٢ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٣٩٣ .

أما القائد العباسي قحطبة بن شبيب فقد استمر في زحفه غربا واستهدف القضاء على نصر ، وكان نصر قد انتقل من خوار الري إلى الري فاتجه قحطبة إليه ولما علم نصر بزحف قحطبة نحوه رحل من الري يريد همدان إلا أنه مرض واشتدت علته وأقعده المرض حتى أنه كان يحمل حملا فتوفى بساوه وكانت وفاته في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣١ هـ ، وكان يبلغ من العمر ٨٥ سنة (١) وبوفاته انتهت السلطة التي تمثل الحكم الأموي في خراسان ، وأخذت جيوش العباسيين تواصل زحفها السريع لاضفاء سلطة الثورة العباسية الناشئة على البلاد وتل عرش بني أمية .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن ابن هبيرة لما علم ب وفاة نصر وتقدم قحطبة واستيلائه على البلدان واحدا بعد الآخر أمر عامر بن ضباره وابنه داود أن يسيرا إلى قحطبة ، وكانا بكرمان فسارا في خمسين ألف فنزلا اصبهان والتقى الجيشان في هذا المكان ودارت بينهما معركة ضارية انتهت بمقتل ابن ضباره وهزيمة الجيش الأموي ، وذلك في شهر رجب سنة ١٣١ هـ (٢) ، وبقي قحطبة على أصبهان عشرين يوما ثم سار إلى نهاوند حيث كان ابنه الحسن يحاصرها وبانضمام جيش قحطبة إلى جيش ابنه ازدادت قوة جيش الثورة العباسية وشدد قحطبة الحصار على نهاوند واستمر ثلاثة أشهر : شعبان ، ورمضان ، وشوال ودعا أهل نهاوند إلى الأمان فأبوا فضرها بالمتجنيق ، وكان أميرها

(٣) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٣٩٨ ، أخبار الدولة العباسية ص ٣٣٤ .

(٤) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٣٩٨ ، أخبار الدولة العباسية ص ٣٤٠ .

مالك بن أدهم الباهلي (١) ، فلما ضيق قحطبة عليهم النطاق طلب مالك الأمان فأعطاهم قحطبة ذلك ، ودخل نهاوند في شهر ذي القعدة سنة ١٣١ هـ (٢) ، وفتح أبو عون عبد الملك الخراساني شهرزور في ٢٠ ذي الحجة من نفس السنة .

لما قدم داود بن يزيد ابن هبيرة على أبيه يزيد أمير العراق أثرا انهزامه أمام جيش الثورة العباسية خرج يزيد بجيش كثيف انضمت إليه القوة التي أمده بها مروان ابن محمد بقيادة حوثره بن سهل ، وسار ابن هبيرة حتى نزل جلولا متربصاً بقحطبة وجيشه الذي يواصل زحفه متجهاً إلى العراق بعد أن قضى على السلطة الأموية بخراسان وخضعت تلك الجهات لأبي مسلم ودعاة بني العباس ، وقد وصل قحطبة قرماسيين ثم سار إلى حيلوان ثم إلى خانقين ثم عكبراء واتجه غرب الفرات يريد الكوفة وذلك في الثامن من شهر محرم سنة ١٣٢ هـ ، وكان ابن هبيرة معسكراً في مكان يبعد عن الكوفة عشرين فرسخاً ، والتقى الجيشان ودارت بينهما معركة طاحنة قتل فيها القائد العباسي قحطبة بن شبيب وقيل أنه مات غرقاً وانهزم الجيش الأموي وانسحب ابن هبيرة إلى واسط ، ودخل جيش الثورة الكوفة ، وقد استلم القيادة بعد قحطبة ابنه الحسن (٣) .

وقال مروان بن محمد لما بلغه انتصار جيش الثورة العباسية رغم

(١) الدينوري / الأخبار الطوال ص ٣٦٤ .

(٢) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ١١٣ .

(٣) الطبري / المصدر السابق ج ٩ ص ١١٨ ، ابن الوردي تمتة المختصر في أخبار البشر

موت قائده : « هذا والله الادبار والا فمن يسمع أن ميتا يهزم حيا » (١) .

وبهذه المكاسب والانتصارات قوى شأن الثورة العباسية فكثرت أنصارها ، وأعلن الناس تأييدها ، ولبسوا السواد في البصرة والكوفة ، وفي مقدمة من أيدوا الثورة ولبسوا السواد محمد بن خالد القسرى ابن أمير العراق السابق ، وخطب محمد في أهل الكوفة في المسجد معلنا خلع طاعة بني أمية والولاء والدعوة لآل محمد (٢) وهكذا تعددت انتصارات الثورة العباسية على مختلف الصور والأشكال .

وكان أبو مسلم الخراساني خلف خطوط القتال يصرف الأمور ويرسم الخطط ويستأصل العناصر المعادية من البلدان المفتوحة ويجبي الخراج ويوزع الأموال على المستحقين وينفق على الجيش وقياداته حتى تمكن جيش قحطبة من الدخول في أرض العراق . وكان أبو مسلم يقيم خلال العمليات الحربية في مرو وتصله أخبار المارك أولاً بأول ، وكان خالد البرمكي يتولى الشؤون المالية ويعنى بها وينظمها في البلدان (٣)

بعد سقوط الكوفة وانهازم ابن هبيرة رأى أبو سلمة الخلال رئيس الدعوة العباسية في العراق وقادة الجيش تجزئة الجيش إلى عدة فرق لفتح الجيوب المتبقية من البلدان ولطاردة فلول الجيش الأموي الهاربة فسار خالد بن برمك إلى دير قني أما الحسن بن قحطبة فزحف لقتال

(١) أخبار الدولة العباسية ص ٣٥٥ .

(٢) اليعقوبي / ج ٢ ص ٣٤٢ ، الأزدى / تاريخ الموصل ص ١١٩ ، أخبار الدولة

العباسية ص ٣٦٨ .

(٣) يرجع لفصل البرامكة .

ابن هبيرة بواسط وحاصر سفيان المهلبى البصرة ، وبقى شمال العراق في ولاية مروان بن محمد (١) ، وكان أبو سلمة الخلال قد أظهر نفسه في الكوفة بعد سقوط الجناح الشرقى من الدولة بيد رجال الثورة العباسية وذلك في العاشر من شهر محرم سنة ١٣٢ هـ فأجله الناس وقدره واستقبله القواد وكان يصرف الأمور باسم وزير آل محمد دون ايضاح صاحب الدعوة (٢)

،

(١) الجومرد / هارون الرشيد ص ٣٦ - ٣٧ .

(٢) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٨٤ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٤٠٦ .

القضاء على زعيم الدعوة العباسية إبراهيم الإمام

أثناء المعارك الدائرة في خراسان وقع في يد مروان كتاب مرسل من إبراهيم الإمام لأبي مسلم الخراساني اتضح لمروان منه أن إبراهيم صاحب الدعوة النشطة في خراسان (١) ، ويروي المسعودي وصاحب كتاب أخبار الدولة العباسية : عدة روايات استطاع مروان أن يكتشف بواسطتها صاحب الدعوة (٢) .

أما صاحب مخطوطة كنز الأخبار في معرفة السير والأخبار فيقول : « والى خراسان الأموي نصر بن سيار كتب للخليفة مروان يطلب منه المدد ويصف له حالة خراسان ويخبره أن صاحب الدعوة إبراهيم بن محمد (٣) ، وقد كتب مروان إلى عامله على دمشق الوليد بن معاوية ابن عبد الملك ليكلف عامله على البلقاء بالسير إلى الحميمة حيث يقيم إبراهيم الإمام وليأخذه ويشد وثاقه ، ثم يبعث به إلى الخليفة ولما حضر ومثل أمامه أنبه ثم أدخل السجن في حران ومات إبراهيم ميتة غامضة قيل أنه أسكن في بيت أساسه من الملح أطلق عليه الماء فانهد البيت عليه ، وقيل أنه غم حتى مات ، وقيل أدخل رأسه في جراب

(١) اليعقوبي / ج ٢ ص ٣٤٢ .

(٢) انظر المسعودي / مروج الذهب ج ٣ ص ٢٤٤ ، أخبار الدولة العباسية ص ٣٨٨ -

٣٩٢ .

(٣) الجاني / مخطوطة كنز الأخبار ورقة ٦٣ .

نوره حتى مات (١) وهكذا تعددت الروايات التي تصف كيفية موته
ويقول ابن هرثمة في رثائه (٢) :

وكننت أحسبني جلدا فضعضني قبر بحران فيه عصمة الدين
فيه الإمام وخير الناس كلهم بين الصفائح والأحجار والطين
فيه الإمام الذي عمت مصيبته وعيلت كل ذي مال ومسكين
فلاعفا الله عن مروان مظلومة لكن عفا الله عن قال أمين
* مبايعة أبي العباس بالخلافة *

لما وصل رسول مروان إلى ابراهيم الإمام واعتقله في الحميمة تمهيدا
لإرساله إلى مروان عرف ابراهيم مصيره ، وأوصى بالأمر بعده لأخيه
أبي العباس عبد الله بن محمد ، وخوفا على أسرته من مروان أمر
أبا العباس أن يرحل وأعله إلى الكوفة وأمرهم بالسمع والطاعة له (٣) ،
فساروا إلى الكوفة وكان من بينهم أخوه أبو جعفر المنصور ، وأبناء
أخيه ابراهيم ، وعبد الوهاب ، ومحمد ، وأعمامه داود ، وعيسى ،
وصالح واسماعيل ، وعبد الصمد (٤) ، وبينما كان جيش الثورة العباسية
يمد سلطانه على جنوب العراق قدم صاحب الدعوة أبو العباس السفاح
مع أهله وذويه واستقبلهم أبو سلمة الخلال وأنزلهم في دار الوليد بن

(١) انظر يعقوبى / ج ٢ ص ٣٤٢ ، أخبار الدولة العباسية ص ٣٩٣ .

(٢) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٤٢٣ .

(٣) ابن الوردي / تمة المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ٢٨٦ .

(٤) الطبرى تاريخ ارسى والملوك / ج ٩ ص ١٣٤ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٤٠٩ .

سعد مولى بنى هاشم ، وكنتم أمرهم قرابة أربعين يوما وكان وصولهم الكوفة في شهر صفر سنة ١٣٢ (١) .

وكانت حجة أبي سلمة الخلال في كتمان أمر صاحب الدعوة العباسية ، وأسرته أن النصر لم يتم وأن الجيش الاموي مازال يقاقل وباعداد كثيفة ، ولكن الروايات تورد أن الرجل كان ميالا للعلويين ويرغب أن ينقل السلطة من العباسيين اليهم ويسلمهم زمام الامر (٢) .

وقد خاطب في ذلك ثلاثة نفر منهم هم : جعفر بن محمد ، وعبد الله بن حسن ، وعمر بن علي بن الحسن إذ كتب لهم خطابات حول هذا الموضوع (٣) إلا أن أمره لم يتم حيث اعتذر العلويون الذين وجهت لهم الدعوة خوفا من المصير الغامض الذي سيواجهونه ، وهذه الحركة الخطيرة من أبي سلمة الخلال هي بداية لحركات فارسية ستعقبها ، وسنرى ذلك في الفصول القادمة ، ولاشك أن ذلك يبرهن عن عدم إخلاص الفرس للعباسيين ، وكان سعيهم في انجاح الدعوة العباسية ، وعملهم الشاق الصابر في سبيلها لغرض تحقيق مطامعهم السياسية ، وإلا ما هي دوافع أحد أركان الدعوة العباسية وأقطابها أبو سلمة إلى تحويل الامر للعلويين بعد أن نجحت الدعوة العباسية ، وحققت ثورتها انتصارات باهرة دفعت في سبيلها أغلى الاثمان من

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك / ج ٩ ص ١٣٤ ، مخطوطة المناقب العباسية ورقة ٢٢

(٢) ابن الأثير الكامل ج ٥ ص ٤٠٩ مخطوطة المناقب العباسية ورقة ٢٣ ، ابن كثير الهداية والنهاية ج ١٠ ص ٤ .

(٣) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٨٦ .

الرجال والجهد والمال ، وفي مقدمة من لقي مصرعه من أجل تحقيق الانتصار وتحويل الامر إلى العباسيين زعيم الدعوة ابراهيم الإمام ، وقد أخذت الثورة العباسية بزمام الامر ، وأبو سلمة المعروف بتضحيته في سبيل الدعوة وانجاحها ، وكان ينفق أمواله على الدعوة والدعاة (١) ، ويفهم من تحوله هذا أنه استنتج من خلال الأمور المحيطة به ، ومن توقعاته للمستقبل أنه قد لا يحقق تطلعاته السياسية في ظل الحكم العباسي ، وأراد أن يحول الأمر إلى طائفة أخرى هم العلويون ، يكون له كل الفضل في نقل السلطة إليهم طمعاً في تحقيق مطامعه وأهدافه من خلال هذه السلطة .

وقد علم بعض النادة الموجودين في الكوفة خبر قدوم أبي العباس وأن أبا سلمة خلال قد حجر عليهم وأسرعوا إلى أبي العباس وبايعوه بالخلافة وعنفوا أبا سلمة على فعله واعتذر عما حدث وكادت القضية تفلت من يد العباسيين بعد أن كانت منهم قاب قوسين أو أدنى (٢) .

وفي صباح اليوم الثاني عشر من ربيع الاول سنة ١٣٢ (٣) خرج أبو العباس من المنزل الذي اختفى فيه بحفل رسمي حضره جمع كبير من القادة والأمراء ، وجماعة من أفراد البيت العباسي ، ودخل مسجد الكوفة وصلى بالناس وبويع بالخلافة ثم صعد المنبر ، وبجانبه عمه داود

(١) انظر ص ٤٣ - ٧٤ من هذه الرسالة .

(٢) الطبري: ريج الرسل والملوك ج ٩ ص ١٢٥ ، المسعودي / مروج الذهب ج ٢ ص ٢٥٣ - ٢٥٥

(٣) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٤١١ ، وقيل في الثالث منه انظر السيوطي تاريخ

الخلفاء ص ٢٨٠ .

ابن علي وخطب قائماً فقال الناس : « يا بن عم رسول الله أحييت السنة وكانت بنو أمية تخطب قعوداً » (١) .

وكان نص الخطبة (٢) :

« الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه وكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا فايده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به والذابين عنه والناصرين له ، فالزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها ، وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته ، وأنشأنا من آبائنا وأنبتنا من شجرته ، واشتقنا من نبعته جعله من أنفسنا عزيز عليه . ما عنتنا حريصاً علينا بالمؤمنين رؤوف رحيم ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع ، وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتاباً يتلى عليهم ، تبارك وتعالى فيما أنزل من محكم كتابه : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » وقال تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » ، وقال تعالى : « وأنذر عشيرتک الأقربين » ، وقال تعالى : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذی القربى » ، وقال تعالى : « واعلموا أنما غنم من شيء فأن لله خمسة وللرسول ولذی القربى والیتامى » فاعلمهم جل ثناؤه فضلنا ، وأوجب عليهم حقنا ومودتنا وأجزل من النبی والغنيمة نصيبنا تكرمنا لنا وفضلاً علينا والله ذو الفضل العظيم .

(١) الكتبي / فوات الوفيات ج ٢ ص ٢١٥ .

(٢) الطبري تاريخ الرسل والملوك / ج ٩ ص ١٢٥ - ١٢٦ .

وزعمت السبئية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا ، فشأهت وجوههم — أيها الناس — وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم وبصرهم بعد جهالتهم وانقذهم بعد هلكتهم ، وأظهر بنا الحق ، ودحض الباطل ، وأصلح بنا منهم ما كان فاسدا ، ورفع بنا الخسيصة وتمم بنا النقيصة ، وجمع الفرقة حتى عاد الناس بعد العداوة أهل التعاطف والبر والمواساة في دنياهم ، واخوانا على سرر متقابلين في آخرتهم ، فتح الله ذلك منة ومنحة لمحمد صلى الله عليه وسلم فلما قبضه الله إليه قام بالامر من بعده أصحابه وأمرهم شورى بينهم فحووا مواريث الأمم فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها وأعطاها أهلها وخرجوا خماسا منها ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فابتزوها وتداولوها فجاروا فيها واستاثروا بها ورد علينا حقنا وتدارك بنا أمتنا وولى نصرنا والقيام بامرنا ليس بنا على الذين استضعفوا في الارض ، وختم الله بنا كما افتتح بنا .

وانى لارجو أن لاياتيكم الجور من حيث جاءكم الخير والفساد من حيث جاءكم الصلاح وما توفيقنا أهل البيت إلا بالآ .

يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا ، أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك لم يثنكم عنه تحامل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا ، واتاكم الله بدولتد ، فانتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا ، وقد زدكم في أعطياتكم مائة درهم ، فاستعدوا فانا السفاح المبيح ، والثائر المبير .

وكان السفاح موعوكا فاشتد عليه المرض فجلس على المنبر وقام

عمه داود على مراقى المنبر وقال : « الحمد لله وشكرا للذى أهلك عدونا وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

أيها الناس الآن اقشعت حنادس الدنيا ، وانكشف غطاؤنا ، وأشرقت أرضها وسماؤها ، وطلعت الشمس من مطلعها ، وبزغ القمر من ميزغه ، وأخذ القوس باريها وعاد السهم إلى منزعه ، ورجع الحق إلى نصابه في أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم .

أيها الناس انا والله ماخرجنا في طلب هذا الامر لنكثر لجينا ولاعقيانا ولا نحفر نهرا ، ولانبنى قصراً ، وإنما أخرجتنا الأنفة من ابتزازهم حقنا ، والغضب لبني عمنا ، وما كرهنا من أموركم فلقد كانت أموركم ترمضنا ونحن على فرشنا ، ويشتد علينا سوء سيرة بنى أمية فيكم واستذلالم لكم واستثثارهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم ، لكم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذمة العباس رحمه الله علينا أن نحكم فيكم بما أنزل الله ، ونعمل فيكم بكتاب الله ، ونسير في العامة والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تباً لبني حرب ابن أمية وبني مروان آثروا في مدتهم العاجلة على الآجلة والدار الفانية على الدار الباقية ، فركبوا الآثام ، وظلموا الانام ، وانتهكوا المحارم وغشوا بالجرائم ، وجاروا في سيرتهم في العباد وستهم في البلاد ومرحوا في أعنة المعاصي وركضوا في ميدان الغى جهلاباستدراج الله وأمنا لمكر الله ، فاتاهم باس الله بيانا وهم نائمون ، فاصبحوا أحاديث ، ومزقوا كل ممزق ، فبعدا للقوم الظالمين ، وأدالنا الله من مروان ، وقد

غره بالله الغرور ، وأرسل لعدو الله في عنانه حتى عثر في فضل خطامه
أظن عدو الله أن لن نقدر عليه فنادى حزبه وجمع مكايده ورمى بكتائبه
فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وشماله من مكر الله وبأسه ونقمته ما أمات
باطله ، ومحي ضلاله ، وجعل دائرة السوء به وأحيا شرفنا وعزنا ورد
إلينا حقنا وإرثنا .

أيها الناس إن أمير المؤمنين ، نصره الله نصراً عزيزاً إنما عاد إلى
المنبر بعد الصلاة لانه كاره أن يخلط بكلام الجمعة غيره ، وإنما قطعه
عن استتمام الكلام شدة الوعك ، فادعوا الله لأمير المؤمنين بالعافية ،
فقد بدل الله بمروان عدو الرحمن وخليفة الشيطان ، المتبع لسفلة الذين
أفسدوا في الأرض بعد اصلاحها بإبدال وانتهاك حريم المسلمين ، الشاب
المتكهل المتمهل المقتدى بسلفه الأبرار الأخيار الذين أصلحوا الأرض
بعد فسادها بمعالم الهدى ومناهج التقوى .

يا أهل الكوفة انا والله مازلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى
أتاح الله شيعتنا أهل خراسان ، فاحيا بهم حقنا ، وأبلج بهم حجتنا ،
وأظهر بهم دولتنا ، وأراكم الله بهم ما لستم تنتظرون ، فإظهر فيكم الخليفة
من هاشم وبيض به وجوهكم ، وأدالكم على أهل الشام ، ونقل إليكم
السلطان ، وأعز الإسلام ، ومن عليكم بامام منحه العدالة ، وأعطاه
حسن الاياله ، فخذوا ما آتاكم الله بشكر ، وألزموا طاعتنا ولا تخدعوا
عن أنفسكم ، فإن الأمر أمركم ، وإن لكل أهل بيت مصراً وانكم
مصرنا ، ألا وإنه ماصعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه
مكتبة المهتدين الإسلامية

* نهاية مروان بن محمد وتصفية الدولة الاموية *

لقد كانت موقعة الزاب إيذاناً بزوال ملك بنى أمية وتشبثت
لعرش الدولة العباسية الناشئة ، ولما فر الخليفة الاموى مروان بن محمد
أثر انهزام جيشه فى هذه المعركة أتى إلى الموصل إلا أن أهلها منعه من
الدخول إليها (١) ، وكان كلما مر على بلد وطلب منها حمايته أقفلت
أبوابها فى وجهه خوفاً من بنى العباس ، هكذا بعد العزة والجاه والمنعة
والسلطان أصبح ذليلاً يطارد من بلد إلى آخر وعبثاً يحاول وجود
البلاد الذى يؤويه ويضيفه (٢) .

ووصل عاصمته دمشق فلم تستطع حمايته ففر منها ذليلاً إلى
فلسطين ثم إلى مصر وتوغل فيها واستقر به المقام فى قرية ببوصير
فداهمته جنود صالح بن على العباسى الذى كان يطارده فقاوم حتى
قتل فى ٢٧ ذى الحجة سنة ١٣٢ هـ (٣) .

ويروى الديلمى (٤) : أن قتل مروان كان فى الفيوم بمصر إلا أن
المصادر تجمع على أن قتل مروان ببوصير وليس بالفيوم .

(١) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٤٢٤ .

(٢) ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٢١ - ١٢٢ ، الجومرد / هارون
الرشيد ص ٢٨ .

(٣) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ١٣٧ ، الكتبى / فوات الوفيات ج ٤ ص ١٢٨ ،
ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٢١ ، ابن الوردى / تمة المختصر ج ١ ص ٢١١ ،
القلقشندى / مآثر الأناقة فى معالم الخلافة ج ١ ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، العمرانى / مخطوطة الأنبياء
فى تاريخ الخلفاء ورقة ١٢ .

(٤) انظر مخطوطة / رياض الأنس لعقلاء الأنس ورقة ٥٧ .

أما يزيد بن هبيرة أمير العراق الأموي فكما أوضحنا في موضع سابق زحف إلى واسط وسار إليه الحسن بن قحطبة على رأس قوة وحاصره مدة طويلة حتى بعث السفاح أخاه أبا جعفر المنصور إلى واسط لمحاربة ابن هبيرة واستمر الحصار تسعة أشهر (١) ولما طال الحصار على ابن هبيرة طلب من أبي جعفر الصلح فاجابه إلى ذلك ، وكتب له كتاباً أماناً أشهد عليه قواده فخرج إليه ابن هبيرة وبايعه (٢) ، وعاد إلى مكانه ثم فتحت أبواب المدينة ودخلها الجيش العباسي إلا أن أبا جعفر نقض الأمان الذي أعطاه لابن هبيرة بعد مكاتبة جرت بينه وبين أخيه الخليفة السفاح (٣) ويقال إن أبا مسلم الخراساني كتب من خراسان يحرض على قتل ابن هبيرة (٤) ويقول « ان الامر لا يستقيم مادام حياً » (٥) .

وكلف أبو جعفر المنصور خازم بن خزيمه ، وإبراهيم بن عقيل مع عشرة من الحرس بالشخص إلى ابن هبيرة وقتله فانطلقوا ودخلوا عليه عند طلوع الشمس وكان في مسجده فقتلوه (٦) .

وبهذا تمت تصفية آخر الجيوب الأموية ، وكللت مساعي العباسيين

(١) اليعقوبي / ج ٢ ص ٣٥١ .

(٢) الدينوري / الأخبار الطوال ص ٣٧٤ ، اليعقوبي / ج ٢ ص ٣٥٤ .

(٣) انظر الدينوري / الأخبار الطوال ص ٣٧٤ ، اليعقوبي / ج ٢ ص ٣٥٤ .

(٤) سياسة التحريض هذه اتبعها أبو مسلم مع آخرين من بني أمية منهم سليمان بن هشام ابن عبد الملك إذ حرض الخليفة السفاح على قتله قائلاً : « قد بقي من الشجرة الملعونة فرع » وأشار بقتله . انظر النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٣٠ .

(٥) اليعقوبي / ج ٢ ص ٣٥٤ .

(٦) الدينوري / الأخبار الطوال ص ٣٧٤ .

وسلم إلا أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، وأمير المؤمنين عبد الله ابن محمد (يعنى أبا العباس السفاح) ، واعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم عليه السلام ، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا » (١) .

وقد أبرز خطابا أبي العباس وعمه داود ما للعباسيين من مكانة فيعة لقربائهم من رسول الله وأحقيتهم بالخلافة ونددا بمفاسد الحكم الاموى وظلمه وأوضحا المنهج الذى سيسر عليه الحكم العباسى وأنه مستمد من الكتاب والسنة ويركز داود بن على على دور أهل خراسان الكبير فى نجاح الدعوة وقيام الدولة العباسية واسترجاع حق العباسيين.

* معركة الزاب *

بعد مبايعة أبي العباس السفاح بالخلافة جهز جيشا كبيرا معظمهم من أهل خراسان العناصر الذين أخلصوا للعباسيين (٢) وأسند قيادة هذا الجيش إلى عمه عبد الله بن على ويقول الدينورى (٣) : « إن قائد هذا الجيش هو أبو جعفر المنصور » ولكن الروايات معظمها تؤكد أن قائد هذا الجيش عبد الله بن على وليس أبو جعفر وسير السفاح الجيش إلى مروان بن محمد الخليفة الاموى وكان يقيم فى الزاب ومعه مائة وعشرون ألف مقاتل وقد عقد على نهر الزاب جسرا وعبر مروان الجسر

(١) الطبرى المصدر السابق / ج ٩ ص ١٢١-١٢٧ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٤١١-٤١٥

(٢) المسعودى / مروج الذهب ج ٣ ص ٢٤٥ .

(٣) الدينورى / الأخبار الطوال ص ٣٧٠ .

مخالفاً بذلك رأى قواده ووزرائه (١) . وقد ارتكب مروان خطأً
استراتيجياً كبيراً بعبوره إلى الساحل الأيسر من الزاب حيث فقد
سيطرته وموقعه الحصين (٢) .

وفي اليوم الثاني من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٢ هـ التقى مروان
بالجيش العباسي الذي كان يتمتع بمعنويات عالية للانتصارات المتتالية
التي حققها وللمستقبل المشرق الذي يطمحون إليه في ظل العهد الجديد
على خلاف الجيش الأموي الذي يعيش بنفسيات مرهقة أثقلتها
المحوم ومعنويات محطمة لكثرة الهزائم والضربات التي تلقوها في كل
المعارك التي دارت مع جيش الثورة العباسية ، ^ومما زاد في وهن الجيش
الأموي خبر مبايعة أبي العباس السفاح خليفة للمسلمين وتعاضم أمره
والتفاف الناس حوله ، ولقد مهد ذلك للانتصار الساحق الذي حققه الجيش
العباسي في هذه المعركة الفاصلة على الرغم من المال الذي بذله مروان
للجيش رغبة في استشارة همهم والرفع من معنوياتهم .

نشبت القتال الطاحن بين الطرفين ، وكان عنيفاً واستمر تسعة أيام
ثم انهزم مروان وهرب وفقد من جيشه بين القتل والغرق في النهر
لسقوط الجسر خلق عظيم (٣) .

(١) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٤١٨ .

(٢) فاروق عمر / طبيعة الدعوة العباسية ص ٢١١ .

(٣) الطبري تاريخ الرسل والملوك / ج ٩ ص ١٣١ ، المسعودي / مروج الذهب ج ٣

ص ٣٤٥ ، أبو الممراني / مخطوطة الأنباء في تاريخ الخلفاء ورقة ١٢ .

بالنجاح وقامت دولتهم على انقراض العرش الاموى ، وذلك بفضل دعائهم المناضلين وفي مقدمتهم الفرس وعلى رأسهم أبو مسلم الخراساني الذى له الاثر الكبير والدور البارز فى قيام الدولة العباسية حيث كان وراء كل الانتصارات التى حققها جيش الثورة العباسية بتخطيطه ودهائه ومكره وحسن تدبيره ، وقال أبو مسلم ، « ارتديت الصبر وتجلبت الكتمان ، وحالفت الاحزان والإشجان ، وسامحت المقادير والاحكام حتى بلغت غاية همى وأدركت نهاية بغيتى » (١) ، وكان يصور حالة الامويين وموقفه منهم بعد نجاحه فى القضاء على دولتهم فيقول (٢) :

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا
مازلت أسعى بجهدى فى دمارهم والقوم فى غفلة بالشام قدرقدوا
حتى طرقتهم بالسيف فانتبهوا من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما فى أرض سبعة ونام عنها تولى رعيها الاسد

ومن وراء أبي مسلم تلك القاعدة الجماهيرية العظيمة من أهل خراسان التى أيدت الدعوة العباسية وساندت ثورتها ، وانقادت طائفة خلف قادتها ويقول : الدكتور الجومرد (٣) : « انتقال الخلافة إلى بني العباس فاتحة عهد جديد ابدل اطار الدولة من عربى صميم فى عهد

(١) الاربلى / خلاصة الذهب المسبوك ص ٦٨ .

(٢) انظر مخطوطة الأنباء فى تاريخ الخلفاء ورقة ٣٢ .

(٣) الجومرد / هارون الرشيد ص ٢٨ .

بنى أُمّية إلى اطار اسلامى أعم اشتركت فيه العناصر الأخرى غير العربية وبخاصة الفرس الذين أسهموا فى قيام الدولة وعملوا فى سفينة الدعوة وقيادتها إلى ساحل النجاح .

ويقول روم لاندو (١) : « ونزع توجيه الدولة إلى انحراف على نحولا مفر منه نحو فارس ، ولقد شكل الفرس حرس الخليفة الملكى واحتل الفرس مناصب الحكومة الرئيسية » وهكذا يدبّل الله من شعب إلى آخر ، والله يقلب الليل والنهار .

٤

١٥

الفصل الثالث

الفرس والوزارة

الفصل الرابع

دولة البرامكة

وزراء متحكمون

ألقينا في الفصل السابق الضوء على الوزراء الذين تولوا وزارة الدولة العباسية ، وقد عرفنا من خلال تتبعنا لتاريخ هؤلاء الوزراء وهم من الفرس ، أن بعضهم كانوا يديرون شؤون الدولة العباسية ، وهم محكومون بأغراضهم الشخصية ، وميولهم العرقية أكثر من التزامهم بقضية الصالح العام للدولة العباسية ، ومما لاشك فيه أن مثل هذا الأسلوب في إدارة الدولة العباسية كانت له آثاره السياسية على الدولة في ذلك الحين

فإذا أضفنا إلى ذلك أن هذه المواقف والسياسات المتحجرة كانت تحدث في ظل خلفاء أقوياء ، فإنه يتبين مدى خطورة مثل هذا الاتجاه في عهود الخلفاء الضعفاء ، ويكفي كمثال لابرار درجة هذه الخطورة أن نذكر أن الزعيم البويهي معز الدولة أحمد بن بويه الذي دخل بغداد سنة ٣٣٤ هـ (١) نجح في تأسيس أول حكم فارسي وراثي في العراق ، وفي مدينة بغداد على حساب السيادة العباسية المتهاوية (٢) ، بل لاتبالغ

(١) الديار بكري / تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ج ٢ ص ٣٥٣ .

(٢) ابن خلدون / ج ٣ ص ٤١٩ ، الديار بكري / تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٥٣ ، عن قيام الدولة البويهية اقرأ قيام دولة بني بويه « وهي رسالة ماجستير بمكتبة كلية دار العلوم بالقاهرة مقدمة من حامد غنيم أبوسعيد

إذا قلنا إن الخلفاء العباسيين كانوا بمثابة موظفين لدى الأوائل من سلاطين البويهيين (١) .

ومهما يكن من أمر فإن وزراء الدولة العباسية الذين تحدثنا عنهم في الفصل السابق، كانوا جميعاً ينتمون^١ إلا القليل منهم، إلى بيوت متواضعة ، بل تكاد تكون في جملتها مجهولة ، ومع هذا فقد مارس بعضهم بقوة المركز الذى شغلوه قدراً كبيراً من النفوذ والتسلط على الدولة العباسية

وإلى جانب هؤلاء الوزراء فإن تاريخ الدولة العباسية فى عهدها الأول ، يقدم لنا وزراء آخرين ، يحتم علينا المستوى الذى تحكموا به على الدولة العباسية ، وأيضاً التطلعات التى كانت ترسم سياساتهم ، يحتم علينا هذا وذاك أن نضعهم فى إطار خاص ، اطار يرتفع بهم إلى مستوى يميزهم عن الوزراء السابقين ، وحتى وان كانوا من الناحية الرسمية يحملون ألقاب الوزراء

فلقد كانوا فى عداد الوزراء من الناحية الرسمية، غير أن نفوذهم تخطى كثيراً الحدود المتعارف عليها بالنسبة للوزراء السابقين أو التقليديين ، بل لانجاز الحقيقة إذا قلنا إن نفوذ بعضهم كان يفوق نفوذ الخليفة نفسه ، وهم مع هذا النفوذ كانوا من خلال أقاربهم وأتباعهم المتغلغلين فى مختلف شئون الدولة يسيطرون سيطرة شبه كاملة ، أى أنهم كانوا

(١) ابن خلدون / ج ٣ ص ٤١٩ ، الديار بكرى / تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٥٣ ،

حامد غنيم العلاقات العربية السياسية فى عهد البويهيين ص ٧٤ وما بعدها .

تماما يشكلون دولة في داخل الدولة ، كما أدرك ذلك ، من قديم
أبو الفرج الأصفهاني (١)

ويمكننا القول أن المتحكمين في الدولة العباسية إبان عهدها الأول
أسرات ثلاث كلها فارسية الأصل ، هي أسرة أو دولة البرامكة ، وأسرة
آل سهل ، والأسرة الطاهرية ، ومن الناحية الزمنية فإن الفترة التي تحكم
فيها البرامكة تصل في الجملة إلى سبعة عشر عاما (٢) . أي من سنة ١٧٠
بداية خلافة هارون الرشيد ، وأيضاً بداية تحكم البرامكة وتسلطهم
على الدولة العباسية حتى سنة ١٨٧ هـ ، وهي السنة التي تخلص فيها
الرشيد من البرامكة ، وبالتالي حرر الدولة العباسية من تسلطهم (٣)
على حين كان تسلط آل سهل قصيرا يصل إلى حوالى تسع سنوات ، وقد
بلغ ذروته في الفترة التي مكثها المأمون في مرو بعد انتصاره على أخيه
الأمين (٤) ، أما آل طاهر فقد تبجح تطلعهم السياسى الذى يمثل تطلع
الفرس في شكل آخر ، كما سيتضح ذلك في الفصل القادم

* * *

ولكى ندرس هذه الأسرات من زاوية تحكمهم في الدولة العباسية
وتسلطهم عليها مبتدئين بالبرامكة في هذا الفصل ، يستحسن أن نستحضر

(١) أبو الفرج الأصفهاني / الأغاني ج ٤ ص ٣٩

(٢) العيون والحدائق ج ٣ - المؤلف مجهول ص ٣٠٨

(٣) الفترة التي تمثل قوة دولة البرامكة تصل إلى تسع سنوات على وجه التقريب ، وبعد
ذلك أخذ الرشيد وبالتدرج يقلص من نفوذهم حتى القضاء الحاسم عليهم سنة ١٨٧ هـ .

(٤) تصل هذه الفترة إلى أربع سنوات .

في أذهاننا شخصية أبي مسلم الخراساني ، والتركيز على النوايا التي كانت تلون مواقفه السياسية ، وأيضاً على الأسلوب الحاسم الذي وأد به الخليفة المنصور نوايا وتطلعات الزعيم الخراساني ، كما يستحسن أيضاً أن نستحضر في الذهن الحركات ^(١) الفارسية التي قامت كرد فعل لمقتل الزعيم الخراساني ، والأساليب ^(٢) والمناورات التي لجأت إليها هذه الحركات في الوصول إلى مآربها ، وأيضاً الطرق التي عولجت وعوجلته بها كل من هذه الحركات حتى باءت بالإخفاق والفشل

لإحقيقة باءت هذه الحركات بالإخفاق ، ولكن فكرة الشار لمقتل أبي مسلم بقيت كامنة ، كما بقيت كامنة أيضاً التطلعات السياسية التي قتل دونها الزعيم الخراساني ، وهي التطلعات التي يمكن التعبير عنها بفكرة احياء المجد الفارسي الغابر ، المجد الذي تم القضاء عليه بانتصار القوات الإسلامية الفاتحة على الامبراطورية الساسانية ، ويمكن للباحث أن يلاحظ أنه مع مرور الزمن أخذت فكرة احياء المجد الفارسي الغابر تأخذ شكلاً جديداً ، ويمكن تحديد هذا الشكل الجديد بالسيطرة على الدولة العباسية من الداخل ، وذلك بعد أن فشلت محاولات النيل منها من الخارج ، أي عن طريق القوة أو الثورات المعادية .

^١ وفي هذا الفصل سنعالج مظاهر التحكم الذي مارسته دولة البرامكة وأيضاً الأسلوب الذي ووجهت به من قبل الخليفة الرشيد .

ظهور البرامكة (٢٠٠ هـ - ١٨٧ هـ)

التطور الطبيعي للأُمُور يقتضينا أن نقسم تاريخ البرامكة في الدولة العباسية إلى ثلاث مراحل : ١- ٢- ٣

١- مرحلة ما قبل الرشيد : ٢٠٠ هـ

٢- مرحلة الصعود في عهد هارون الرشيد : ٢٠٠ هـ

٣- مرحلة الأفول : ٢٠٠ هـ

ومن الناحية الزمنية فإن المرحلة الأولى ^١ هي أطول المراحل ، فقد تجاوز عمرها أربعين سنة ، ابتداء من السنوات الأخيرة من العهود العباسية إلى سنة ١٧٠ هـ بداية عهد الرشيد أما المرحلة الثانية وهي ^٢ مرحلة القوة والصعود أو ما سنطلق عليه (العصر الذهبي للبرامكة) ومدتها تسعة أعوام ، أي من بداية عهد الرشيد وما واكبه من تفويض أمور الدولة العباسية إلى يحيى البرمكي ، حتى سنة ١٧٩ هـ وبها تبدأ مرحلة الأفول ، وهي السنة التي بدأ الشك فيها يتسرب إلى الرشيد حول ولاء البرامكة ونواياهم ، بل وتطلعاتهم السياسية التي لم يكن من الممكن لها أن تتحقق إلا على حساب الرشيد ونفوذ البيت العباسي ، بل ربما على حساب السيادة العربية ، ومن هنا أخذ الرشيد يتعامل مع البرامكة بمنتهى الحذر والهدوء ، ويسير في ذات الوقت على خطة تستهدف انقراض نفوذهم وتقليص سلطاتهم ، حتى كانت ضربه القاضية لهم سنة ١٨٧ هـ .

ومن الاجمال إلى التفصيل نقول إن المصادر تؤكد أن البرامكة أسرة فارسية عريقة من مدينة بلخ ، وهي واحدة من المراكز الأساسية في خراسان (١) كما تذكر المصادر أن الجد خالد هو أول من اتصل من أسرة البرامكة بالعباسيين ، وذلك في أثناء الدعوة العباسية وقد لعب خالد هذا دورا بارزا في هذه الدعوة والتطورات التي مرت بها حتى قامت الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ (١)

كما تذكر المصادر عن خالد أنه كان وثيق الصلة ببني مسلم الخراساني ، وفي إطار هذا الاتصال شارك خالد البرمكي أبامسلم الخراساني في كثير من التطورات التي تحكى قصة الصراع بين الدعوة العباسية والدولة الأموية ، وأسهم في تدبير الأمور أثناء سير المعارك بين جيش الثورة العباسية والجيش الأموي (٢)

ويقول ابن خلدون (٣) : « إن خالدا البرمكي كان من كبار الشيعة ومن الشخصيات البارزة في الدولة وأنه كان يلي الولايات العظام » ويبدو أن اختيار خالد بن برمك لمثل هذه الأعمال كان لتفوقه في الشؤون الإدارية والمالية ، إذ يذكر اليعقوبي (٤) : « أن خالد كان يتولى قسمة الغنائم عندما انتصر قحطبة بن شبيب على قائد الأمويين

(١) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٨٧ ، ابن خلكان / وفیات الأعيان ج ٦

(٢) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٨٧ .

(٣) ابن خلدون ج ٣ ص ٢٢٢

(٤) اليعقوبي ج ٢ ص ٣٤٣

بجرجان ، ويقول العمري (١) : « خالد بن برمك أساس هذا البيت ، ومعدن هذا الذهب ، وكان له في الشيعة الهاشمية مكان منيف » .

وتسلك التطورات بعد ذلك بكل من أبي مسلم وخالد البرمكي طريقين مغايرين ، وسنتعرف في فصل لاحق على الطريق الذي سلكه أبو مسلم ، أما خالد فقد تولى ديوان الخراج والجند لأول الخلفاء العباسيين ، بل ويقال عنه إنه كان مع السفاح بمثابة الوزير ، وخاصة بعد مقتل أبي سلمة الخلال (٢) . وقد كان يعمل عمل الوزراء ولا يسمى وزيرا تخوفا مما حصل لأبي سلمة (٣) ، وتؤكد بعض المصادر وزارة خالد للسفاح وعلان ذلك (٤)

وفي عهد المنصور كان لخالد نصيبه من المناصب الهامة في الدولة العباسية ، فقد أسندت إليه الوزارة في بداية عهد المنصور (٥) ، وبعد صرفه عن الوزارة أسندت إليه ولاية فارس ، ثم ولاية الري وطبرستان ودنباوند ، وفي أثناء الولاية الأخيرة أقام خالد بطبرستان سبع سنوات ،

(١) مخطوطة مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ١٥٦

(٢) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ١٨٩ ، ابن طباطبا / الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٢٤ ، الإربلى / الذهب المسبوك ص ٥٩ ، ابن تغرى بردى / النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٢٩

(٣) انظر ابن طباطبا / الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٢٤

(٤) المسعودى / التنبية والإشراف ص ٢٩٩ ، الكازرونى / مخطوطة مختصر التاريخ

ورقة ٤٢ ، المقرئى / مخطوطة منتخب التذكرة في التاريخ ورقة ٩٧

(٥) الأربلى / الذهب المسبوك ص ٦١

وفى هذه الفترة أخذ نجم ابنه يحيى فى الظهور ، فقد ذكر المؤرخون أنه أقام بالرى نائبا عن أبيه (١)

وفوق ذلك فقد سجل التاريخ عن خالد أنه عمل كمستشار للخليفة أبى جعفر المنصور (٢) ، ومركز كهذا بالغ الأهمية إذ أن خالدا البرمكى من موقعه هذا كان يشترك فى صنع القرارات ، وفى رسم السياسة التى كان يسير عليها المنصور ، وظلت لخالد البرمكى مكانته فى عهد الخليفة المهدي ، فقد عهد إليه هذا الخليفة بتولى الكتابة لابنه هارون الرشيد ، وحينما أسند المهدي لابنه حكم المغرب كله من الأنبار إلى أفريقيا أمر خالد البرمكى بتولى ذلك كله وتدبيره (٣) ، والزعيم البرمكى بهذا صارت له كلمته المسموعة ، وأمره المطاع فى كل هذه الأقاليم التى كانت تشكل أحد القسمين الرئيسيين للإمبراطورية العباسية ، وقد بقيت لخالد هذه المكانة الكبيرة حتى توفى سنة ١٦٣هـ (٤)

هذا ولا يغيب عنا أن نذكر أن علاقة خالد البرمكى بالعباسيين قد تعرضت لفترات من الجفاء والتدهور ، حدث ذلك فى عهد المنصور وبسعاية من وزيره أبى أيوب ، غير أن المنصور سرعان ما صفع عن خالد ورده إلى سابق مكانته (٥) .

(١) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٩٩ ، ابن طباطبا / الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٣٦ .

(٢) ابن طباطبا / الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٢٥ .

(٣) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ١٥٠ .

(٤) المصدر السابق ص ١٥١ .

(٥) المصدر السابق ص ٩٩ - ١٠٠ .

✓ وفي عهد الخليفة المهدي أيضاً غضب الخليفة على خالد ، وذلك لأنه قتل واحداً من القادة الأتراك كانت تربطه علاقة قرابة بفرج خادم المهدي ، وبتأثير فرج هذا غضب المهدي على خالد وألزمه مبلغاً كبيراً من المال ، ولكن وكما فعل المنصور سرعان ما رضى المهدي عن خالد ، وقد حدث ذلك بفضل شفاعة الخيزران ، زوج الخليفة المهدي (١) وكان على علي رسائل المهدي يحيى بن خالد البرمكي (٢)

* * *

✕ وننتقل الآن إلى الفترة القصيرة التي تولى فيها الهادي منصب الخلافة (٣) ، ففي هذه الفترة حل يحيى البرمكي محل أبيه في زعامة البيت البرمكي ، وأيضاً في التطلعات التي كان يسعى إليها أبوه ، ومن أجلها خدم الدولة العباسية منذ كانت دعوة إلى ما قبل وفاة المهدي بسنوات قليلة .

وقد ارتبط تاريخ يحيى البرمكي في هذه الفترة بتاريخ الشاب هارون الرشيد / شقيق الخليفة وولي عهده ، وهو نفس الموقع الذي كان يشغله أبوه حتى وفاته .

وكان يحيى يتولى الكتابة لهارون الرشيد والنيابة عنه ووزارته قبل

(١) المصدر السابق ص ١٥١ ، وشفاعة الخيزران لخالد عطفاً على بني جلدتها الفرس .

(٢) ابن تقي بردي / النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٤٥ .

(٣) تولى موسى الهادي الخلافة لمدة خمسة عشر شهراً من أوائل المحرم سنة ٦٩ م إلى منتصف

ربيع الأول سنة ١٧٠ هـ .

الخلافة (١) ، وقد لعب يحيى دورا بالغ الاهمية في الإبقاء على ولاية العهد هارون ، وذلك في مواجهة الضغوط الكبيرة التي مارسها الهادى بهدف تنحية هارون ، وتولية ابنه جعفر بدلا منه (٢)

وكان مما قاله يحيى للخليفة الهادى لما ناظره في خلع هارون وتولية العهد لابنه : « يا أمير المؤمنين انك ان حملت الناس على نكث الايمان هانت عليهم أيمانهم وجرأتهم على حل العقود التي تعقد عليهم ، أما لو تركت الامر في بيعة أخيك بحاله ، وببيع لجعفر من بعده ، كان ذلك أوكد لبيعته » فقال : - « صدقت ونصحت وأنا أنظر في هذا » (٣)

ومما يدركه الباحث ببساطة أن تشبث يحيى البرمكى بحق هارون في ولاية العهد كان أكثر من حرص هارون وهو صاحب الحق على استمراره في ولاية العهد (٤)

وربما ارتأى البعض في اختلاغ موقف الرجلين شيئا من المفارقة غير أن هذه المفارقة سرعان ماتزول إذا عرفنا أن يحيى البرمكى كانت تحكمه تطلعاته السياسية والتي كانت ستذروها الرياح ، إذا أبعد هارون عن ولاية العهد التي تفتح أمامه الباب إلى الخلافة ومن خلالها يقفز

(١) ابن طباطبا / الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٥٩

(٢) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ١٧٤ ، المسعودى / مروج الذهب ج ٣ ص ٣٣٢ - ٣٣٣

(٣) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٣٥ ، الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ١٧٠ .

(٤) العمرانى / مخطوطة الأنباء في تاريخ الخلفاء ورقى ٤١ - ٤٢

البرامكة إلى الأمام عدة خطوات على طريق تلطعاتهم السياسية، وعلى العكس من ذلك لو نجح الخليفة الهادي في مخططة الرأي إلى إبعاد هارون الرشيد عن ولاية العهد

وربما يساعدنا ذلك في إزالة الغموض الذي يحيط بطبيعة وفاة الهادي، وكما أوضحنا كان يحيى بن خالد جهود كبيرة جدا في الحيلولة دون خلع هارون الرشيد من ولاية العهد وتوليته لابن الهادي، وكان كلما عزم الهادي على خلع أخيه واسناد العهد لابنه الطفل جعفر يحذره يحيى من مغبة الأمر، وافلات السلطة من يد بنى أبيه لو حدثت الوفاة للخليفة، لأن ابنه صغير دون سن الحلم فيعدل عن ذلك، إلا أنه في النهاية حنق على يحيى وعزم على الفتك به لثنيه عن اسناد العهد لابنه فدعاه ذات ليلة وقد قرر الفتك به وقال له : قد أفست على أخى والله لأقتلنك، إلا أن وزير الهادي ابراهيم بن ذكوان الحراني طلب من الخليفة أن يهبه له تلك الليلة ففعل وأبقاه تلك الليلة فحبس يحيى، وكان قد أيقن بالموت، وبينما كان يحيى ينتظر طارق الموت إذ بأحد خبلم الخيزران - والدة الهادي - يدخل عليه ويخبره بأن الخيزران تريده فذهب يحيى إليها وأشعرته أن الهادي توفي، وكانت ظروف موت الهادي غامضة، قيل مات شرقا وقيل مات بالمرض، وقيل مات مغموما ذلك أن الهادي لما جد في خلع هارون والبيعة لابنه جعفر وخافت والدته الخيزران على هارون منه، دست إليه من جواربها من قتله بالغم والجلوس على وجهه، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ١٧٠ هـ ويقول

المقریزی فی مخطوطته منتخب التذکرة فی التاريخ (١) : « اختلف
فی أسباب موت الهادی، قيل: إنه اشتد علی الخیزران أمه وضيق علیها
وكان یقول لا یفلح من له أم ، وأراد خلع أخیه هارون وهم بقتله
فدست إلیه من اغتاله فی منامه ، وقيل : بل خرج إلی حدیثة الموصل
فمرض وأقام آیاما ثم مات »

ویقول أبو الفداء (٢) : (ان أمه قتلتها بأن أمرت الجوارى فغمین
وجهه وهو مریض فمات)

ویقول شیرویه : صاحب مخطوطة « ریاض الأنس لعقلاء الأنس »
مات الهادی من قرحة فی جوفه ویقال قتلته أمه « (٣)

لیس من المستبعد أن یكون للمصیر الذی كان ینتظره یحیی
ابن خالد دور فی القضاء علی الخلیفة الهادی ، وفوق ذلك كانت
العلاقة بین الخلیفة وأمّه سیئة للغاية، لأن الأم كانت متسلطة علی
نفوذه ، وتصرف الأمور دونه ، فثار غضبه واستغرب المواكب التي تروح
وتغلو علی بابها ، فمنع القواد والخاصة والخدم من الاتصال بها ، وآلی
علی نفسه لیضربن عنق من یراه منهم علی بابها ، وقال لأمه : « والله
ولما فانا ننی من رسول الله صلی الله علیه وسلم لئن بلغنی أنه وقف
ببابك أحد من قوادی أو أحد من خاصتی أو خدمی، لأضربن عنقه

(١) مخطوطة منتخب التذکرة فی التاريخ ورقة ١٠١ .

(٢) المختصر فی أخبار البشر ج ١ ص ١٢

(٣) مخطوطة ریاض الأنس لعقلاء الأنس ورقة ٦٠ .

ولا أقبضن ماله فمن شاء فليلزم ذلك ، ماهذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك في كل يوم ، أمالك مغزل يشغلك ومصحف يذكرك أو بيت يصونك ، اياك ثم اياك ما فتحت بابك للمي أو لذمي » (١) ومهما يكن من أمر فإنه في الليلة التي مات فيها الهادي ولد المأمون ويقول صاحب التاريخ المظفرى (٢) « اجتمع له (لهارون الرشيد) بشارتان ، واحدة بالخلافة والأخرى بولادة المأمون وقال الناس : « مات في هذه الليلة (الليلة التي مات فيها الهادي) خليفة وولى خليفة وولد خليفة »

* * *

وهكذا يتضح لنا أن أسرة البرامكة كان لها وجودها السياسي البارز في الدولة العباسية منذ فجرها المبكر وحتى نهاية عهد الهادي ، وهي فترة تكاد تصل إلى نصف قرن من الزمان

* والوجود السياسي لأسرة البرامكة يتميز على وجود غيرهم من الفرس ومن العرب بأنه عمر طويلاً نسبياً ، وذلك بالمقارنة إلى الوجود السياسي لمعاصريهم ، فأبو مسلم الخراساني لم يعمر وجوده السياسي في الدولة العباسية سوى سنوات معدودة ، وكذلك الحال بالنسبة للوزير المورياني

(١) انظر اليعقوبي ج ٢ ص ٤٠٧ ، الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٣٣ - ٣٤ ، التنوخي الفرج بعد الشدة ج ١ ص ٦٣ - ٦٤ ، الاربيل / خلاصة الذهب المسبوك ص ١١٤ ، أبو الفداء / المختصر ج ١ ص ١٢ ، ابن تفرى بردى / النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٦٤ ، المبون والحدائق ص ٢٨٨ ، المقرئ / مخطوطة منتخب التذكرة ورقة ١٠١ ، شيرويه مخطوطة / رياض الأنس لمقلاء الأنس ورقة ٦٠

(٢) مخطوطة / التاريخ المظفرى ورقة ٩٥ ، انظر أيضاً تاريخ القرمانى ص ١٤٩

وأُسرته ، وأيضاً بالنسبة لغير هذين البيتين من البيوتات التي تألق مجدها السياسي في الدولة العباسية ابان مرحلتها الأولى .

(٢) ويتميز الوجود السياسي للبرامكة أيضاً بالتطور الذي يبدو كأنه مدروس ومخطط له ، ويبدأ هذا التطور بدور عادي في حركة الدعوة العباسية ، ويتطور الأمر إلى تولي بعض المناصب في الدولة العباسية ، ومن ثم تواصل الأسرة تطوير نفوذها ومكانتها حتى تتغلغل في صميم البيت العباسي ، أي أنهم تطوروا بنفوذهم حتى وصلوا للمواقع التي يمكنهم منها أن يرسموا اتجاه الأحداث ، بعد أن كانوا في بادئ الأمر مجرد أداة منفذة لها .

وإلى جانب هذا وذاك فان الوجود السياسي لأسرة البرامكة تميز أيضاً بالاستمرار ، صحيح أن علاقات خالد البرمكي بكل من المنصور والمهدي قد تعرضت لشيء من التوتر أو الفتور ، غير أن هذه الحالة لم تعمر طويلاً ، وبالتالي عاد خالد إلى مكانته السابقة في مركز القوة للدولة العباسية (١) ، ويقول الذهبي (٢) : « في سنة ١٥٨ صادر المنصور خالد بن برمك وأخذ منه ثلاثة ملايين درهم ، ثم رضى عليه وأمره على الموصل »

العصر الذهبي للبرامكة

لقد بدأت الفترة الذهبية لدولة البرامكة بتولى هارون الرشيد -

ابن يحيى من الرضاة - الخلافة العباسية (١)

وكان من أول الأعمال التي قام بها الخليفة العباسي الرشيد احضاره يحيى زعيم البيت البرمكى ، وقال : (٢) « يا أبت أنت أجلسنى هنا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك ، وقد قلدتك أمر الرعية ، وأخرجته من عنق إلى عنقك ، فاحكم بما ترى ، واستعمل من شئت ، وأعزل من رأيت ، وافرض من رأيت وأسقط من رأيت ، وانى غير ناظر معك فى شىء »

هذه الصيغة التي فوض فيها هارون الرشيد أمر الدولة العباسية إلى يحيى البرمكى تعتبر من أقوى صيغ التفويض وأشملها ، وإذا صح لنا أن نتقيد بنصوص الألفاظ التي وردت في هذه الصيغة فانا نخرج باستنتاج واضح ومحدد ، وهو أن الرشيد قد جرد نفسه من كافة الصلاحيات ، وان هذه الصلاحيات أصبحت كلها في قبضة يحيى البرمكى وأصبح صاحب الأمر والنهى وبلغت مكانة البرامكة

(١) تولى الرشيد الخلافة في الخامس عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠ هـ ، وكان عمره آنذاك ٣١ سنة .

(٢) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٥٠ ، الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ١٧٧ ، للمسعودى مروج الذهب ج ٣ ص ٣٣٨ ، العيون والحدائق ج ٣ ص ٢٩١ .

القمة ، وأصبح لهم من السمعة والجاه ما سرت به الركبان وبلغ الذروة ،
وغنت الشعراء بمجدهم وعزهم والثناء عليهم ومن ذلك قول أبو اللجاء
فيهم :

عند الملوك مضرة ومنافع وأرى البرامك لاتضر وتنفع
ان العروق إذا استسربها الثرى أشر النبات بها وطاب المزرع
وإذا جهلت من امرى أعرافه وقديمه فانظر إلى ما يصنع

وهكذا جعل الشاعر البرامكة من عداد الملوك بل فضلهم عليهم
لأنهم ينفعون ولا يضررون .

❖❖ ان خلافة الرشيد من (صنع البرامكة) ، أو يحيى البرمكى الذى كان
يحتل مكانة الأب بالنسبة للخليفة العباسى ^{الرشيد} ، وهذا ما أكدته
الرشيد بكل قوة ووضوح فى بداية عهد التفويض وإلى جانب ذلك فان
التفويض يجزم بقوة أيضاً أن الرشيد قد جرد نفسه من صلاحياته
كخليفة ، وأن هذه الصلاحيات أصبحت من شئون يحيى البرمكى ،
ويكفى أن نلاحظ ما ختم الرشيد به عهد التفويض من قوله : « فاني
غير ناظر معك فى شيء » ، وللباحث بعد ذلك ، وفى ضوء هذه الاعتبارات
أن يتساءل عن المركز الذى أصبح يحيى البرمكى يحتله بموجب التفويض
المذكور ، وهل هو مركز الوزارة ؟

مهما يكن من أمر فان تفويض الرشيد ليحيى البرمكى أمور الدولة
العباسية بالاطلاق والشمول السابقين يعتبر بداية ما يمكن أن يطلق
عليه بحق « دولة البرامكة » وهى الدولة التى بدأت من منتصف شهر
ربيع الثانى سنة ١٧٠ هـ ، وسقطت فى شهر صفر سنة ١٨٧ ، والى

وصل في سنواتها الأولى التأثير السياسي للفرس إلى درجة خطيرة (١) .

* وكان بعض المؤرخين يدعون أسرة البرامكة بدولة البرامكة وقد أطلق بن طباطبا هذا الاصطلاح على البرامكة بوصفه البليغ إياهم إذ يقوله (٢) : « اعلم أن هذه الدولة كانت غرة في جبين الدهر وتاجا على مفرق العصر ضربت بمكارمها الأمثال وشدت إليها الرحال ، ونيطت بها الآمال ، وبذلت لها الدنيا فلذات أكبادها ، ومنحتها أوفر اسعادها فكان يحيى وبنوه كالنجوم زاهرة والبحور زاخرة ، والسيول دافعة ، والغيوث ماطرة ، وأسواق الآداب عندهم نافقه ، ومراتب ذوى الحرمات عندهم عالية ، والدنيا في أيامهم عامرة ، وأبهة المملكة ظاهرة ، وهم ملجأ اللهف ، ومعتصم الطريد » .

ويتضح لنا صحة هذا الوصف وصدق الاصطلاح من معرفة مدى قوة وشمول سيطرة البرامكة على الدولة العباسية في الفترة الأولى من عهد الرشيد ، وتتضح لنا أبعاد هذه السيطرة من التعرف على المراكز التي احتلها والصلاحيات التي مارسها زعماء الأسرة البرمكية ، وعلى رأسها ثلاثة رجال هم :

* يحيى وولده الفضل وجعفر ، ومن دراسة توزيع النفوذ والسلطان بين هؤلاء الثلاثة يتبين لنا أنهم أحكموا قبضتهم لاعلى الدولة العباسية فحسب ، بل وفوق ذلك على الخليفة هارون الرشيد نفسه .

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٨٠-٨٦ ، ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ١٧٧ .

(٢) ابن طباطبا / الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٥٩ .

ويقول عنهم العمري في مخطوطته « مسالك الأبصار » (١) : « كانوا رحمهم الله البحور الزواجر ، والعيون السواكب ، والربيع المرع ، والجمال الشواهي والنجوم اللوامع ، والبذور الكوامل ، وكانوا أمة كرم ، وملة فضل ، وكعبة جود ، وقبلة أمل ، ومحل قصد ، ومحط وفد لم يقدمهم مثلهم ، ولا جاء بعدهم من أشبههم ولا أظن الدهر يلد مثلهم ، ولا الأيام تظفر بنظيرهم » ، وينقل العمري رواية عن ابن سعيد تشهد بمكانة البرامكة المرموقة ، ومؤدى الرواية : « يقول ابن سعيد وهو المتعصب للمغاربة فاما إذا افتخر أهل المشرق بالبرامكة مددنا لهم الأعنان خضوعا ، وأغضينا العيون حياءً وسلمنا إليهم » .

* ويقول الاصفهاني عن ازدياد نفوذ البرامكة وسيطرتهم على الأمور (٢) : « ان في دولة الرشيد دولة أخرى ملوكها البرامكة » . فيحيى كان صاحب الكلمة العليا في شئون الدولة ، فله الوزارة ، وهي وزارة تفويض ، وله الدواوين كلها ويقول الجهشيارى (٣) ، « كانت الدواوين كلها إلى يحيى بن خالد مع الوزارة سوى ديوان الخاتم » ثم عهد هذا الديوان إلى يحيى سنة ١٧١ هـ (٤) .

وقال أحد الشعراء بعد تولية يحيى الوزارة (٥) :

ألم تر أن الشمس كانت مريضة فلما أتى هارون أشعل نورها

(١) العمري / مخطوطة مسالك الأبصار ج ٧ ورقة ١٥٤ .

(٢) الاصفهاني / الأغاني ج ٤ ص ٣٩ .

(٣) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ١٧٧ ، انظر أيضاً الطبرى تاريخ الرسل

والملوك ج ١٠ ص ٥١ .

(٤) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ١٧٨ ، العمري ، مخطوطة مسالك الأبصار

ج ٧ ورقة ١٥٦ .

(٥) الميراني / مخطوطة الأنباء في تاريخ الخلفاء ورقة ٤٤ .

تلبست الدنيا جللا بملكه فهارون واليها ويحي وزيرها

وقد منح يحي امتيازات خطيرة فهو أول من أمر من الوزراء حيث
استقل بمكاتبة العمال ، ولم يكن لمثل هذه المكاتبات أن تصدر في
السابق إلا عن الخليفة نفسه (١) .

فإذا أضفنا إلى ذلك أنه كان كبير السن وذا خبرة عالية في إدارة
شئون الدولة أدركنا ضخامة السلطات التي كان يتمتع بها ، ويتبين لنا
القوى الكبيرة التي يمسك بها ويوجهها ، أي أنه جمع في قبضته إلى
جانب القوة السياسية والإدارية القوة الاقتصادية

أما الفضل بن يحي فقد تولى في دولة الرشيد العديد من الأعمال
والمهام ، كان الفضل قائد الجيش العباسي الذي وجهه الرشيد للقضاء
على حركة الزعيم العلوي يحي بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي
ابن أبي طالب سنة ١٧٢ هـ (٢) ، وبعد ذلك بسنوات وفي سنة ١٧٦ قلد
الرشيد الفضل بن يحي المشرق كله من النهروان إلى بلاد الترك ، (٣)
كما تولى في السابق ديوان الخراج (٤) .

وفوق ذلك عهد الرشيد إلى الفضل بتربية ابنه محمد الأمين ،
وأسكنه في قصره المعروف بالخلد (٥) ، وقد رضع الفضل من أم

(١) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ١٧٧ - ١٧٨ ، المعرى / مخطوطة مسالك
الأبصار ج ٧ ورقة ١٥٧ .

(٢) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(٣) المصدر السابق ص ١٩٠ ، الميرون والحدائق ج ٣ ص ١٩٦ ، الشيبى / مؤرخ

للعراق ابن الفوطى ج ١ ص ٥٠ ، مخطوطة التاريخ المظفرى ورقة ٩٥ .

(٤) ابن خلكان / وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٧ - ٢٨ .

(٥) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ١٩٣ .

هارون الرشيد (١)

ويعنينا مما سبقت الإشارة إليه بالنسبة للفضل أن نبرز أن الأمين كان أكبر أبناء الرشيد وأيضاً ولي عهده ، أما أمه فهي زبيدة والسيدة الأولى في الدولة العباسية ، فالفضل إذن كان يشغل مركزاً بالغ الأهمية .
يسمح له بأن يلعب مع الأمين دوراً مشابهاً لذلك الدور الذي سبق أن قام به والده يحيى مع الرشيد .

وفي ذلك يقول مروان بن حفصة :

كنى لك فخراً أن أكرم حرة غدتك بثدى والخليفة واحداً
لقد زنت يحيى في المشاهد كلها كما زان يحيى خالداً في المشاهد
هذا عن الفضل ، أما أخوه جعفر فقد سجل عنه التاريخ أنه كان

→ ذا حظوة كبيرة لدى الرشيد ، ذلك بأنه كان المجلس الأول للرشيد ،
ونديمه الأول ، وأيضاً مستشاره الأول ، وبالجملة فإن جعفراً كان الرجل
الذى يلازم الرشيد أطول فترة ممكنة في الليل وفي النهار ، ويشاطره
في كثير من المواقف ، وطبعاً أنه من موقعه هذا كان يوحى إلى الرشيد
بانتهاج سياسات معينة ، يقول الجهشيارى : (٢) وغلب جعفر على
الرشيد غلبة شديدة حتى صار لا يقدم عليه أحداً ، وأنس به كل الأنس ،
وأنزله بالخلد بالقرب من قصره .

(١) ابن طباطبا / الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٦٢ .

(٢) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ١٨٩ .

✳ وكان يدعى السلطان لاطلاق ولايته ، (١) ويقول ابن تغرى بردى (٢) : « تمكن (يعنى جعفر) من الرشيد حتى بلغ من الجاه والرفعة ما لم ينله أحد قبله » .

ويقول الصفدى (٣) : وبلغ جعفر من علو المنزلة عنده (يعنى الرشيد) ما لم يبلغه سواه حتى أن الرشيد اتخذ ثوبا له ريقان فكان يلبسه هو وجعفر جملة ولم يكن للرشيد عنه صبر (٤) » .

✳ وقد ولاه الرشيد حرسه (٥) ، وفى سنة ١٧٦ هـ أسند اليه ولاية المغرب من الأنبار إلى أفريقية (٦) .

وفى سنة ١٨٠ هـ أسند الرشيد إلى جعفر ولاية خراسان وسجستان (٧) ، ويروى صاحب مخطوطة (التاريخ المظفرى) (٨) : « أن الرشيد أسند إليه ولاية الشام والجزيرة » .

✳ وكان المأمون بن الرشيد بججر جعفر فأشار على الرشيد بمبايعته بالعهد بعد محمد الأمين ، وقام بالأمر حتى تمت له البيعة ، وشخص

(١) ابن خلدون / المقدمة ص ٢٣٨ ، القلقشندي / صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٤٨ ، ج ٩ ص ٤٠٣ - ٤٠٤ .

(٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٢٣ .

(٣) الصفدى / الوافى بالوفيات مصور ج ١١ ص ٧٢ ، وانظر تاريخ القرمانى ص ١٥٠

(٤) (فى هذه الرواية مبالغة واضحة ، بل كذب واضح ، لأن الإنسان مع زوجته لا يتخذ ثوبا واحدا ، فكيف يمكن أن يقع هذا من خليفة له رأى وعقل ؟) .

(٥) الطبرى ج ١ ، ص ٦٨ ، المقرئ / منتخب التذكرة فى التاريخ ورقة ١٠٢ .

(٦) الجهمشيارى / الوزراء والكتاب ص ١٩٠ ، العيني / مخطوطة تاريخ البدر فى أوصاف أهل العصر ورقة ٤٠ .

(٧) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٦٨ ، ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ١٥٢ .

(٨) مخطوطة / التاريخ المظفرى ورقة ٥٩ .

به معه من الرقة إلى بغداد لتأكيد البيعة له ، وأخذ الأيمان على بنى هاشم ووجهاء بغداد وكاتب العمال في جميع النواحي (١) وقد شهد الأمين بعد توليه الخلافة بسيطرة جعفر على الرشيد وقوة تأثيره عليه ، حتى أنه قال عند مناظرته لأحد مستشاريه لما أراد خلع أخيه المأمون من ولاية العهد ، وكان مستشاره يريد أن يثنيه عن خلع المأمون ويذكره بأن البيعة له تمت من قبل والده الرشيد أكدت بتعليق المواثيق بالكعبة ؛ « إن رأى الرشيد كان فلتة شبهها عليه جعفر بن يحيى بسحره ، واستماله برقاه وعقده ، فغرس لنا غرساً مكروهاً لا ينفعنا ما نحن فيه إلا بقطعه ، ولا تستقيم لنا الأمور إلا باجتنائه والراحة منه » (٢) ويقول ابن خلكان (٣) : « كان جعفر متمكناً عند الرشيد ، غالباً على أمره ، واصلاً منه ، وبلغ من علو المرتبة عنده ما لم يبلغه سواه » ، وبلغ من منزلته عند هارون الرشيد أنه أشركه معه بالنظر في المظالم ، وقلده مراقبة دور الضرب والطرز والبريد (ويقول الجهشيارى : (٤) « وقلد جعفر بر الآفاق كلها ، والنظر في ضرب النقود والتطريز وسائر الكور والأقاليم ») ويؤيد هذا المقریزی فيقول : (٥) وهارون الرشيد أول خليفة ترفع عن مباشرة العيار بنفسه ، وقد كان الخلفاء من قبله يتولون النظر في عيار الدراهم والدنانير بأنفسهم ، وكان هذا مانوه

(١) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢١١

(٢) الطبرى ج تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ١٣٦

(٣) ابن خلكان / وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٣٢ ، انظر الصفدى الوافى بالوفيات مصور ج ١١ ص ٧١ ، اليوزبكى / الوزارة نشأتها وتطورها في العصر العباسي ص ٦٠ .

(٤) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢٠٤ .

(٥) المقریزی / شذور العقود في ذكر النقود ص ١١ - ١٢ .

باسم جعفر بن يحيى إذ هو شيء لم يتشرف به أحد قبله ، كما أن الرشيد أمر بكتابة اسم جعفر على الدنانير والدرهم بمدينة السلام والمحمدية .

ويقول صاحب مخطوطة التاريخ المظفرى : (١) « كان جعفر قد ضرب دنانير وزن كل جرم مائة مثقال ، ثم ضرب كل جرم ثلاثمائة مثقال ، ولم تبلغ همة ملك من الملوك إلى قريب من هذا » .

وكان لجعفر تأثير كبير على الرشيد ، ومكانة سامية عنده ، ويتجلى ذلك من قصة جعفر مع عبد الملك بن صالح العباسي ولا بأس من ايراد نص القصة كاملاً ونقلاً عن ابن طباطبا (٣) ويقول : « قيل إن جعفر بن يحيى البرمكى جلس يوماً للشرب ، وأحب الخلوة فأحضر ندماء الذين يأنس بهم وجلس معهم ، وقد هيأ المجلس ولبسوا الثياب الحمر والصفرة والخضر ، ثم ان جعفر بن يحيى تقدم إلى الحاجب ألا يأذن لأحد من خلق الله تعالى سوى رجل من الندماء كان قد تأخر عنهم اسمه عبد الملك بن صالح ، ثم جلسوا يشربون ودرات الكاسات وخفقت العيدان ، وكان رجل من أقارب الخليفة يقال له : عبد الملك ابن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس ، وكان شديد الوقار والدين والحشمة ، وكان الرشيد قد التمس منه أن يناديه ويشرب معه ، وبذل له على ذلك أموالاً جليلاً فلم يفعل ، فاتفق أن عبد الملك هذا حضر إلى باب جعفر ليخاطبه في حوائج له ، وفطن الحاجب أنه هو عبد الملك ابن صالح الذى تقدم جعفر بن يحيى بالإذن له ، وألا يدخل غيره

(١) مخطوطة التاريخ المظفرى ورقة ١٠٠

(٣) ابن طباطبا / الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٦٦ - ١٦٧ ، انظر الصفدى .

الوافى بالوفيات مصور ج ١١ ص ٧١ - ٧٢ .

فأذن الحاجب له فدخل عبد الملك على جعفر ، فلما رآه جعفر كاد عقله يذهب من الحياء وفطن أن القضية قد اشتبهت على الحاجب بطريق اشتباه الاسم ، وفطن عبد الملك بن صالح للقضية وظهر له الخجل في وجه جعفر بن يحيى ، فانبسط عبد الملك وقال : لا بأس عليكم ، احضروا لنا من هذه الثياب المصبغة شيئا ، فاحضر له قميص ، فلبسه وجلس يباسط جعفر بن يحيى ويمارحه وقال : اسقونا من شرابكم فسقوه رطلا ، وقال : ارفقوا بنا فليس لنا عادة بهذا ، ثم باسطهم ومارحهم ، ومازال حتى انبسط جعفر بن يحيى وزال انقباضه وحيأوه ففرح بذلك فرحا شديدا ، وقال له : ما حاجتك ؟ قال جئت : اصلحك الله في ثلاث حوائج أريد أن تخاطب الخليفة فيها :

أولا : على دين مبلغه مليون درهم أريد قضاءه .

ثانيا : أريد ولاية لابنى يشرف بها قدره .

ثالثا : أن تزوج ولدى بابنة الخليفة فانها بنت عمه ، وهو كفاء لها .

فقال جعفر بن يحيى : قد قضى الله هذه الحوائج الثلاث ، أما المال ففي هذه الساعة يحمل إلى منزلك ، وأما الولاية فقد وليت ابنك مصر ، وأما الزواج فقد زوجته فلانة بنت مولانا أمير المؤمنين على صداق مبلغه كذا وكذا فانصرف في أمان الله ، فراح عبد الملك إلى منزله فرأى المال قد سبقه ، ولما كان من الغد حضر جعفر عند الرشيد وعرفه ماجرى ، وأنه قد ولي ابنه مصر وزوجه ابنته ، فعجب الرشيد من ذلك وأمضى العقد والولاية ، فما خرج جعفر من دار الرشيد حتى كتب له التقليد بمصر ، وحضر القضاة والشهود وعقد العقد .

ومن هذه الرواية وغيرها من الشواهد يتضح نفوذ جعفر بن يحيى المتمكن من الخليفة وسلطته الشاملة حتى غلب على خصوصيات الخليفة من تزويج بناته وتدبيره السياسى الذى لا يرد .

ويقول أحمد فريد (١) : « ان ذلك ليقطع بعلو مكانة البرامكة ، وكبير نفوذهم وسامى منزلتهم عند الرشيد وفى الدولة التى هم مفزع رجالاتها وموئل زعمائها » .

وقال الشاعر ابن منذر فى البرامكة (٢) :

أَتَانَا بنو الأملاك من آل برمك فيا طيب أخبار ويا حسن منظر
إذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بغداد وتجلو لنا الدجى بمكة ماعشنا ثلاثة أقمر
فما خلقت إلا لجود أكفهم وأرجلهم إلا الأعواد منبر

ولا شك أن الرشيد بتصرفه مع جعفر فى القصة التى سقناها والتى كان طرفها عبد الملك بن صالح العباسى وتصرفاته مع البرامكة الآخرين فى مواقف أخرى كان يداهنهم ويدارى ، وان كان غير راض على تصرفاتهم وزيادة نفوذهم واستبدادهم تمهيدا للفتك بهم فى الوقت المناسب .

وإلى جانب يحيى وابنيه الفضل وجعفر ، كان يوجد آخرون من أسرة البرامكة لهم أيضاً مراكزهم الهامة ، فقد تولى حجبه الرشيد محمد

(١) عصر المأمون ج ١ ص ١٤٨ .

(٢) العمرى / مخطوطة مسالك الأبصار ج ٧ ورقة ١٥٥ .

ابن خالد بن برمك (١) ، وذلك ابتداء من سنة ١٧٢ هـ ، وظل محمد في هذا المركز الحساس حتى صرفه الرشيد عنها في سنة ١٧٩ هـ (٢) ، وهي السنة التي بدأ الرشيد فيها يتعامل مع البرامكة بحذر ، بعد أن بدأ الشك يتسرب إلى نفسه حول ولائهم واخلاصهم ، وتشير المصادر إلى منصب آخر ، وهو منصب متولى الزمام الخاص بمحمد بن هارون الرشيد ، فقد كان يتولاه محمد بن يحيى بن خالد (٣) ، واستعمل الرشيد موسى بن يحيى بن خالد على الشام وذلك سنة ١٧٦ هـ (٤) ، ويقول السيوطي (٥) : « كانت البرامكة كلهم في معنى الوزراء للرشيد » حتى قال سلم الخاسر :



إذا ما البرمكي غدا ابن عشر فهمته أمير أو وزير

والتوزيع للمناصب الكبرى والمراكز الخطيرة في الدولة العباسية لم يكن عفويا ، بل إن الباحث يكاد يجزم أن هذا التوزيع كان يستهدف محاصرة الرشيد والإحاطة به من كل جانب حتى ، لا يتحرك إلا من خلال أسرة البرامكة ، والجميع يعملون من أجل غاية واحدة (٦) وهي أن تكون لهم من الناحية العملية دولة الرشيد ، وأقرب ما يمكن أن يشبه به تحكم وتسلط البرامكة في ضوء توزيع المناصب فيما بينهم هو مجموعة الدوائر المتداخلة ، وفي القلب منها الرشيد ، الذي لم يعد من السهل عليه النفاذ من هذه الدوائر .

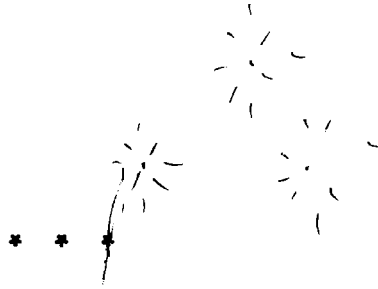
- (١) الكازورني / مخطوطة مختصر التاريخ ورقة ٤٨ .
- (٢) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ١٨٧ - ٢٣٢ .
- (٣) المصدر السابق ص ٩٣ .
- (٤) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ، ص ٦٠ ، ابن تغرى بردى / النجوم

الزاهرة ج ٢ ص ٨١ .

- (٥) السيوطي / حسن المحاضرة ج ٢ ص ١١٣ .

* ولكي تكتمل ملامح الصورة يمكننا أن نوضح كما أشارت إلى ذلك المصادر التاريخية أن معظم الرجال البارزين في دولة الرشيد كانوا من صنائع البرامكة واتباعهم ، لدرجة أن الرشيد وجد صعوبة كبيرة في العثور على رجال ممن لم تكن لهم صلة بالبرامكة ليتولوا بعض شئون الدولة العباسية (١) .

هذه هي دولة الرشيد ، أو هذه هي دولة البرامكة في داخل دولة الرشيد ، وقد استمرت سيطرة البرامكة على مدى السنوات التسع الأولى من خلافة الرشيد ، ثم بعد ذلك بدأ الرشيد في خطته المضادة والمهادفة إلى تخليص الدولة العباسية من تحكم البرامكة ، وكانت الجولة الأخيرة له حين قضى عليهم في أوائل الشهر الثاني من سنة ١٨٧ هـ *



* سقوط البرامكة

في الساعات الأخيرة من الليلة الثانية من شهر صفر سنة ١٨٧ هـ ،
باغت الرشيد البرامكة ، وقضى عليهم في خطة يبدو بكل وضوح
انها كانت مدروسة بعناية فائقة ، وقد بدأت الخطة بقتل جعفر (١) ،
أما يحيى والباقية من أبنائه فقد سيقوا إلى السجن ، وفي نفس الوقت
نُصِفَت أموالهم (٢) ، ومن ثم أصبحت أسرة البرامكة مجرد خبر
من أخبار التاريخ ، لكنه خبر له بعده الخاص ودلالته التي لا يمكن
للباحث أن يغفلها أو يتجاهلها

وما فعله الرشيد بأسرة البرامكة يذكر الباحث بما فعله المنصور
مع أبي مسلم ، وأيضاً بما فعله المنصور مع وزيره المورياني ، وما فعله المهدي
مع وزيريه أبي عبد الله معاوية بن يسار ويعقوب بن داود (٣) .

وقد أثارَت نكبة البرامكة كوامن الأسى في نفوس الكثيرين ،
وأثارَت شجون الشعراء ، فسالت قصائدهم بالدمع الغزير ، وتصاعد منها
الحنين والأنين / ، ومن ذلك ما قاله الرقاشي في رثاء جعفر :

أما والله لولا خوف واش وعين للخليفة لاتنام

(١) الطبري تزيخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ١٨٦ ، ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ١٧٧ .

(٢) ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ١٨٧

(٣) الجهمياري / الوزراء والكتاب ص ١٥١ - ١٥٦ ، ابن خلكان / وفيات

الأعيان ج ٧ ص ٢١ ، ابن طباطبا / الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٤٩ .
مكتبة المهتدين الإسلامية

لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلام
وما أبصرت قبلك يا ابن يحيى حساما قد ه السيف الحسام
على المعروف والدنيا جميعا بدولة آل برمك السلام

وما قاله دعبل الخزاعي يصور تلك المأساة الفادحة :

ولما رأيت السيف قد قدّ جعفرا ونادى مناد للخليفة يا يحيى
بكيت على الدنيا وأيقنت أنه قصارى الفتى يوما مفارقة الدنيا
أجعفر ان تهلك فرب عظمة كشفت ونعمى قد وصلت بهانعمى
وقل للذى أبدى ليحيى وجعفر شماته أبشر لثأتينهم العقبي
لئن زال غصن الملك عن آل برمك فما زال حتى أثمر الغصن واستعلى

ولا ريب أن هذه الأبيات تصور ما كان للبرامكة من مجد وسؤدد
ومكانة سامية في نفوس الناس ، لبروزهم السياسى وبذلهم العطايا والهبات
حتى نافسوا الرشيد في سلطانه ، وكان عدد من يطرقون أبوابهم ويتغنون
بفضلهم وعزهم وأمجادهم ، أكثر ممن يطرقون باب الخليفة الرشيد
ويتغنون بمجده وعزه ، وكان ذلك من عوامل نكبة الرشيد لهم / وسنتبين
بالمناقشة أسباب النكبة ، ودوافع حقد الرشيد عليهم .

* مناقشة موضوعية لعوامل نكبة البرامكة

دولة البرامكة ومدى النفوذ الذى تمتعوا به فى الدولة العباسية من الحقائق التاريخية المعروفة والشائعة ، أما الأسباب الحقيقية التى دفعت الرشيد إلى استئصالهم بهذه الطريقة العنيفة والحاسمة ، فقضية لاتزال فى حاجة إلى المزيد من الضوء والتحصيل ، والسر فى الغموض الذى يلف الأسباب التى أدت إلى نكبة البرامكة ، يرجع فى الأساس إلى أن الرشيد وهو الوحيد الذى كان يعرف أبعاد هذه الحقيقة ، لم يبح ولم يشر من قريب أو بعيد ، بشكل مباشر أو غير مباشر ، إلى السبب الذى استحق من أجله البرامكة أن ينكبوا بهذه الطريقة ويقول ، الرشيد لما نكب البرامكة واستصفى أموالهم : « لو علمت يمينى بالسبب الذى فعلت هذا لقطعتها » (١) .

وازاء هذا الصمت المتعمد من الرشيد ، لايسعنا إلا أن نحاول التعرف على أسباب الأزمة ، وذلك من خلال المعلومات التى تقدمها لنا المصادر التاريخية .

وللحقيقة فإنه يوجد لدى المؤرخين العديد من الأسباب ، ولكن مع ذلك تبقى الصعوبة قائمة ، وذلك لأن هذه الأسباب ليست محل اتفاق من المؤرخين ، بل ان بعض الأسباب التى أوردها البعض قد تعرضت للنقد والتجريح من قبل البعض الآخر .

ونبدأ بما ذكره المؤرخون من أسباب ، وتأتى فى مقدمة الأسباب من ناحية الشيوع والرواج قصة العباسة ^(١) أخت الرشيد ، والعلاقة التى قامت بينها وبين جعفر البرمكى ~~وأورد~~ القصة نقلا عن المسعودى ، وهى كما يلى (١) : « ذكر ذو معرفة بأخبار البرامكة أنه لما بلغ جعفر ابن يحيى بن خالد بن برمك ويحيى بن خالد والفضل وغيرهم من آل برمك ما بلغوا من الملك وتناهوا إليه من الرياسة واستقامت لهم الأمور حتى قيل : إن أيامهم عروس وسرور دائم لايزول ، قال الرشيد لجعفر ابن يحيى : ويحك يا جعفر ! ! انه ليس فى الأرض طلعة أنا بها آنس ولا إليها أميل ، وأنا بها أشد استمتاعا وأنسا منى برؤيتك ، وان للعباسة أختى منى موقعا ليس بدون ذلك ، وقد نظرت فى أمرى معكما ، فوجدتني لا أصبر عنك ولا عنها ، ورأيتني ناقص الحظ والسرور منك يوم أكون معها ، وكذلك حكى منك يوم كونى معك دونها ، وقد رأيت شيئا يجتمع لى به السرور ، وتتكاثر لى به اللذة والأنس ، فقال : وفقك الله يا أمير المؤمنين وعزم لك على الرشيد فى أمورك ، قال الرشيد : - قد زوجتكها تزويجا تملك به مجالستها والنظر إليها والاجتماع بها فى مجلس أنا معكما فيه لاسوى ذلك ، وأشهد له من حضره من خدمه وخاصة مواليه ، وأخذ الرشيد عليه عهد الله ومواثيقه وغلظ أيمانه أنه لا يخلو بها ، ولا يجلس معها ، ولا يظله واياها سقف بيت إلا وأمير المؤمنين الرشيد ثالثهما ، فحلف له جعفر على ذلك ، ورضى به ، وألزمه نفسه .

(١) المسعودى / مروج الذهب ج ٣ ص ٣٧٥ - ٣٨٠ ، انظر الصفدى / الواقى بالوفيات مصور ج ١١ ص ٧٢ - ٧٣ ، مخطوطة التاريخ المظفرى ورقة ١٠٠ .

وكانوا يجتمعون على هذه الحالة التي وصفناها وجعفر في ذلك صارف بصره عنها ، مزور بوجهه هيبة لأمير المؤمنين ، ووفاء بعهده وأيمانه ومواريقه على ما وافقه الرشيد عليه ، وعلقت العباسية ، واضمرت الاحتياال عليه وكتبت إليه رقعة ، فرد رسولها وشتمه وتهده ، وعادت فعاد بمثل ذلك ، فلما استحکم اليأس عليها قصدت لأمه ولم تكن بالحازمة ، فاستألتها بالهدايا من نفيس الجواهر والألطف ، وما أشبه ذلك من كثرة المال وألطف الملوك ، حتى ظنت أنها لها في الطاعة كالأمة ، وفي النصيحة والإشفاق كالوالدة ، فألقت إليها طرفا من الأمر الذي تريده ، وأعلمتها ما لها في ذلك من حميد العاقبة ، وما لابنها من الفخر والشرف بمصاهرة أمير المؤمنين ، وأوهمتها أن هذا الأمر إذا وقع كان به أمان لها ولولدها من زوال النعمة وسقوط مرتبته .

استجابت أم جعفر لما قالت العباسية ، ووعدتها بإعمال الحيلة في ذلك ، وأنها تلطف لها حتى تجمع بينهما ، فأقبلت على جعفر يوما فقالت له : يا بني ، قد وصفت لي وصيفة في بعض القصور من تربية الملوك قد بلغت من الأدب والمعرفة والطرف والحلاوة ، مع الجمال الرائع والقدر البارع والخصال المحمودة ما لم ير مثله ، وقد عزمتم على اشترائها لك ، وقد قرب الأمر بيني وبين مالكها ، فاستقبل جعفر كلامها بالقبول علقت بذلك قلبه وتطلعت إليها نفسه ، وجعلت تماطله حتى اشتد شوقه ، وقويت شهوته ، وهو في ذلك يلح عليها بالتحرك والاقتضاء ، فلما علمت أنه عجز عن الصبر واشتد به القلق ، قالت له : أنا مهديتها إليك ليلة كذا وكذا ، وبعثت إلى العباسية فأعلمتها بذلك ، فتأهبت

بمثل ما تتأهب به مثلها ، وسارت إليها في تلك الليلة ، وانصرف جعفر
مكتبة المصنفين الإسلامية

فى تلك الليلة من عند الرشيد ، وقد بقى فى نفسه من الشراب فضاة لما قد عزم عليه ، فدخل منزله ، وسأل عن الجارية فخبّر بمكانها ، فأدخلت على فتى سكران لم يكن بصورتها علما ولا على خلقها واقفا ، فقام إليها فواقعها ، فلما قضى حاجته منها قالت له : كيف رأيت حيل بنات الملوك ؟ قال : وأى بنات الملوك تعنين وهو يرى أنها من بعض بنات الروم ، فقالت له : أنا مولاتك العباسة بنت المهدي ، فوثب فزعا قد زال عنه سكره ورجع إليه عقله ، فأقبل على أمه وقال : لقد بعثنى بالثمن الرخيص ، وحملتني على المركب الوعر ، فانظري ما يؤول إليه حالى ، وانصرفت العباسة مشتملة منه على حمل ، ثم ولدت غلاما فوكلت به خادما من خدمها يقال له رياش ، وحاضنة تسمى بره .

فلما خافت ظهور الخبر وانتشاره وجهت الصبي والخادم والحاضنة إلى مكة ، وأمرتهما بتربيته وطالت مدة جعفر ، وغلب هو وأبوه وأخوته على أمر المملكة ، وكانت زبيدة أم جعفر زوج الرشيد من الرشيد بالمنزلة التى لا يتقدمها أحد من نظرائها ، وكان يحيى بن خالد لا يزال يتفقد أمر حرم الرشيد ويمنعهن من خدمة الخدم فشكت زبيدة إلى الرشيد فقال ليحيى بن خالد : يا أبت ما بال أم جعفر تشكوك ، فقال يا أمير المؤمنين أمتهم أنا فى حرمك وتدير قصرى عندك ؟ فقال لا والله فقال : لا تقبل قولها : قال الرشيد : فلست أعاودك ، فازداد يحيى لها منعا ، وعليها فى ذلك غلظة ، وكان يأمر بقفل أبواب الحرم فى الليل ، ويمضى بالمفاتيح إلى منزله ، فبلغ ذلك من أم جعفر كل مبلغ ، فدخلت ذات يوم على الرشيد فقالت ، يا أمير المؤمنين . ما يحمل يحيى على ما لا يزال يفعله من منعه إياى من خدمى ووضع إياى فى غير

موضعي ؟ فقال لها الرشيد : يحيى عندى غير متهم فى حرمى ، فقالت : ان كان كذلك لحفظ ابنه مما ارتكبه فقال : وما ذاك ؟ وخبرته بالخبر وقصت عليه قصة العباسة مع جعفر ، فسقط فى يده وقال لها : هل لك على ذلك من دليل أو شاهد قالت : وأى دليل أدل من الولد ؟ قال : وأين الولد ؟ قالت : قد كان ههنا ، فلما خافت ظهور أمره وجهته إلى مكة فقال لها : أفيعلم هذا أحد غيرك ؟ قالت : ما فى قصرك جارية إلا وقد علمت به ، فأمسك عن ذلك ، وطوى عليه كشحا .

أظهر الرشيد أنه يريد الحج ، فخرج هو وجعفر بن يحيى وكنتبت العباسة إلى الخادم والحاضنة أن يخرججا بالصبي إلى اليمن فلما صار الرشيد إلى مكة ، وكل من يثق به بالفحص والبحث عن أمر الصبي والداية والخادم . فوجد الأمر صحيحا ، فلما قضى حجه ورجع أضمر فى البرامكة على إزالة نعمهم ، فأقام ببغداد مديده ، ثم خرج إلى الأنبار فلما كان فى اليوم الذى عزم فيه على قتل جعفر دعا بالسندى ابن شاهك ، فأمره بالمضى إلى مدينة السلام والتوكيل بدور البرامكة ودور كتابهم وأبنائهم وقراباتهم وأن يجعل ذلك سرا من حيث لا يكلم به أحدا حتى يصل إلى بغداد ، ثم يفضى بذلك إلى من يثق به من أهله وأعوانه ، فامتثل السندى ذلك ، وقعد الرشيد وجعفر عنده فى موضع يعرف فى الأنبار بالعمر ، فأقاما يومها بأحسن هيئة وأطيب عيش ، فلما انصرف جعفر من عنده خرج الرشيد حتى ركب مشيعا له ثم رجع الرشيد فجلس على كرسى ، وأمر بما كان بين يديه فرفع ، فمضى جعفر إلى منزله وفيه فضلة من الشرب ، ودعا بأبى

زكار المغنى الطنبورى وابن الشيخ كاتبه ، ومدت ستارة وجلس
جواريه خلفها يضربن ويغنين وأبو زكار يغنيه (١) :

ما تريد الناس منا ما تنام الناس عنا
انما هممتهم أن يظهروا ما قد دفننا

وأمر الرشيد من ساعته ياسرا خادمه (٢) المعروف برخله، فقال له :
انى أندبك لأمر ما أرى محمدا ولا القاسم له أهلا ولا موضعا، ورأيتك
به مستقلا ناهضا فحقق ظنى ، واحذر أن تخالف أمرى فيكون ذلك
سببا فى سقوط منزلتك عندى وفساد حالك لدى فقال : أألت تعرف
جعفر بن يحيى البرمكى ؟ قال : يا أمير المؤمنين وهل أعرف سواه ؟
أو ينكر مثل جعفر ؟ قال : ألم تر تشييعى اياه عند خروجه ؟ قال :
بلى ، قال : فامض الساعة إليه فأتنى برأسه على أى حالة تجده عليها ،
فأرتج على ياسر الكلام وأخذته رعدة ووقف لا يحير جوابا ، فقال :
يا ياسر ألم أتقدم إليك بترك الخلاف على ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين ،
ولكن الخطب أجل من ذلك والأمر الذى ندبني إليه أمير المؤمنين
وددت لو أنى كنت مت قبل أن يجرى على يدى منه شيء ،
فقال : دع عنك هذا وأمض لما قد أمرتك فمضى ياسر حتى دخل على
جعفر وهو على حال لوده ، فقال له : ان أمير المؤمنين قد أمرنى فيك

(١) المصادر تورد بيتا آخر غير هذين كان يغنيه ابوزكار وهو :

فلا تبعد فكل فى سياتى عليه الموت يطرق أو ينادى

انظر الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٨٤ ، ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ١٧٦ .

(٢) ورد فى معظم المراجع أن اسم الخادم الذى بثه الرشيد لقتل جعفر مسرور وليس
ياسر انظر : الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٨٤ ، الجهشيارى / الوزراء والكتاب
ص ٢٣٤ ، ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ١٧٧ .

بكيت وكيت ، فقال جعفر : ان أمير المؤمنين يمازحني بأنواع المزاح فاحسب أن هذا جنس منه ، فقال : والله مارأيت به إلا جادا ، قال : فان يكن الأمر كما قلت فهو إذا سكران قال : لا والله ما افتقدت من عقله شيئا ، ولا ظننته شرب نبيذا في يومه مع مارأيت من عبادته ، قال له : فان لى عليك حقوقا لم تجد لها مكافأة في وقت من الأوقات إلا هذا الوقت ، قال : تجلنى إلى ذلك سريعا إلا فيما خالف أمير المؤمنين ، قال : فارجع إليه فأعلمه أنك قد نفذت ما أمرك به فان أصبح نادما كانت حياتى على يديك جارية ، وكانت لك عندى نعمة مجددة ، وإن أصبح على مثل هذا رأى نفذت ما أمرت به في غد ، قال : ليس إلى ذلك سبيل ، قال : فاصبر معك إلى مضرب أمير المؤمنين حتى أقف بحيث أسمع كلامه ومراجعته اياك فاذا أبديت عذرا ولم يقنع إلا بمصيرك برأسى خرجت فأخذت رأسى من قرب ، قال له : أما هذا فنعم ، فمضيا إلى مضرب الرشيد فدخل إليه ياسر فقال : قد أخذت رأسه يا أمير المؤمنين ، وها هو ذا بالحضرة ، فقال له اثنى به والا والله قتلتك قبله فخرج فقال له : أسمعت الكلام قال : فشأنك وما أمرت به ، فأخرج جعفر من كمة منديلا صغيرا فعصب به عينيه ومد رقبتة فضربها ياسر وأدخل رأسه إلى الرشيد فلما رأى الرأس بين يديه أقبل عليه وجعل يذكر ذنوبه .

ويبدو أن الخيال قد لعب في هذه القصة الدور الأول والأخير ، وأنها قصة مختلقة تماما ، ويستطيع الباحث أن يزكى هذا الاستنتاج بالأمور التالية :

قصة العباسية انكارا جازما ، وذلك حينما قال لعبد الله بن خاقان الذي سأله عن حقيقة السبب « كأنك تريد ما تقوله العامة فيما ادعوه من أمر المرأة وأمر المجامر التي اتخذها للبخور في الكعبة ؟ لا والله ما لشيء من هذا أصل (١) .

٢ - والى جانب ذلك فإنه يوجد عدد كبير من المؤرخين الذين يعتمد عليهم تجاهلوا قصة العباسية أو أنكروها ، وإذا اعتبر التجاهل رفضا سلبيا لقصة العباسية فإن الإنكار يعتبر رفضا ايجابيا وعلى أى الحاليتين فإن التجاهل والانكار من هؤلاء المؤرخين يضعف قصة العباسية إلى درجة كبيرة جدا .

ومن المؤرخين الذين تجاهلوا قصة العباسية كسبب لنكبة البرامكة خليفة بن خياط (٢) ، كما تجاهلها أيضا كل من الدينورى واليعقوبى ، ومن أبرز المؤرخين الذين أنكروا هذه القصة انكارا صارخا ابن خلدون ، وقد اعتمد فى انكاره على التقاليد العربية بصفة عامة وعادات وقيم البيت العباسى بصفة خاصة (٣) .

وكيف للرشيد أن يقر مثل ذلك ، زواج دون معاشرة ؟ وانغماس فى اللهو والملاذات ، والأعظم من ذلك حضور أخته لمجالس لهو مع زوجها المزعوم ، وهل له مجالس هو أو يتعاطى الخمر وهو الرجل الذى

(١) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢٥٤ .

(٢) انظر تاريخ خليفة بن خياط / ج ٢ ص ٤٩٣ .

(٣) ابن خلدون / المقدمة ص ١٥ وما بعدها .

يعرف عنه أنه كثير الحج ويكثر من عمل الخير حتى قيل إنه يحج سنة ويغزو سنة (١) .

ولذلك قال فيه الشاعر :

فمن يطلب لقاءك أو يرده فبالحرمين أو أقصى الثغور
ففي أرض العدو على طمر وفي أرض الثنية فوق كور

٣ - فوق هذا وذاك فإن العباسية كانت متزوجة كما يحدثنا ابن قتيبة في قوله (٢) : « أما العباسية فزوجها هارون بن محمد بن سليمان فمات عنها زوجها ، فزوجها من إبراهيم بن صالح بن علي » وحقيقة زواجهما من هذين الرجلين العباسيين على التوالي تهدم هدما كاملا قصة علاقتها بجعفر البرمكي وما ارتبط بهذه العلاقة من زواج غير معلن ، وما نتج عنه من لد وضعته في أحد القصور العباسية وأسندت تربيته إلى اثنين من توابعها (٣) .

وهكذا يتضح لنا تهاوى هذا السبب وبالتالي عدم صلاحيته لأن يكون منطلقا في دراسة أزمة البرامكة .

وبنفس المستوى فإن الباحث المعاصر لا يتقبل ما أشارت إليه بعض المصادر من اتهام للبرامكة في دينهم والصاق تهمة الزندقة بهم ، واعتمادهم في ذلك على ما أشار به البرامكة على الرشيد باتخاذ معجزة في

(١) انظر الكتبي فوات الوفيات ج ٤ ص ٢٢٥ ، العمراني / مخطوطة الأنباء في أخبار الخلفاء ، ورقة ٤٤ .

(٢) ابن قتيبة / كتاب المعارف ص ٣٨٠ .

(٣) الاثنان هما : خادمها رياش ، وحاضنة تدعى بره .

جوف الكعبة وفيها يبقى العود مشتعلا بصفة دائمة ، وأنهم بذلك قد استهدفوا أن يجعلوا من الكعبة بيت نار (١) ويقول صاحب مخطوطة التاريخ المظفرى (٢) : « يريد جعفر أن تكون الكعبة بيت نار كما هي مذاهب المجوس لأن البرامكة أصلهم كان من المجوس » ، وقد ذكرنا سابقا أن مسرورا قد أنكر ذلك انكارا جازما ويضاف إلى ذلك أن التهمة الدينية بصفة عامة كانت تتحرك بدوافع سياسية أى أنها كانت تلصق بكل من كانت السلطات العباسية تريد التخلص منه .

وحيث تبين لنا ضعف الأسباب السابقة فإنه يبقى بعد ذلك السبب الذى يمكن أن يوصف بالحقيقى ، ألا وهو السبب السياسى والذى يمكن تحديده بأنه بعد مضى سنوات تبين للرشد أن البرامكة أصبحوا يشكلون خطرا حقيقيا على دولته ، أما مفتاح هذه النظرة إلى البرامكة من قبل الرشيد ، فيقدمه لنا كل من الجهشيارى وابن طباطبا (٣) نقلا عن طبيب الرشيد الخاص جبريل بن بخيتشوع : « وهو أن الرشيد قال فى بداية عهده تعليقا على الضجة التى سمعها تصدر من دار يحيى ابن خالد : بارك الله عليه وأحسن جزاءه فقد خفف غنى ، وحمل الثقل دونى ، وناب منابى . » ثم بعد مدة سمع الرشيد ضجة فقال : ما هذا ؟ فقيل : يحيى بن خالد ينظر فى أمور المتظلمين ، فقال : فعل الله به وفعل يذمه ويسبه استبد بالأمر دونى ، وأمضاها على غير رأى ، وعمل بما أحبه دون محبتي ... ثم أقبل على الرشيد فقال لى : يا جبريل انه

(١) البغدادى / ج ٧ ص ١٥٢ .

(٢) مخطوطة التاريخ المظفرى ورقة ١٠٠ .

(٣) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢٢٥ ، ابن طباطبا الفخرى / فى الآداب

السلطانية ص ٢٠٨ .

لم يسمع كلامي غيرك ، وغير الفضل بن الربيع وليس الفضل من يحكى شيئا منه ، وعلى وعلى لئن تجاوزت لأتلفن نفسك قال : فتبرأت عنده من ذكره ، وأكبرت الإقدام على حكاية شيء منه ، وما يجرى في مجلسه وانصرفت .

وهذا النص بالغ الأهمية لأن راويه هو جبريل بن بختيشوع الطبيب الخاص بالرشيد ، والذي كانت طبيعة عمله تتيح له أن يعرف بعض الأسرار التي كانت تجري داخل القصور العباسية ، وحبذا لو كان هذا النص قدم لنا تاريخ هذا القول الذي صدر من الرشيد ، ثم ان الكلام قد جرى بحضور الفضل بن الربيع الذي قال الرشيد عنه : « وليس الفضل من يحكى شيئا عنه » وهذا يوضح لنا أن الفضل بن الربيع كان مطلعاً بتطورات الأزمة بين الرشيد والبرامكة ، بل ان بعض الدارسين يؤكدون أن الفضل قد لعب دورا كبيرا في استفحال الأزمة بين الجانبين حيث صور للرشيد استبدادهم بالملك واحتجائهم الأموال (١).

مهما يكن من أمر فإن العناصر التي كونت عند الرشيد الاقتناع بأن البرامكة ، أصبحوا خطرا عليه وعلى دولته متعددة ويمكن حصرها في النقاط التالية :

أولا : تعاطف البرامكة مع العلويين (٢) :

ويرتبط بتاريخ البرامكة من هذا التعاطف أكثر من قصة تاريخية

(١) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢٤٩ - ٢٥٣ .

(٢) لقد لاحظنا وسلاحظ في ثنايا هذا الكتاب أن كثيراً من الوزراء أو القادة الفرس

تعاطفوا مع العلويين مثل : أبي سلمة الخلال ، ويعقوب بن داود ، والفضل بن سهل ...
مكتبة المهتدين الإسلامية

منها قصة يحيى بن عبد الله العلوى ، فقد سجل التاريخ على يحيى البرمكى أنه بعث إلى هذا الزعيم العلوى/الذى ثار ببلاد الديلم ابتداء من سنة ١٧٢ هـ مائتى ألف دينار ، وقد أقر يحيى البرمكى بهذه الحقيقة للرشيد نفسه ، غير أنه أعطى لذلك تبريرا غريبا فقد برر هذا التصرف بأنه يستهدف من وراء هذه المساعدة المالية أن يتقوى الزعيم العلوى حتى إذا تغلب عليه الفضل بن يحيى بعد ذلك ، فان تغلبه يكون حينئذ أدعى للمزيد من تقدير الخليفة لجهوده ، أو كما يروى الجهشيارى على لسان يحيى البرمكى (١) : « أردت أن تقوى شوكة يحيى بن عبد الله فيظفر به الفضل بعد قوته فيكون أحظى له عندك » .

وكما هو واضح فإن هذا التبرير بعيد عن الواقع والمنطق وقد رفض الرشيد هذا التبرير وحاجه قائلا : « فما يؤمنك أن تقوى شوكته فيقتل الفضل ويقتلنى (٢) » .

وما لاشك فيه أن منطق الرشيد أقوى بكثير من منطق يحيى البرمكى ، وخاصة أن الرشيد قد اكتشف أن جعفر البرمكى قد أطلق الزعيم العلوى من محبسه ، وعلى الرغم من أن الرشيد قد تظاهر بأن ما فعله جعفر يتفق وما كان يريد هو : « نعم ما فعلت ما عدوت ما كان فى نفسى » إلا أنه قال بعد انصرافه « قتلنى الله بسيف الهدى

(١) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢٤٣ ، انظر ابن الجوزى / مخطوطة المنتظم ورقة ٣٢٣ .

(٢) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢٤٣ .

على عمل الضلالة إن لم أقتلك (١) « فلاغربة أن يؤكد واحد من المطلعين على دقائق الأمور في الدولة العباسية هو أبو محمد اليزيدي أن سبب نكبة البرامكة يعود إلى موقف جعفر من الزعيم العلوى : « من قال إن الرشيد قتل جعفر بن يحيى بغير بن عبد الله فلا تصدقه » (٢) .

✓ وبالإضافة إلى قصة يحيى بن عبد الله فقد سجل التاريخ على البرامكة في دائرة تعاطفهم مع العلويين أو تحيزهم إلى جانبهم ، أن يحيى قد بعث بمبلغ سبعين ألف دينار إلى الزعيم العلوى أحمد بن عيسى بن زيد . (٣) . وإلى جانب ذلك فقد عامل الفضل بن يحيى الإمام موسى الكاظم معاملة طيبة ، وهذا على الرغم من تشديد الخليفة هارون عليه بضرورة مضايقة وتعذيب الزعيم العلوى (٤) .

مواقف البرامكة سواء في ذلك موقف الأب أو موقف كل من أبنيه الفضل وجعفر من العلويين تؤكد تعاطفهم الشديد مع زعماء هذا البيت ، ان لم نقل تحيزهم إلى جانبهم هذه المواقف تدين البرامكة ، وتصممهم بعدم الإخلاص أو خيانة الدولة العباسية ، وهى إدانة لا يستهان بها ، وذلك في ضوء العلاقات بين العباسيين والعلويين ، وهى علاقات لم يكن يحسمها بعض الوقت إلا القتال (٥) .

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٨٠-٨١ ، ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ١٧٥-١٧٦ ، الكنى / الوافى بالوفيات مصور ج ١١ ص ٧٣ ، ابن الجوزى / مخطوطة المنتظم ورقة ٣٢٣ .

(٢) ابن الجوزى / مخطوطة / المنتظم ورقة ٣٢٣ .

(٣) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢٤٣ .

(٤) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٦٥ .

(٥) في عهد المنصور وبالتحديد سنة ١٤٥ قام الزعيم العلوى محمد النفس الزكية بثورة ضد الدولة العباسية في الحجاز كما قام أخوه ابراهيم بثورة في منطقة البصرة انظر مخطوطة التاريخ المظفرى ورقة ٨٢ ، العمرانى / مخطوطة الأنباء في أخبار الخلفاء ورقة ٣٠ ، ابن تفرى بردى /

النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٤٠٣ .

وفي سنة ١٧١ هـ أخرج الرشيد من كان ببغداد من الطالبين إلى المدينة عدا العباس بن الحسن بن عبد الله بن علي بن أبي طالب (١) ويبدو أنه كان واثقا بالعباس لذا ، أبقى عليه بحاضرة ملكه بغداد أما البقية فراوده الشك في ولائهم ، فأبعدهم إلى المدينة بعيدا عن مراكز القوى .

ثانياً: الميول القومية لدى البرامكة :

لم يسجل التاريخ على البرامكة تعاطفهم مع العلويين أعداء الدولة العباسية فحسب ، بل سجل عليهم أيضاً ميولهم القومية مع عنصرهم الفارسي وهذا كان يتم بالضرورة على حساب العناصر العربية في دولة الرشيد .

ولنعد إلى المصادر التاريخية لكي نتعرف على بعض الأحداث التي وقعت من البرامكة ، وكانت لها صبغتها أو ظلها العنصري أو القومي ، وفي هذا الصدد يذكر عن الرشيد أنه أراد هدم ابوان كسرى فمنعه يحيى بن خالد (٢) فقال له الرشيد : « هذا من ميلك مع المجوس » (٣) .

واتهام الرشيد ليحيى بميله مع المجوس أو الفرس أبرز بعض المؤرخين نظيرا له في مناسبات مختلفة .

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٥١ .

(٢) يذكر صاحب العيون والحداث ص ٢٤٦ ان هذه المناقشة كانت بين الخليفة المنصور وخالد البرمكى وأن المنصور قال لخالد لما أشار عليه بعدم هدم البناء « أبيت يا خالد إلا الميل لأصحابك العجم » .

(٣) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢٢٩ .

فابن النديم يشير في الفهرست أن البرامكة كانوا يبغضون العرب ويعملون على إبعادهم عن مناصب الدولة ، ومن بين الرجال العرب الذين ناصبهم البرامكة ، العداء محمد بن الليث ويزيد بن مزيد الشيباني وكانوا يتهمون الأخير بالتقصير في حرب بني شيبان (١).

ويقال إن خالدا البرمكي كان متحمسا لتأخير النوروز استجابة لما طلبه منه اخوانه الفرس ، ولم يعدل عن ذلك إلا حينما اتهم بالتعصب للفرسية ، وقربوا ولدهم وصنائعهم في الأعمال الهامة مثل : الوزارة ، والكتابة والقيادة والحجابة والسيف والقلم وانحازوا عن سواهم (٢) .

وللحقيقة : نقول ان المعلومات التي نتحدث عن الميول القومية لدى البرامكة معلومات قليلة ، وهي لقلتها لاتقدم للباحث أرضية متكاملة على أساسها اتهام البرامكة بالتعصب لقوميتهم غير أن شدة حساسية الرشيد من ناحية ملكه وسلطانه ، لا يستبعد أن تكون ضخمت له مثل هذه التصرفات وخاصة إذا كان بقصر الرشيد من كان يترصد البرامكة ويبالغ في تشويه تصرفاتهم ويعرضها من الزاوية التي تثير حولهم الشكوك وتقوى في ولائهم الاتهام ، كما لا يغيب عنا أيضا أن الرشيد كان يعي جيدا أن العناصر الفارسية ابتداء من أبي مسلم قد سجل عليها التاريخ تصرفات معادية تماما للدولة العباسية .

سَمْعُ (لَهُ رُجْعٌ عَمَّهُ)

وفي ضوء هذه الاعتبارات فإن الباحث يستطيع أن يرجح أن الميول القومية لدى البرامكة قد كونت بعض الظلال القائمة على الصورة التي كونها عنهم الرشيد .

(١) انظر ابن النديم الفهرست ص ١٧٥ .

(٢) ابن خلدون / المقدمة ص ١٦ - ١٧ .

ثالثاً : استبدال البرامكة بالدولة العباسية :

ويمكن للباحث أن يحشد العديد من التصرفات التي دونها المؤرخون عن البرامكة ، وكلها تؤكد أن البرامكة قد استبدوا بدولة الرشيد ، وأن نصيبهم في التحكم في هذه الدولة قد فاق بكثير نصيب الرشيد حتى أنه قيل أن الرشيد يحتاج إلى اليسير من المال فلا يقدر عليه (١) في الوقت الذي كان فيه البرامكة يبذخون في الأموال بذخاً حتى أن جعفر بن يحيى ابنتى بيتا كلفه عشرين مليون درهم (٢) ، وكانت جائزة الفضل بن يحيى لأحد الشعراء الذين امتدحوه مائة ألف درهم مع الخلع (٣) .

وذكر الجهشيارى أن البرامكة ضيقوا الأموال على الرشيد وأنه طلب من جعفر بن يحيى عشرة آلاف درهم فاعتذر إليه (٤) .

وكان هارون الرشيد يدرك اختلاسهم الأموال وسلب الخزائن وذلك مما رواه عنه خادمه مسرور الكبير في مناقشة عن البرامكة بين الاثنين إذ قال الرشيد (٥) : « نهبوا مالى ، وذهبوا بخزائنى » .

والمصادر التاريخية تجمع على نقطة محددة ، هي أن البرامكة قد استبدوا بحكم الدولة العباسية ، وإن ذلك كان على حساب الرشيد ،

(١) السعوى مروج الذهب ج ٣ ص ٣٦٨ ، ابن خلدون / المقدمة ص ١٥ .
(٢) الطبرى / تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٨٢ ، ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١١٥ .

(٣) المصدر السابق ج ١٠ ص ٥٥ - ٦٣ .
(٤) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .
(٥) المصدر السابق ص ٢٤٢ .

ويورد ابن خلدون تعليلا منطقيا لنكبة البرامكة ويقول: (١) « إننا نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجائهم أموال الجباة حتى أن الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه فغلبوه على أمره ، وشاركوه في سلطانه ، ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه فعظمت آثارهم ، وبعد صيتهم وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم ، واحتازوها عن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابه وسيف وقلم ، يقال إنه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيسا من بين صاحب سيف وصاحب قلم ، زاحموا فيها أهل الدولة بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح لمكان أبيهم يحيى من كفالة هارون ولى عهد وخليفة ، حتى شب في حجره ودرج من عشه وغلب على أمره ، وكان يدعوه يا أبت فتوجه الإيثار من السلطان إليهم وعظمت الدالة منهم وانبسط الجاه عندهم ، وانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب ، وقصرت عليهم الآمال وتخطت إليهم خزائنهم في سبيل التزلف والاستمالة أموال الجباية ، وأفاضوا في رجال الشيعة وعظماء القراية العطاء ، وطوقوهم المنن ، وكسبوا من بيوتات الأشراف المعدم ، وفكوا العاني ، ومدحوا بما لم يمدح به خليفتهم ، وأسنوا لعفاتهم الجوائز والصلات ، واستولوا على القرى والضياع من الضواحي ، والأمصار في سائر الممالك أسفوا البطالة وأحققوا الخاصة ، وأغضبوا أهل الولاية فكشفت لهم وجوه المنافسة والحسد . ودبت إلى مهادهم الوثير من الدولة عقارب السعاية حتى لقد كان بنوا قحطبة أخوال جعفر من أعظم الساعين عليهم ، ولم تعطفهم لما وقر في نفوسهم

من الحسد عواطف الرحم ولا وزعتهم أواصر القرابة ، وقارن ذلك عند مخدومهم نواشئ الغيرة والاستنكاف من الحجر والأنفة ، وكانت الحقوق التي بعثتها منهم صغائر الدالة ، وأنتهى بها الإصرار على شأنهم إلى كبائر المخالفة حتى ثل الرشيد عرشهم ، وألقيت عليهم سماؤهم ، وخسفت بهم وبدارهم الأرض ، وذهبت سلفا ومثلا للآخرين» وجماع هذه الأقوال كلها ماسبق أن ذكره الرشيد ، ونقله عنه طيبيه جبريل بن بختيشوع في قوله عن يحيى (١) : « فعل الله به وفعل ، يذمه ويسبه ، استبد بالأمور دوني ، وأمضاها على غير رأى ، وعمل بما أحبه دون محبتي » .

ويقول أبو الفداء في سبب نكبة البرامكة (٢) « لما عظم أمر البرامكة ، واشتهر كرمهم ، وأحبهم الناس ، والملوك لانتصبر على مثل ذلك فنكبهم الرشيد » .

ويقول صاحب مخطوطة الأنبياء في تاريخ الخلفاء : (٣) « من أسباب نكبة البرامكة استيلاؤهم على الدولة وتغلبهم على الدنيا بالكلية » .

ومن الناحية العملية فإن استبداد البرامكة بالرشيد ودولته قد سجله التاريخ في العديد من التصرفات منها مواقف البرامكة من العلويين

(١) الجهشيارى / الوزراء / والكتاب ص ٢٢٥ .

(٢) أبو الفداء / المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٦ ، انظر أيضاً ابن الوردي / تنمة

المختصر ص ٢٠٣ .

(٣) المراني / مخطوطة الأنبياء في تاريخ الخلفاء ورقة ٤٨ .

التي سبق أن أشرنا إليها ، وكلها كانت مخالفة لما أمر به الرشيد أو على الأقل لا تتفق وما كان معروفا من الكراهية بين الرشيد والعلويين فهل يمكن تفسير امداد الزعيم العلوي خصم الرشيد يحيى بن عبد الله بالمال في وقت ثورته ضد دولة الرشيد إلا أنه عمل مضاد للرشيد ودولته .

وبنفس هذا المعيار يمكن تفسير بقية تصرفات البرامكة مع العلويين .

وفي الوقت الذي كان فيه البرامكة ينفقون أموال الخليفة العباسي ودولته لتشجيع عدوه يحيى بن عبد الله ، كانوا قد منعوا أموال الدولة العباسية عن الرشيد وأسرته كما أشرنا في موضع آخر ، ولم يكن هذا المنع لعجز في مالية الدولة ، فقد وصل ليحيى في نفس الوقت من أموال فارس ما يبلغه ستة ملايين درهم ، وقد تعقد الأمر أكثر حينما أخذ يحيى من المال أكثر مما طلبه الرشيد ، ووزعه يحيى في أعماله (١) .

وفي الصفحات المتقدمة استعرضنا تلاعب البرامكة بالمال وكيف كان انفاقهم على بناء بيوتهم وكيف كانت جوائزهم وصلاتهم ، ويقال إن جوائز يحيى وصلاته لا تقدر بعدد ينفق بسخاء ويصرف ببذخ غير آبه بما ستؤول إليه ميزانية الدولة والرشيد يطلب القليل من المال ولا يحصل عليه (٢) .

ويقول ابن طباطبا : (٣) « حازوا الأموال العظيمة حتى كان الرشيد

(١) الجهشاري / الوزراء والكتاب ص ٢٤٣

(٢) أبو الفرج الأصفهاني / الأغاني ج ٥ ص ١٨١٢ ، ١٨٢٣ ، ١٨٢٤

(٣) ابن طباطبا / الفخرى في الآداب السلطانية ص ٢٤١ .

يحتاج إلى اليسير منها فلا يصل إليه ، واستأثروا بالسلطة دون الرشيد .
ولا يمكن تفسير هذا التصرف الغريب من يحيى البرمكى وأبنائه
إلا بأنه كان انقاصاً متعمداً ، ولا نقول اذلالاً لمكانة الرشيد ، وأظهاره
بمظهر المحجور عليه والمغلوب على أمره هذه كلها ظلال تساعدنا في
رسم صورة لاستبداد البرامكة وطغيان نفوذهم حتى على الرشيد نفسه .

✽ وتحدثنا المصادر التاريخية بمزيد من الظلال والأبعاد التي جعلت
الرشيد يصدر حكمه باقتلاع جذور البرامكة ، واستئصال شأفتهم ففي
سنة ١٧٨ هـ أسند حكم خراسان للفضل بن يحيى ، وهناك جند لنفسه
جيشاً خاصاً من الخراسانيين ، ويحدثنا الطبرى عن هذا الجيش
فيقول : (١) « اتخذ بخراسان جنداً من العجم ميامم العباسية ، وجعل
ولاءهم لهم (أى للبرامكة) . وأن عدتهم بلغت خمسمائة ألف رجل ،
وأنة قدم منهم بغداد عشرون ألف رجل فسموا ببغداد الكرنبية ،
وخلف الباقي منهم بخراسان على أسمائهم ودفاترهم » .

ويتساءل الباحث ، ولا شك أن الرشيد يتساءل قبل ذلك عن
حقيقة الدوافع التي حملت الفضل على تجنيد هذا العدد الضخم من
الخراسانيين ، ومن وجهة نظر الباحث المعاصر فإنه حق للرشيد بعد
أن وصلته أنباء هذا الجيش أن يتذكر أبا مسلم الخراساني وجنده من
الخراسانيين ، وهم الجند الذي كان يستطيع بمساعدتهم أن يفرض إرادته
على الدولة العباسية ، وعلى الخليفة المنصور ، ومما لا شك فيه أن الرشيد
استرجع ما فعله المنصور مع الزعيم الخراساني وكيف أنه لم يسمح له
بالعودة إلى خراسان ، غير أن القضية مع الفضل بن يحيى تختلف

(١) الطبرى / تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٦٢

عنها مع أبي مسلم ، فالفضل في خراسان فعلا وقد جند هذا الجيش
الجرار ، وكان على الرشيد أن يعمل بحكمة وهدوء لتجريد الفضل
من قوته وبالفعل عمل الرشيد وكان النجاح حليفه .

بدأ الرشيد بعزل الفضل عن خراسان ، وذلك في السنة التالية
١٧٩ هـ ، وعين مكانه أخاه جعفر الذي لم يسمح له بالذهاب إلى
خراسان (١) ، ولم يمض عشرون يوما على هذا التعيين حتى عزل جعفر ،
وأحل الرشيد محله عيسى بن جعفر العباسي ، وبعد مدة أسند الرشيد
حكم خراسان إلى علي بن عيسى بن ماهان وهو من الزعماء العرب الذين
كانوا يناصبون البرامكة العداء (٢) .

وقد استشار الرشيد يحيى بن خالد في تولية خراسان لعلي بن عيسى
ابن ماهان فأشار عليه يحيى ألا يفعل (٣) إلا أن الرشيد رفض رأيه
ومشورته وولاه خراسان لأنه لاشك يدرك ما يختلج في أغوار يحيى
ومن المرجح أن مشورة الرشيد ليحيى كانت من قبيل الامتحان .

ويبدو أن الرشيد قد دبر مع علي بن عيسى بن ماهان معالجة
الوضع في خراسان ، ولهذا فإن المصادر تذكر عن هذا الزعيم العربي أنه
لما ذهب إلى خراسان بادر بقطع أرزاق الجند الخراسانيين فأنحل
الجيش الذي سبق أن جنده الفضل البرمكي ، كما أنه تتبع بالقتل
صناديد أهل خراسان وطراختها (٤) .

وهكذا يتضح لنا أن الرشيد قد عمل بحكمة وهدوء ضد الخطر
الذي أوجده الفضل البرمكي في خراسان وما لاشك فيه أن انشاء
الفضل لهذا الجيش الضخم من الخراسانيين كان من وجهة نظر

(٢) المصدر السابق ص ٦٨

(١) المصدر السابق ص ٦٨

(٣) المصدر السابق ص ٦٥ ، ابن الجوزي / مخطوطة المنتظم ورقة ٣٢٧ .

(٤) الجيشاري / الوزراء والكتاب ص ٢٢٨

الرشيد علامة بارزة على خطورة البرامكة ، ونواياهم السيئة ضد الرشيد ودولته وإلا فلماذا كانت هذه السلسلة من الإجراءات التي اتخذها والتي أسفرت عن ابعاد الفضل عن خراسان وعن تحطيم هذا الجيش الفارسي .
تتابعت الأحداث بعد ذلك وكلها كان يضيف المزيد إلى شكوك هارون الرشيد في ولاء البرامكة واخلاصهم ، فقد ذكرت المصادر التاريخية عن موسى بن يحيى أنه كان يكتب أهل خراسان ويعمل على الانسلاخ إليهم والوثوب به (أى بهارون الرشيد) معهم . (١)

هذه هي المعلومات التي حفظتها لنا المصادر التاريخية وكل منها يقدم عنصراً من عناصر اتهام الرشيد لهم بعدم الاخلاص له وبالعمل ضد دولته ، ويبدو أن تأزم العلاقات بين الرشيد والبرامكة بهذه الصورة ، وخاصة بعد أن أمر الرشيد بحبس موسى بن يحيى عند الزعيم العباسي العباس بن موسى بالكوفة وذلك سنة ١٨٧ ، وهو الإجراء الذي قيل عنه (٢) : « وكان ذلك أول ثلثة ثلموا بها » ، ويبدو أن تأزم العلاقات بين الطرفين قد استغله واحد من الطموحين من أبناء البيت العباسي ، وكان هذا الطموح هو عبد الملك بن صالح الذي يبدو أنه تحالف مع البرامكة على العمل سوياً ضد الرشيد ودولته .

ولم تزودنا المصادر التاريخية من المعلومات بما يقطع بحقيقة التحالف بين الجانبين وتآمرهما ضد الرشيد ، غير أننا نستطيع من استقراء بعض المعلومات المتناثرة ، والربط بينها أن نخرج بانطباع يرجح التحالف وأيضاً التآمر على دولة الرشيد ، وسيوضح لنا ذلك في الصفحات القادمة

(١) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٨٣ ، ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ١٧٧ .

(٢) الطبري / نفس المصدر ج ١٠ ص ٨٣ .

العلاقات داخل البيت العباسي

وموقف البرامكة من ذلك

نستطيع أن نقول بعد الدراسة والبحث أن العلاقات داخل الأسرة العباسية لم تكن طيبة ، بل على العكس من ذلك كانت مليئة بالعديد من عوامل الانفجار فقد سجل التاريخ عن عبد الله بن علي أنه قام بثورة مسلحة ضد ابن أخيه المنصور وخلافته (١) .

كما أن عيسى بن موسى قد عانى الكثير من القهر والعنت والإكراه سواء من قبل المنصور الذي أكرهه على التخلي عن مكانته في ولاية العهد لابنه المهدي (٢) . أم من قبل المهدي الذي حمله على خلع نفسه لكي يحل محله موسى بن الخليفة ، وقال له المهدي (٣) « انك ان لم تجبني إلى أن تنخلع منها حتى أبايع لموسى وهارون استحللت منك بمعصيتك ما يستحل من العاصي فأجابه » .

وبعد سنوات واجه هارون الرشيد من أخيه الهادي ماسبق أن واجهه من قبل عيسى بن موسى في الضغط عليه من قبل أخيه موسى. الهادي بخلع نفسه من ولاية العهد ليوليه ابنه جعفر وكاد هارون الرشيد يخضع للضغط التي واجهها لولا وقوف يحيى البرمكي بجانبه ، والدفاع عنه ومساندته .

(١) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ١٥٦ وما بعدها .

(٢) الجعفي / الوزراء والكتاب ص ٢٢٦ - ١٢٧ .

(٣) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ٣٣٠ .

ومن الحجج التي دافع بها يحيى البرمكي عن حق هارون الرشيد في الخلافة قوله للهادي : « أ رأيت ان كان ما أسأل الله أن يعيدنا منه ، وأن لا يبلغناه وينسأ في أجل أمير المؤمنين أتظن أن الناس يسلمون لجعفر بن أمير المؤمنين الأمر ولم يبلغ الحلم ، ويرضون به لصلاتهم وحجهم وغزوهم ؟ قال : ما أظن ذلك ، قال : أفأتمن أن يسمو إليها جلة أهل بيتك ، فتخرج عن ولد أبيك إلى غيرهم ؟ فتكون قد حملت الناس على النكث وهونت عليهم أيمانهم » (١)

ويعني من هذا النص قوله : « أفأتمن أن يسمو إليها جلة أهل بيتك ، فتخرج من ولد أبيك إلى غيرهم » ان هذا القول يبرز مدى التمزق الذي كان يحكم العلاقات داخل الأسرة العباسية لدرجة أن الكثيرين منهم كانوا يتطلعون إلى منصب الخلافة وانتزاعها من فرع هارون الرشيد .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن المصادر تجمع على أن العلاقات لم تكن ودية بين هارون الرشيد والزعيم العباسي عبد الملك بن صالح ابن علي ، ولا شك أن الجفاء بين أفراد البيت العباسي يعود في جذوره إلى ما حدث بين المنصور من ناحية وعمه عبد الله من ناحية ثانية .

وفي بادئ الأمر وقبل أن يتعمق العداء أو الخلاف بين هارون الرشيد وابن عمه عبد الملك بن صالح كان عبد الملك يوجس خيفة من الرشيد لذلك قال للرشيد لما سأله ألك حاجة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، (٢) بيني وبينك بيت يزيد بن الطثرية حيث يقول :

(١) انظر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٣٥ ، المسعودي / مروج الذهب ج ٣ ، ابن طباطبا / الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٦٠
(٢) الكتبي / فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٩٩

فكوني على الواشين كبداء شعبة كما أنا للواشي أكد شغوب

ومن ذلك نستنتج أن الجو لم يكن صافيا بين الرجلين .

ويقول الكتبي : (١) « وشت الناس بعبد الملك عند الرشيد وتتابعت

الأخبار بفساد نيته للرشيد ، فدخل عليه في بعض الأيام وقد امتلاً

قلب الرشيد فقال له : أكفرا بالنعمة وغدرا بالإمام ؟ فقال :

عبد الملك : قد بؤت إذا بأعباء الدم واستحلال النعم ، وما ذاك يا أمير

المؤمنين إلا بغى حاسد نافس فيك وفي تقديم الولاية ومودة القرابة ،

يا أمير المؤمنين انك خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته ،

وأمينه على عثرته ، لك عليها فرض الطاعة وأداء النصيحة ولها عليك

العدل في حكمها والتثبت في حادها ، فقال الرشيد : هذا قحافة كاتبك

يخبر بفساد نيتك وسوء سيرتك ثم أمر باحضاره ، وقال له الرشيد :

تكلم غير خائف ولا هائب ، فقال : أقول انه عازم على الغدر بك يا أمير

المؤمنين ، والخلاف عليك ، فقال عبد الملك : وكيف لا يكذب على

من خلقى من يبهتنى في وجهي ؟ فقال الرشيد : فهذا عبد الرحمن

ابنك يقول بقول كاتبك ويخبر عن سوء ضميرك ، وفساد نيتك ،

وأنت لو أردت أن تحتج بحجة لم تجد أعدل من هذين ، فقال :

يا أمير المؤمنين ، عبد الرحمن بين مأمور أو عاق فإن كان مأمورا

فمعدور وان كان عاقا فهو عدو وأخبر الله بعداوته وحذر منها فقال

جل ثناؤه في محكم كتابه : (١) « ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم

فاحذروهم » فنهض الرشيد فقال : أما أمرك فقد وضع ، ولكن لأعجل

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٩٩ - ٤٠١

(٢) سورة التباين آية ١٤ .

حتى أعلم الذى يرضى الله فىك فإنه الحكم بينى وبينك ، فقال
عبد الملك : رضيت بالله حكما وبأمر المؤمنين حاكما ، فإني أعلم أنه
يؤثر كتاب الله على هواه ، وأمر الله على رضاه ثم اعتذر للرشد وعفا
عنه إلا أنه تنكر له فيما بعد لأمر لاحتظها منه فحبسه عند الفضل
ابن الربيع ، ولم يزل مجبوسا حتى توفى الرشد ، فأطلقه الأمين
ومات بعد قليل .

والمفروض بالنسبة للبرامكة أنهم كانوا يلتزمون خط الرشد فى
علاقته بعبد الملك بن صالح ، ويبدو أن هذا الاتجاه كان ملتزما من
البرامكة فى السنوات الأولى من دولته .

ثم يلاحظ حدوث تطور فى العلاقات بين البرامكة أو جعفر بن
يحيى خاصة ، وعبد الملك بن صالح ، وقد ذكر الجهشياري هذا
التطور الودى ، ولكنه لم يحدد تاريخه وقد لعب جعفر دورا فى تحسين
العلاقات بين الرشد وعبد الملك بن صالح (١) .

هذا ما تسجله المصادر التاريخية أما الأمر الذى لم تشر إليه المصادر
من قريب أو بعيد فهو حقيقة الدوافع التى كانت وراء تحسين العلاقات
بين عبد الملك بن صالح ، وجعفر البرمكى ، وأيضاً حقيقة الدوافع
التي حملت الرشد على الاستجابة للدور الذى قام به وزيره جعفر
البرمكى فى التقريب بين الرشد والزعم العباسى والمصادر لا تسعف
الباحث بما يدل على هذا التقارب بين الاثنين ولا على سر استجابة

الرشيـد للدور الذي قام به جعفر دلالة كافية ولا تلتق الأضواء على ذلك بشكل واضح ، ويتبقى على الباحث الاجتهاد في تقديم بعض الاحتمالات .

وفي سبيل تقديم الاحتمال أو الاحتمالات التي يمكن من خلالها تفسير التطورات التي طرأت على العلاقات بين الأطراف الثلاثة نستأنس بما أجمعت عليه المصادر التاريخية من أن الرشيـد قد اتبع بهدوء خطة مدروسة بعناية للوقوف في مواجهة خطر البرامكة ، وفي هذا الاطار فإنه يسهل على الباحث تفسير الاستجابة التي قابل بها هارون الرشيـد تصرفات وزيره مع الزعيم العباسي وانها كانت من قبيل المناورة - كما قلت في موضع آخر - لكي يبقى عنصر المفاجأة مع هارون الرشيـد وعنصر المفاجأة من وجهة نظر الخليفة العباسي كان هو الذي سيحسم المعركة بينه وبين البرامكة .

وتوجد حقيقة تاريخية ثابتة وهي أن عبد الملك بن صالح قد اتهم بالعمل ضد هارون الرشيـد وخلافته وذلك بعد القضاء على نفوذ البرامكة وفي نفس السنة وأنه حينما ظهرت تهمة عبد الملك تشدد الرشيـد مع البرامكة إلى أقصى درجات التشدد (١) ، ورفض كل شفاعة للتخفيف عنهم حتى من أمهاته بالرضاع .

والربط بين انكشاف تأمر عبد الملك بن صالح ضد هارون الرشيـد وتضييق الرشيـد على البرامكة في سجنهم ورفض كل شفاعة قدمت من أجلهم تشير إلى أن هارون الرشيـد قد توصل إلى نتيجة محددة وهي

(١) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٨٥ - ٩١ ، ابن الأثير / الكامل

أن البرامكة ويمثلهم جعفر وعبد الملك بن صالح (١) كانوا على وشك الإطاحة به وبدولته

وهذا إلى جانب مأسجطه التاريخ من تصرفات على البرامكة واعتبرها الرشيد تصرفات معادية ، وكونت كل أبعاد الصورة التي أصبح الرشيد دفاعا عن نفسه وعن دولته حريا أن يعاجل القوم قبل التمكن من تنفيذ مؤامرتهم ، وبالتالي كانت حركته المحككة والسريعة والتي استأصل بها شأفتهم ثم وبعد أن نجحت خطته بالنسبة للبرامكة التفت إلى عبد الملك بن صالح وصنى معه الحساب ، ومن هذه الزاوية فإن الباحث يستطيع أن يؤكد أن الرشيد قد نجح نجاحا كبيرا في مواجهة هذه المؤامرة الخطيرة التي عمل فيها البرامكة الفرس جنباً إلى جنب مع واحد من كبار رجال البيت العباسي واتسعت المؤامرة واتساعها بهذه الصورة تجعل لنجاح الرشيد في مواجهتها قيمة تفوق بكثير قيمة نجاح المنصور في القضاء على أبي مسلم الخراساني .

(١) لاحظنا في الصفحات السابقة اهتمام ابن عبد الملك بن صالح وخادمه له بالعمل ضد

أسلوب الرشيد في مواجهة البرامكة

قبل أن نترك دولة البرامكة يحسن أن نلقى بعض الضوء على مظاهر توتر العلاقات بين الرشيد والبرامكة ، وهى المظاهر التى ترجع بدايتها إلى ما قبل النكبة بحوالى ثمان سنوات وفى هذا الصدد نقول إنه سبق لنا أن تحدثنا عن الفترة التى أمضاها الفضل بن يحيى فى خراسان ، وأنه جند جيشا ضخما ، مما أثار الشبهة لدى الرشيد فى طبيعة وأهداف إنشاء هذا الجيش ، وبالتالي فانه لجأ إلى أسلوبه الهادىء فى تحطيم الجيش الخراسانى ، وقد نجح الرشيد فى ذلك إلى حد بعيد

وتعود هذه التطورات إلى سنة ١٧٨ هـ ، ومن هذا التاريخ يمكننا أن نقول إن الرشيد أخذ يتابع بدقة تصرفات البرامكة ، وفى نفس الوقت بدأ فى تنفيذ سياسته الرامية إلى تقليص نفوذ البرامكة بالتدرج وكان هذا النفوذ قد وصل إلى أقصاه وقد تمثل نفوذ البرامكة بالدرجة الأولى فى يحيى وولديه الفضل وجعفر ، والسلطات الواسعة التى كان يمارسها كل منهم كما أوضحناه وبالدرجة الثانية فلإن نفوذ البرامكة كان له أيضا وجود مماثل فى أقاربهم ، وأتباعهم والمقربين إليهم ، والذين وضعهم البرامكة فى مختلف المراكز فى الدولة العباسية بالجملة فإن نفوذ البرامكة كان من القوة والشمول بحيث بدا للرشيد ، وكأنه من الصعب عليه أن يقف صراحة فى مواجهة هذا النفوذ ، وإلى جانب

مكتبة المهتدين الإسلامية

ذلك فإن مختلف العناصر والأمور التي كونت لدى الرشيد موقفهم المعادي لم تكن قد تكاملت بعد في ذهن الرشيد .

وها هو ذا هارون الرشيد يبدأ في تجريد البرامكة من سلطاتهم وقد شرع في سياسته هذه سنة ١٧٩ هـ وذلك بعزل محمد بن خالد البرمكي عن الحجابة واسنادها إلى الفضل بن الربيع أحد خصوم البرامكة ، وفي العام التالي عزل الرشيد الفضل بن يحيى عن طبرستان والرويان والرى وأسند حكم هذه المناطق إلى رجلين من ثقافته هما : عبد الله ابن خازم ومحمد بن يحيى الحارث بن شخير (١)

وقد مس توتر العلاقات شخص يحيى نفسه ، وكان بمنزلة الأب لدى الرشيد ، وفي هذا الصدد سجل التاريخ عن يحيى أنه في سنة ١٨١ هـ استعفى الرشيد من الولاية فقبل ذلك منه ، كما أنه سأل الرشيد السماح له في المقام بمكة فسمح له ، ولم يرجع يحيى إلى بغداد إلا في السنة التالية (٢)

وتقدم لنا المصادر التاريخية أكثر من حادثة أو مناسبة أظهر فيها الرشيد شيئاً من الجفا ليحيى بن خالد ، من ذلك ما رواه الطبري من حوار بين الرشيد وطبيبه الخاص جبريل بن بختيشوع تعليقا على دخول يحيى إلى حضرة الرشيد بدون إذن ، ومؤدى الرواية : (٣) « دخل يحيى بن خالد على الرشيد في مجلسه وكان عنده جبريل بن

(١) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٦٩ .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة ، ابن تغرى بردى / النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٠٣ .

(٣) الطبري المصدر السابق ج ١٠ ص ٧٩ - ٨٠ ، انظر أيضاً / ابن الجوزي /

خطوط المتظم ورقة ٣٢٣ .

بختيشوع ، وكان يحيى فيما مضى يدخل بلا إذن ، فلما دخل وصار بالقرب من الرشيد وسلم رد عليه السلام ردا ضعيفا ، فعلم يحيى أن أمرهم قد تغير ثم أقبل الرشيد على جبريل وقال : يا جبريل يدخل عليك وأنت فى منزلك أحد بلا إذنك فقال : لا ولا يطمع فى ذلك قال : فما بالناس يدخل علينا بلا إذن فقام يحيى فقال : يا أمير المؤمنين قدمنى الله قبلك والله ما ابتدأت ذلك الساعة ، وما هو إلا شئ كان خصنى به أمير المؤمنين ورفع به ذكرى حتى أن كنت لأدخل وهو فى فراشه مجردا حيننا وحيننا فى بعض إزاره ، وما علمت أن أمير المؤمنين كره ما كان يحب واذا قد علمت فانى أكون عنده فى الطبقة الثانية من أهل الأذن أو الثالثة إن أمرنى سيدى بذلك .

وفى مناسبة أخرى قال الرشيد لمسرور الخادم « مر الغلمان أليقوموا ليحيى إذا دخل الدار » ، ولما طبق الغلمان أوامر الخليفة أريد لون يحيى ، وترتب على ذلك أن أعرض الغلمان والحجاب عنه ، حتى إنه ربما طلب شربة ماء فلا يستجاب له (١)

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه يوجد فى المصادر التاريخية ما يبين أن الرشيد كان يعد ويخطط لضرب البرامكة ، وذلك قبل سنة ١٨٧ هـ بعدة سنوات ، من ذلك أن الرشيد فى أحد الأيام تأمل بشدة عنق جعفر بن يحيى ، ولما سأل جعفر عن سر هذا التأمل قال : (٢) « حسن عنقك وحسن موقع الجربان منه ، فما كان من جعفر إلا أنه

(١) الطبرى / تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٨٠ ، ابن الأثير / الكامل ج ٢ ص ١٧٦ ، ابن الجوزى مخطوطة المتكلم ورقة ٣٢٣ .

(٢) المشيخارى / الوزراء والكتاب ص ٢١٦ .

رد عليه قائلاً: (١) « لا والله ، ما تأملت إلا موضع سيفك فيه » وبعد انصرافه قال الرشيد للفضل بن الربيع: (٢) « ما تأملت عنقه إلا لموضع السيف منها »

كما يذكر السندی بن شاهك ، وكان يلي الجسرین فی بغداد ، أن الرشيد أمره سنة ١٨٦ هـ أن يوكل بدور البرامكة وأسبابهم سرا بعد سنة من هذا الأمر ، وأن التوقيت الذي حدده الرشيد هو نفسه التاريخ الذي تم فيه استئصال البرامكة (٣)

من هذا يتبين لنا أن الرشيد كان يعمل لضرب البرامكة والقضاء عليهم قبل سنة ١٨٧ هـ السنة التي نكبهم فيها بعدة أعوام ، وربما تعود بداية هذا التخطيط إلى سنة ١٧٨ هـ - كما قلنا سابقا - وهي السنة التي تولى فيها الفضل بن يحيى خراسان ، وكون هناك جيشا خراسانيا ضخما وهو الجيش الذي توجس منه الرشيد شراً فأسرع بتصفيته ، وقد أكد تصرف الفضل في خراسان الشكوك والمخاوف التي أخذت تساور الرشيد حول ولاء البرامكة وإخلاصهم وذلك لما سجله التاريخ عليهم من تعاطف مع العلويين أعداء العباسيين وخاصة في حركة يحيى بن عبد الله الذي ثار ضد دولة الرشيد في أوائل العقد الثامن من القرن الثاني الهجري ، متخذاً من بلاد الديلم مسرحاً لنشاطه ، فلا غرابة إذن أن يخطط الرشيد ويحذر شديد للقضاء على البرامكة ، فأخذ يعمل على تقليص نفوذهم وتجميد سلطاتهم ثم أعقب ذلك وفي الوقت الذي رآه مناسباً بتوجيه ضربته القاضية لهم

(١) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٣) المصدر السابق ص ٢٣٦ - ٢٣٧

ومما يبرهن على أن نكبة البرامكة لم تكن مفاجئة بل خطط لها منذ مدة سبقت تنفيذها ، وظهرت بوادرها للبيان ما وضحته الروايات السابقة ، ورواية أوردها صاحب مخطوطة « الأنباء في أخبار الخلفاء » دار حوارها بين جعفر بن يحيى وصديقه ابراهيم المهدي ومؤداها : (١) « لما تغير الرشيد على جعفر قال جعفر لابراهيم بن المهدي وكان يحبه حبا شديدا : انى أرى من أمير المؤمنين تغيرا ومن الصواب أن أبعد عنه شخصى أفترى لى من الرأى أن أطلب منه أن يولى خراسان وأخرج إليها وأقيم بها مدة أطرى نفسى وأجدد حرمتى فقال ابراهيم بن المهدي يا حبيبى أما تغيره عليك فانى فطنت له قبلك أما كنت تراه يجد إذا هزلت ويهزل إذا جددت ، وأما خروجك إلى خراسان فهو عين الصواب فخطبه فيه ومنى لك المساعدة فخطب الرشيد على ذلك ووافق الرشيد على خروجه إلى خراسان فى البداية ولكنه منعه من ذلك فى الأخير ومن ثم نكبه وأسرته » .

ويتضح من ذلك مداراة الرشيد لجعفر ومهادنته له حتى تحين الفرصة الحاسمة حتى لا تثور عليه المشاكل ويسبب لنفسه المتاعب وذلك فى قول ابراهيم بن المهدي « أما كنت تراه يجد إذا هزلت ويهزل إذا جددت »

ويحسن بنا وقد قاربنا نهاية الحديث عن البرامكة ، أن نشير إلى الحوار الذى دار بين الرشيد ويحيى بن خالد بواسطة أحد رجال الرشيد الذى كان ينقل الحديث بينهما حيث كان يحيى جالسا خلف

(١) المرانى / مخطوطة الأنباء فى أخبار الخلفاء ورقة ٥٩ - ٥٠ :

ستار ، وسأل الرشيد يحيى قائلا له (١) « ما حملك على أن حملت إلى يحيى بن عبد الله بالديلم مائتي ألف دينار ؟ فقلت له ذلك ، فقال : قل له : أليس قد صفحت عن هذا ؟ فقال لى : أو يصفح الإنسان عن دمه ؟ فقلت له ذاك ، فقال : أردت أن تقوى شوكة يحيى بن عبد الله فيظفر به الفضل بعد قوته فيكون أحظى له عندك ، فقال : قل له : فما يؤمنك أن تقوى شوكة فيقتل الفضل ويقتلنى ؟ وما حملك على أن نفذت إلى أحمد بن عيسى بن زيد بالبصرة مع غلامك رياح سبعين ألف دينار ؟ فقلت له ذاك ثم قال : قل له أنت تعلم موقع عيالى منى ، فطلب منك وأنا بالبصرة ألف ألف درهم وقد كان ورد من مال فارس ستة آلاف درهم ، فقلت لى : ان أخذت منها درهما واحدا لهذا الشأن ذهبت هيبتك ، فأمسكت فأخذت أنت منها ألف ألف وخمسمائة ألف درهم فقدمتها فى عمالك فاحتلت أنا بقرض تولاه يونس ما فرقتهم فيهم ثم قال قل له كذا ، حتى عدد أربعة عشر شيئا ثم أمرنى برده إلى مجبسه » .

كما هو واضح فقد أثار الرشيد فى هذا الحوار العديد من الأخطاء التى ارتكبها البرامكة ، وكما هو واضح أيضا من خلال الحوار أن دفاع يحيى كان هزيلا إلى حد كبير ومما يؤسف له أن الجهشيارى لم يقدم لنا من هذه الأخطاء سوى ثلاثة ، ولو حدث وقدم لنا كل هذه الأخطاء لتعرفنا على جميع الزلات التى وقع فيها البرامكة ، واستحقوا بسببها هذا المصير .

ومهما يكن من أمر فإن المؤرخين القدامى الذين تحدثوا عن البرامكة ونكبتهم لم يحددوا بدقة مجموعة العوامل التي أدت بهم إلى هذه النهاية ، وذلك باثناء المؤرخ ابن خلدون ، فإنه في الحقيقة كان أكثر المؤرخين تفهما للعوامل ، وكشفا للتيارات التي جعلت الرشيد ينقلب عليهم بهذه الصورة التي كان لها صداها على مر العصور

ويبقى بعد ذلك أن نقول ان علاقة البرامكة مع الرشيد تشكل فصلا في قصة العلاقات بين الخلافة العباسية من ناحية والعناصر الفارسية التي حكمتها تطلعاتها السياسية من ناحية ثانية .

الفصل الخامس

آل سهل والظاهرين

بين البرامكة وآل سهل

نجح الرشيد في القضاء على البرامكة ، غير أن ذلك قد خلف آثاره العميقة وظلاله القائمة على الحياة السياسية ، حقا لم تظهر هذه الآثار ابان السنوات المتبقية من عهد الرشيد إلا في شكل بعض ردود الفعل العاطفية سواء على لسان الشعراء أو على لسان غيرهم في بعض المجالس والمناسبات غير أن الرشيد توفي في شهر جمادى الآخرة سنة ١٩٣ هـ بعد أن ترك بذور تطورات خطيرة كان على الدولة العباسية أن تواجهها وتعاني منها في السنوات التالية ، وكانت مشكلة ولاية العهد أبرز هذه البذور ، وأبعدها أثرا في الحياة السياسية للدولة العباسية ، ومشكلة ولاية العهد بذورها تعتبر انعكاسا للتيارين الأساسيين المتصارعين في دولة الرشيد ، وأعنى بهما التيار العربي و التيار الفارسي .

وفي عهد الرشيد كانت زبيدة زوج الرشيد ، تدفع وتحرك التيار العربي ، ومعها في ذلك إخوتها ، وأبناء عمومتها من العباسيين ، ومع الجميع الفضل بن الربيع الذي يصفه أحد الباحثين أنه زعيم الحزب العربي في عهد الرشيد (١) . وقد نجح هذا الفريق في حمل الرشيد على البيعة بولاية العهد لابنه محمد ، الخليفة الأمين فيما بعد (٢) .

(١) انظر أحمد شلبى / التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ج ٣ ص ٢١٨ .
(٢) قصة البيعة الرشيد لولديه الأمين والمأمون وتأثير الصراع العربى الفارسى فى هذه البيعة القصة موجودة فى تاريخ الطبرى الجزء العاشر ص ٥٣ - ٦٩ ، وفى كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى ص ١٩٣ - ٢١١ ، انظر الصراع بين الأمين والمأمون فى الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٢٢٧ - ٢٣٥ .

أما التيار الثاني ، أو التيار الفارسي ، فكان على رأسه البرامكة ، وقد دون التاريخ العديد من مظاهر التنافس بل الصراع الممنوع والصريح الذى كثيرا ما دار بين الجانبين فى بلاط الرشيد ، وفى مقابل البيعة لمحمد الأمين بولاية العهد بذل البرامكة جهودهم لحمل الرشيد على البيعة لابنه الثانى عبد الله المأمون (١) الذى كان نتاجا عربيا فارسيا مشتركا (٢)

ومما لاشك فيه أن الحزب العربى فى بلاط الرشيد قد انتهز فرصة ما وقع فيه البرامكة من أخطاء بما تمادوا فيه من طغيان النفوذ والاستبداد بالخليفة فوقف فى هذا المجال موقف المسعر للأوار فلم يوجد من بينهم من ينصح البرامكة بل ربما كانوا يزينون لهم هذا الطغيان وفى الوقت نفسه يوصلونه للخليفة فى صورة أكثر تشويها وازلاما حتى أوقع بهم مما يحملنا على القول بأن الحزب العربى كسب هذه الجولة ، وهى جولة بالغة الأهمية ، ولا نقول حاسمة ، فى الصراع بين الحزبين المتنافسين فى الدولة العباسية ، الحزب العربى والحزب الفارسى

حقيقة أن الرشيد قد نجح فى القضاء على البرامكة وما كانوا يمثلونه من خطورة بالغة على دولته ولكنه لم ينجح فى القضاء على الحزب الفارسى الذى تقاسم فيه الزعامة آل سهل من الناحية السياسية ، والطاهريون من الناحية العسكرية ، أما المناسبة التى برز فيها الحزب الفارسى وبقوة فهى مشكلة الخلاف بين الأخوين الأمين والمأمون

(١) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ص ٢١١

(٢) أم المأمون هى مراجل فارسية الأصل وتعرف بميولها الفرس .

والتي دار محورها حول حق الأخير في ولاية العهد وهو الحق الذي سبق أن أكسبه إياه هارون الرشيد

وبادئ ذي بدء يستطيع الباحث أن يقول : أنه لولا الصراع بين العرب والفرس في البلاط العباسي ، ولولا الظلال القائمة التي خلفتها الضربة التي وجهها الرشيد للبرامية لولا هذا وذلك لكان من الممكن أن تسير خلافة الأمين سيرا طبيعيا ، ولقد واجهت الدولة العباسية قبل ذلك مشكلة الازدواج في ولاية العهد أكثر من مرة ، ولكنها استطاعت أن تتجنب مخاطرها ، أما في هذا المرة فلم يكن من الممكن للدولة العباسية الإفلات من هذه المشكلة ومضاعفاتها ، وأتى لها ذلك وهي محاطة بخطرین يتربصان بها وينخران في كيانهما ، وأعنى بهما الصراع بين العرب والفرس في البلاط العباسي ، والآثار العميقة التي خلفتها نكبة البرامية على الحياة السياسية

ومهما يكن من أمر فقد لعب الفضل بن سهل مع المأمون دورا شبيها بذلك الذي سبق أن لعبه يحيى بن خالد البرمكي مع هارون الرشيد ، فكل من الخليفتين وقع تحت ضغط شديد من أجل خلع نفسه من ولاية العهد لصالح ابن الخليفة الذي كان معه ، فعل الخليفة الهادي ذلك مع أخيه هارون الرشيد ، وفعل الأمين نفس الشيء مع أخيه المأمون ، وإلى جانب هارون وقف يحيى البرمكي ناصحا ومساندا ، وإلى جانب المأمون وقف الفضل بن سهل مناصرا ومؤيدا ، وإذا صح للباحث أن يقول عن دور يحيى أنه لم يكن لصالح هارون الرشيد بقدر ما كان لصالحه ولصالح أسرته فإن هذا القول يصدق أيضا بالنسبة

للفضل بن سهل (١) ، وكما نجح يحيى فى تدبيره. وآلت الخلافة بالتالى إلى هارون الرشيد فقد نجح أيضا الفضل بن سهل وأصبح المأمون خليفة على أنقاض خلافة أخيه الأمين

وإذا شعر الباحث بشيء من الغرابة لهذا التوافق ، فإن الغرابة تزداد أكثر وأكثر وأكثر للتوافق فى نهاية كل من الأسرتين الفارسييتين فقد انتهت أو سقطت أسرة أو دولة البرامكة على يدى هارون الرشيد الذى كانت خلافته من تدبيرهم والذين كانوا من أقرب المقربين إلى الرشيد فى السنوات الأولى لخلافته ، وأيضا سقطت أسرة آل سهل على يدى الخليفة المأمون ، وكانت خلافته هو الآخر من تدبير آل سهل وعمرة لكفاحهم ، وهذا التوافق من أقوى العوامل التى تحمل الباحث على محاولة الكشف عن الحقيقة أو على شيء قريب من الحقيقة : وفيما يلى نتحدث عن آل سهل وكيف اتصلوا بالخلافة العباسية :

(١) يقرر بعض الدارسين أن دولة المأمون منحة قدمها له الفضل بن سهل ، وفى هذا التقرير قدر كبير من الصواب ، وإن كان صيغ فى شكل مبالغ فيه .. انظر موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية / د : أحمد شلبى ج ٣ ص ٣٩٦ .

آل سهل واتصالهم بالدولة العباسية

ينحدر آل سهل من ^{مجدد}عريق وأورومة شامخة وهم أبناء سهل ابن زاذانفروخ (١) ، ويقول ابن طباطبا : إنهم من أولاد ملوك الفرس قبل الإسلام (٢)

وقد اتصل سهل هذا بيحيى بن خالد من أجل ظلامة كانت له ، وفى أثناء ذلك نبذ سهل مجوسيته واعتنق الدين الإسلامى (٣) ومن ثم أخذت علاقته تزداد ارتباطا وتوثيقا ودلالة ذلك ما كان لابنيه الفضل والحسن من حظوة كبيرة جدا لدى البرامكة فالفضل بن سهل اختص بالفضل بن جعفر بن يحيى وتقلد قهرمته أما الحسن بن سهل فاتصالة بالعباس بن الفضل بن يحيى وصار خصيصا به (٤)

وعن طريق البرامكة قفز الفضل بن سهل إلى خدمة المأمون الذى ظل ملازما له ، وقريبا منه حتى نهاية عهد الرشيد ، وطلب يحيى من المأمون تقريبه ويقول عنه : « فى كل أربعين سنة يحدث رجل ، يجدد الله به دولة ، وأنت (يخاطب الفضل) عندى منهم » (٥) وتقريب

(١) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢٢٩

(٢) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٧٩ ، ابن تفرى بردى / النجوم الزاهرة ج ٢

ص ١٧٢

(٣) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢٣٠ ، ابن تفرى بردى / النجوم الزاهرة ج ٢

ص ١٧٢

(٤) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢٣٠ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٣٢ .

يحيى للفضل وأسرته يؤكد نزعة الشعبوية لدى البرامكة وشدة تعاطف
الفرس مع بني قومهم

ولاغرو أن نزع الفضل في سياسته منزع البرامكة حتى قال ابن
طباطبا (١) « انها (أسرة آل سهل) مختصر الدولة البرمكية » .

أما عن العمل الذي كان يقوم به الفضل بن سهل مع المأمون في
هذه الفترة فيقول الجهشيارى : (٢) « وعلى كتابته (أى المأمون)
وأمره كله الفضل بن سهل » ومن هذه العبارة الموجزة يتضح لنا أن
الفضل قد ترقى حتى صار يمسك بمركز قيادى خطير في البيت العباسى ،
ويكفى أنه أصبح القوة التى ترسم وتوجه مصالح المأمون ، وكان يقال
له بالوزير الأمير (٣) .

ومع المأمون أخذ الفضل بن سهل يلعب دوره السياسى ، وهو
الدور الذى كاد يكون تكراراً للدور الذى لعبه من قبل يحيى بن خالد
البرمكى مع الرشيد أثناء خلافة الهادى ، وكان تأثيره الكبير على
العلاقات داخل البيت العباسى ، وأيضاً على مجرى تاريخ الدولة
العباسية .

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٧٩ .

(٢) الوزراء والكتاب ص ١٦٦ ، انظر أيضاً ابن تفرى بردى / النجوم الزاهرة

ج ٢ ص ١٧٢

(٣) ابن طباطبا / الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٧٩ .

دور الفضل بن سهل في إقامة

دولة المأمون

٤
٨
٨

لقد أخذت ملامح الدور السياسي الذي لعبه الفضل بن سهل في الحياة السياسية للدولة العباسية تظهر بشكلها المحدد مع الشهور الأخيرة من عهد الرشيد حيث أخذ يسعى ويدبر ليضمن للمأمون حقه في الخلافة ويحميه من استبداد من يريد الاستبداد بالسلطة دونه ، وأول حجر وضعه الفضل لبنى عليه دولة المأمون كان في حياة والده الرشيد ومؤدى ذلك أن خراسان خرجت على الرشيد بقيادة رافع بن ليث ابن نصر بن سيار ، وعجزت جيوش الخلافة عن ردها إلى حظيرة الطاعة فخرج إليها الرشيد بنفسه سنة ١٩٢ واستخلف الأمين في بغداد وأمر المأمون بالبقاء معه وهنا يبرز دور الفضل ودهاؤه حيث أوعز للمأمون بعدم الموافقة على البقاء وقال له : « سل الرشيد أن يشخصك معه لأنه مريض وغير مأمون وخراسان ولايتك ، وإن حدث على الرشيد حادث وثب عليك أخوك الأمين ، وإن أحسن عمل ينتظر أن يعمل معك هو خلعتك ، وأمه زبيدة وأخواله بنو هاشم وزبيده وأموالها رده له (١) ، فسأل والده ذلك ووافق بعد طول امتناع (٢) وصاحب المأمون والده في رحلته ومن الطبيعي أن يسير الفضل بن سهل مع المأمون وهو كاتبه ومدير أمره

(١) ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ١٩٢

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة ..

وفي طوس أخذ المأمون يشتهد على الرشيد فحفظ رحاله بها وأمر ابنه المأمون بمواصلة السير مع قسم من الجيش إلى خراسان ، ثم بعد فترة توفي الرشيد وكانت وفاته ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ١٩٣ (١) . وفي الوقت الذي حدثت فيه الوفاة كان الأمين ببغداد والمأمون بخراسان وقد عاد بعض القواد من الجيش المصاحب للرشيد والمأمون كما عاد الفضل بن الربيع الذي كان على نفقات الرشيد وتدبير أموره ، وحاول المأمون الحيلولة دون مغادرتهم وذكرهم بالعهد والميثاق الذي أخذها والده الرشيد عليهم إلا أنهم لم يقبلوا وغادروا وضايق ذلك المأمون وآلمه وقد لطف الفضل له الأمر وقال له : « نازل في أحوالك وبيعتك في أعناقهم فاصبر قليلا وأنا أضمن لك الخلافة (٢) »

وأخذت العلاقات بين الأخوين تسير في طريق التدهور حتى اشتعلت الحرب الأهلية التي عانت منها الدولة العباسية حوالى ثلاثة أعوام .

والسبب المباشر لتدهور العلاقات بين الأخوين يعود إلى مشكلة ولاية العهد فقد زين البعض للأمين أن يخلع أخاه المأمون ، ويعطى ولاية العهد بدلا منه لابنه موسى ، الطفل الصغير ، وكاد المأمون أن يجيب أخاه ويخلع نفسه لولا الفضل بن سهل الذي أشار عليه بالوقوف في مواجهة أطماع أخيه ، وعدم الرضوخ لضغوطه وأكد له أن النصر سيكون حليفه ، وضمن له الخلافة (٣)

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ١١٢

(٢) الجيهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢٧٨

(٣) ابن طباطبا / الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٧٢ - ١٧٣

وكان الرشيد يحذر الخلاف بين الأخوين ويخاف كليهما على الآخر، يخاف الأمين على المأمون لأن الأمين سيصبح الخليفة الذي بيده قوة الدولة من جند ومال ، وتصحبه مزايا من عظم الهيبة ونفوذ الكلمة وسيكون مطمع آمال الآملين وموضع رجاء الراجين ، ويخاف المأمون على الأمين لأن ما امتاز به المأمون من نجابة خارقة وجد وحنكة ومعرفة بشئون الدولة ، واعتداده بنفسه يجعل منه خطرا شديدا على الأمين جديرا بأن يخشى ويتقى ، وهذه الأمور جعلت الرشيد وهو المعروف بالحزم وجودة الحدس وقوة البصر بالعواقب يعمل على اتقاء الخلاف والنزاع المتوقع ، ورأى أن خير وسيلة لاتقائه أن يستكتب كل واحد منهما عهدا وميثاقا أن ينى للأخرين ويبره وينصح له ، فيقطع بذلك أسباب الخلاف بين الأخوين ، ويحول دون دس الدساسين وسعاية الساعين ، ويفهم أنصار الفريقين ما للبيعة بين الأميرين من حرمة وتوقير ، وكانت بيعة الأمين سنة ١٧٥ هـ ، وبيعة المأمون سنة ١٨٣ هـ ، وعلق العهدين بالكعبة (١) .

وتولية العهد لأكثر من واحد غلطة وقع فيها الرشيد مكرر بذلك أخطاء من سبقوه ولم يستفد منها بتلافيها ، وأى تعهد أو ميثاق ينفع أو يردع من أخذ عليه أمام سطوة الملك وسلطانه ، ومطامع الإنسان التى لاحد لها ، وماقيمة هذه العهود والمواثيق وقد أثبت التاريخ فى معظم مراحلها أنها لاتعتبر عهودا ومواثيق إلا عند الضعفاء من الأمم والأفراد

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٢٣٠ - ١٣٢ ، أحمد فريد / عصر المأمون

وهذا ما حصل بالنسبة للأمين والمأمون ، فقد دعاهما الطموح إلى السلطان وتأثير البطانة وطموحها إلى تحقيق مآربها وسعاية السعاة إلى نكث العهود ، ووقع ما كان يحذر منه الرشيد بل فوق ما كان يتصور أو يقدر حيث حدث الخلاف بين الأخوين كأعنف ما يكون ولم يكن ما اتخذ الرشيد من وقاية وحيلة ليصد تياره الجارف

ولا بأس من استعراض النزاع بين الأمين والمأمون بإيجاز لتبيين دور الفضل بن سهل في مساندة المأمون والذب عنه

لقد أوضحنا فيما تقدم أن الفضل بن الربيع كان على نفقات الرشيد وتدبير أموره وشهد وفاته بطوس ، وقد حاول المأمون مع الفضل بن الربيع أن يبقى معه مع القوات كتوصية الرشيد إلا أنه لم يوافق ، وعاد لبغداد وأخذ معه جميع ما في معسكر الرشيد بعد وفاته بطوس وأحضره للأمين ، مع أن الرشيد قد أوصى بذلك لابنه المأمون فخاف الفضل بن الربيع من المأمون أنه إذا تولى الخلافة انتقم منه فحسن وزين للأمين خلع المأمون والبيعة لابنه موسى وأيد رأى الفضل بعض حاشية الأمين فمال إلى رأيهم واستشار بذلك ذوى العقل والرأى من أصحابه فنهوه وحذروه العواقب الوخيمة لنكث العهد ونقض المواثيق ، إلا أنه لم يأخذ برأيهم ، ومال إلى رأى الربيع ومؤيديه (١) .

وكان الفضل بن الربيع يعتقد أنه إذا أفضت الخلافة إلى المأمون وهو حي لم يبق عليه (٢) لذلك سعى إلى الأمين بخلع أخيه المأمون ، وما كان الأمين ينوى الغدر بأخويه ونكث العهود والمواثيق التي

(١) ابن طباطبا / الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٧٢

(٢) ابن تفرى بردى / النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٣٨

استكتبها اياه والده الرشيد ، ولكن الحاح الفضل بن الربيع ومؤيديه
بخلع المأمون وتأثيرهم عليه دعاه إلى خلع المأمون والقاسم وتمزيق عهديهما
المعلقين بالكعبة والبيعة لابنه (١)

واتخذ الأمين أسلوب الخداع وسيلة للإيقاع بأخيه المأمون فاستدعاه
إلى بغداد وذكر له أن مراده من حضوره ليساعده في أمر السياسة
وتدبير شئون الدولة إلا أن الهدف الحقيقي من استدعائه كما قال أحد
مستشاريه : « ليفرق بينه وبين جنده ، ويكسر حدّه ، ويظفر به ،
ويصير رهنا في يديه ، ويأتى من أمره ما أراد » (٢)

لم ينخدع المأمون ورفض الحضور ، وكتب لأخيه معذرا وترددت
المراسلات والمكاتبات بين الأخوين كل واحد يكذب عبقريته ويستعمل
دهاءه ، وحنكته ، ويستفيد من آراء وتوجيهات بطانته في صيد
الآخر ، ومن تلك الكتابات كتاب الأمين إلى المأمون الذى يسأله
فيه أن يتنازل له عن بعض كورخراسان (٣) ، وذلك قبل استفحال
الخلافا بينهما وانكشافه ، واستشار المأمون شيعته فى طلب أخيه ،
وهاهو ذا الحواري الذى دار بين المأمون ومستشاريه نقلا عن الطبرى
ومنه ترى دور الفضل بن سهل فى مشورة المأمون وتوجيهه

يقول الطبرى : (٤) « كان محمد فيما ذكر X يقصد الأمين X
كتب إلى المأمون قبل مكاشفة المأمون اياه بالخلاف عليه يسأله أن

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ١٣٠ - ١٣٢ .

(٢) الدينورى / الأخبار الطوال ص ٣٩٤

(٣) لقد وزع الرشيد الولايات بين أبنائه الثلاثة وكانت هذه الكور ^{حصن} ولاية المأمون

(٤) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ١٣٢ - ١٣٣

يتجافى له عن كور من كور خراسان سها ، ، وأن يوجه العمال إليها من قبل محمد وأن يتحمل توجيه رجل من قبله يوليه البريد عليه ليكتب إليه بخبره ، فلما ورد إلى المأمون الكتاب بذلك كبر ذلك عليه ، واشتد فبعث إلى الفضل بن سهل ، وإلى أخيه الحسن فشاورهما في ذلك فقال الفضل :

الأمر مخطر ولك من شيعتك وأهل بيتك بطانة ، ولهم تأنيس بالمشاورة وفي قطع الأمر دونهم وحشه ، وظهوره قلة ثقة فرأى الأمير في ذلك وقال الحسن : كان يقال شاور في طلب الرأى من ثنق بنصيحته ، وتآلف العدو فيما لا اكتتام له بمشاورته ، فأحضر المأمون الخاصة من الرؤساء والأعلام ، وقرأ عليهم الكتاب فقالوا جميعا له : أيها الأمير تشاور في مخطر فاجعل لبديتنا حظا من الروية فقال المأمون : ذلك هو الحزم ، فاجلهم ثلاثا فلما اجتمعوا بعد ذلك قال أحدهم :

أيها الأمير قد حملت على كرهين ولست أرى خطأ مدافعة مكروه أولهما مخافة مكروه آخرهما ، وقال آخر : كان يقال أيها الأمير أسعدك الله إذا كان الأمر مخطرا فاعطاؤك من نازعك طرفا من بغيته أمثل من أن تطير بالمنع إلى مكاشفته وقال آخر :

إنه كان يقال : إذا كان علم الأمور مغيبا عنك ، فخذ ما أمكنك من هدية يومك فانك لا تأمن أن يكون فساد يومك راجعا بفساد غدك .

وقال آخر : لئن خفت للبذل عاقبة إن أشد منها لما يبعث الإباء من
الفرقة

وقال آخر : لا أرى مفارقة منزلة سلامة فلعل أعطى معها العافية .

فقال الحسن : فقد وجب حقكم بانجتهادكم ، وان كثرت من
الرأى على مخالفتكم

قال له المأمون : فناظرهم قال : لذلك ما كان الاجماع .

وأقبل الحسن عليهم فقال : هل تعلمون أن محمدا تجاوز إلى
طلب شيء ليس له بحق ، قالوا : نعم ويحتمل ذلك لما نخاف من ضرر
منعه ، قال : فهل تثقون بكفه بعد اعطائه إياها فلا يتجاوز بالطلب إلى
غيرها قالوا : لا ولعل سلامة تقع من دون ما نخاف ونتوقع ، قال :
فإن تجاوز بعدها بالمسألة ، أفما ترونه قد توهن بما بذل منها في نفسه
قالوا : ندفع ما يعرض له في عاقبة بمدافعة ما تنجزون في عاجلة قال :
فهذا خلاف ما سمعناه من قول الحكماء قبلنا ، قالوا استصلح عاقبة
أمرك باحتمال ما عرض من كره يومك ، ولاتلتمس هدية يومك باخطار
أدخلته على نفسك في غدك .

قال المأمون للفضل : ماتقول فيما اختلفوا فيه ؟

قال : أيها الأمير أسعدك الله ، هل يؤمن محمد أن يكون طالبك
بفضل قوتك ليستظهر بها عليك غداً على مخالفتك ، وهل يصير الحازم
إلى فضلة من عاجل الدعة بخاطر يتعرض له في عاقبة بل إنما أشار
الحكماء بحمل ثقل فيما يرجعون به صلاح عواقب أمورهم فقال المأمون :
بل بإيثار العاجلة صار من صار إلى فساد العاقبة في أمر دنيا وآخره قال
القوم : قد قلنا ببلغ الرأي ، والله يؤيد الأمير بالتوفيق .

فقال : اكتب يا فضل إليه فكتب قد بلغني كتاب أمير المؤمنين
يسأل التجاني عن مواضع سماها مما أثبتته الرشيد في العقد وجعل

أمره إلى ، وما أمر رآه أمير المؤمنين أحد يجاوز أكثره غير أن الذى جعل إلى الطرف الذى أنابه لاطنين فى النظر لعامته ولا جاهل بما أسند إلى من أمره ، ولو لم يكن ذلك مثبتا بالعهد والمواثيق المأخوذة ثم كنت على الحال التى أنا عليها من إشراف علو مخوف الشوكة وعامة لاتتألف عن هضمها واجناد لاتستتبع طاعتها إلا بالأموال وطرف من الأفضال لكان فى نظر أمير المؤمنين لعامته وما يحب من لم أطرافه ما يوجب عليه أن يقسم له كثيراً من عنايته ، وأن يستصلحه ببذل كثير من ما له فكيف بمسألة ما أوجبه الحق وأكدته مأخوذة العهد ، وإنى لأعلم أن أمير المؤمنين لو علم من الحال ما علمت لم يطلع ما كتب بمسألته إلى ، ثم أنا على ثقة من القبول بعد البيان ان شاء الله

استمرت المكاتبات بينهما (١) حتى أقدم الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد ومبايعة ابنه موسى وقال فى معرض حديثه مع أحد رجاله يحيى بن سليم الذى استشاره فى خلع المأمون ، ومبايعته ابنه موسى ، وحاول يحيى أن يثنيه عن عزمه ويذكره بالمواثيق المعلقة بالكعبة والتى تؤكد بيعه الرشيد له (٢) : « إن رأى الرشيد (يقصد فى مبايعة المأمون بالعهد بعد أخيه) فلته شبيها عليه جعفر بن يحيى بسحره ، واستماله برفاه وعقده فغرس لناغرسا مكروهاً لا نفعنا مانحن فيه إلا بقطعه ، ولاتستقيم الأمور إلا باجتنائه والراحة منه » . وقد تأثر المأمون تحت ضغط الأمين ، وعزم على الإجابة إلى خلع نفسه ،

(١) انظر تفصيل ذلك فى الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ١٣٢ - ١٣٨ .

(٢) المصدر السابق ج ١٠ ص ١٣٦ .

ومبايعة موسى بن الأمين إلا أن وزيره الفضل بن سهل شجعه على الامتناع وضمن له الخلافة ، وقال : « هي في عهدي » فامتنع المأمون ونهض الفضل بن سهل بأمر المأمون ، واستمال له الناس وضبط الثغور ونظم الأمور (١) .

فأخذ الفضل بن سهل يعد المأمون للأمر العظيم ويمهد له الطريق إلى الخلافة فحببه إلى الناس ، وحجب إليه العدالة والانصاف ، وقال له : « قد قرأت القرآن ، وفهمت أمر الدين ، والرأي أن تجمع الفقهاء وتدعوهم إلى الحق والعمل به واحياء السنة ، وأن تقعد على اللبود ، وتواصل النظر في المظالم ، وتكرم القواد والرؤساء وأبناء الملوك ففعل ذلك ، وحط عن خراسان ربع الخراج » (٢) .

ولذلك أحبه الناس وأقبلوا عليه وكانوا يقولون ابن أختنا ، وابن عم رسول الله صلى عليه وسلم ولما رأى رافع بن ليث بن نصر ابن سيار - وكان قد ثار على الخلافة - سيرة المأمون انقاد له ودخل في طاعته وذلك سنة ١٩٤ هـ فأعطاه الأمان وأكرمه (٣) وما ذلك إلا بفضل سياسة الفضل بن سهل وتوجيهاته

وكان الخلاف يشتد ضراوة يوما بعد يوم وهو في الحقيقة صراع بين الفضل بن سهل والفضل بن الربيع أو على الأصح صراع بين

(١) ابن طباطبا / الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) الجهمياري / الوزراء والكتاب ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٧٩ .

العرب والفرس (١) ، العرب تظاهر الأمين ، والفرس يأخذون بيد ابن أختهم المأمون ويشدون أزره (٢) .

وهذا أخذ الخلاف بين الأخوين يشند والقطيعة تزداد ، وتطور الخلاف إلى نزاع مسلح انتهى هذا النزاع بحصار جيش المأمون بغداد بقيادة طاهر بن الحسين ومن هزيمة جيش الأمين ودخول بغداد ، وقتل الأمين (٣) وحمل رأسه إلى المأمون بخراسان ، وذلك سنة ١٩٨هـ (٤)

ومن المناقشات والروايات المتقدمة لاحظنا أن المأمون كان يميل إلى المسالمة وإجابة أخيه الأمين فيما طلب ، وهو في هذا الموقف شبيه بأبيه هارون حينما أراد أخوه الهادي أن يحمله على خلع نفسه من ولاية العهد ، وكاد أن يوافق تحت ضغط الهادي لولا وقوف يحيى البرمكي بجانبه ومساندته له ، واسداء المشورة له بعدم التنازل عن العهد لابن أخيه كما بين للهادي نفسه أن نكث عهد والده يشجع الناس على نكث العهود ، وتولية العهد لابنه الطفل يخرج الأمر من ولد أبيه فيما لو قضى الخليفة نجه ونصح به بالتريث وان يوليه العهد

(١) يقول عبد السلام رستم في كتابه أبو جعفر المنصور ص ٣١ : « الفرق بين الدولة الأموية والدولة العباسية ، أن الأولى اعتمدت على سواعد العرب وعقولهم ، وكانت منذ تكوينها دولة عربية محضة ، كل عناصرها من العرب الخالص وامتازت بشخصيات فريدة اتصفت بالشجاعة والإيمان وقوة المعارضة ، وصفات العربي الأصل ، أما الثانية فقد استعانت بالفرس وصعدت على رماحهم وقوتهم ، ساندوها في الخلاص من أعدائهم الأمويين وغير الأمويين ، وتغلغلوا في مرافقها ووقفوا من العرب موقف العداء الظاهر ، وخلقت في الدولة جبهتين متعارضتين جبهة الفرس وجبهة العصبية العربية .

(٢) مخطوطة تاريخ الجزرى ورقة ٧٤ .

(٣) ابن الهادي / شذرات الذهب ج ١ ص ٣٥٠ ، مخطوطة المناقب العباسية ورقة ١٢ .

(٤) ابن طباطبا / الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٧٤ ، المكتبي / فوات الوفيات

ج ٤ ص ٤٧ ، الديلمي / مخطوطة رياض الأنس لعقلاء الإنس ورقة ٦٠ .

بعد الرشيد كما مر بنا في الفصل السابق ، وفي نفس الوقت اتخذ الفضل بن سهل موقفا متشددا - كما رأينا - في الحيلولة دون موافقة المأمون على خلع نفسه ، ومن الطبيعي أن يكون الدافع للفضل في تشدده هو أولا مصلحته الخاصة وهي المصلحة التي ارتبطت بمستقبل المأمون ، وهذا الدور شبيه بالدور الذي سبق أن لعبه يحيى بن خالد البرمكي في الموقف بين الهادي والرشيد والذي سبقت الإشارة إليه .

ولاشك أن كلا من الرجلين وصل إلى الغاية التي ينشدها ، غير أن الأسلوب كان مختلفا فقد وصل يحيى عن طريق الرأي والسياسة أما الفضل فإنه لم يصل الا على أشلاء الآلاف من الضحايا وعلى رأسهم الخليفة الأمين ، الضحايا الذين التهمتهم الحرب الأهلية التي دارت رحاها بين الرجلين ، والتي برز فيها الانقسام العنصرى كما أشرنا سابقا كأقوى ما يكون ، فقد انقسمت الدولة إلى فريقين فريق موال للمأمون وهم الفرس ، وكانت قوات هذا الفريق تحت قيادة طاهر ابن الحسين ، وفريق موال للأمين وهم العرب وكانت قوات هذا الفريق تعمل تحت قيادة القائد العربى على بن عيسى بن ماهان ، وقد أسفرت هذه الحرب في النهاية - كما ذكرنا في موضع آخر - إلى قتل الأمين وهزيمة جيشه وانتصار جيش المأمون وذلك سنة ١٩٨ (١) وبغض النظر عن أهداف الفضل بن سهل ونواياه من مساعيه ، فإنه كان له دور كبير في تحقيق النتائج الباهرة التي توصل إليها المأمون وفي وصوله إلى سدة الحكم وكرسى الخلافة بعد ما كاد أن يفرط بها ويتنازل عن ولاية العهد لابن أخيه لولا وقوف الفضل دون ذلك .

ويقول عز الدين بن الأثير (١) : « كان ذو الرياستين (الفضل ابن سهل) من دهاة الرجال وكفاتهم ، وهو الذى رتب له (للمأمون) أمور الخلافة بخراسان والعراق ونقم عليه المأمون فقتله بسرخص فى الحمام فى توجهه إلى العراق » ويقول ابن تغرى بردى (٢) « لما ولى الخلافة (يعنى المأمون) ولاه (يعنى الفضل بن سهل) الأعمال الجليلة ، وكان الفضل هذا هو القائم بالتدبير فى خلع الأمين وقتاله حتى تم له ذلك . »
ويقول أحد الشعراء فى تصوير الدور الكبير الذى لعبه الفضل فى قيام دولة المأمون وسقوط دولة الأمين :

أقامت خلافة وأزلت أخرى جليل ما أقمت وما أزلت

أما كرد على فيقول (٣) . « لم يرزق الأمين وزراء كوزراء أخيه المأمون ، أمثال : الفضل بن سهل ، والحسن بن سهل ، وهرثمة بن أعين ، وظاهر بن الحسين ، وأحمد بن يوسف وعمر بن سعد بل اصطنع من نبذهم أبوه الرشيد لسوء سيرتهم ، فربح المأمون برجاله وعقله ، وخسر الأمين برجاله وضعف تدبيره » وهنا كرد على يستعمل فيما يبدو كلمة وزير على أساس المعين والمناصر لأنه لم يزر للمأمون من هؤلاء بالمعنى المعروف للوزير آنذاك سوى الفضل والحسن ابني سهل ، وأحمد ابن يوسف أما البقية فكانوا قادة مبرزين فى الجيش ، ولاشك أن الفضل الأول فى إقامة دولة المأمون يعود بالدرجة الأولى للفضل بن سهل .
ويقول الدكتور أحمد شلبى : (٤) « من الممكن أن نقرر أن دولة المأمون منحة قدمها له الفضل بن سهل ، وأنه لولا الفضل ما كانت دولة المأمون ولغلب هذا على أمره » .

(١) ابن الأثير / اللباب فى تهذيب الأنساب ج ١ ص ٥٣٣ .

(٢) ابن تغرى بردى / النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٧٣ .

(٣) كرد على / الإدارة الإسلامية فى عز العرب ص ١٤٨ .

(٤) شلبى / التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ص ج ص ٣١٢ .

الفضل يسيطر على شئون الدولة

بعد انتصار المأمون أو القوات الفارسية الموالية للمأمون ، أصبح الفضل بن سهل الرجل الأول في دولة الخليفة المأمون ، وهو في هذا يكاد يشبه يحيى بن خالد ونفوذه في أول دولة الرشيد ، ويمكن للباحث أن يتبين المكانة الكبيرة التي أخذ يحتلها الفضل بن سهل في دولة المأمون من تجميع عدة معلومات زدتنا بها المصادر التاريخية .

ومن هذه المعلومات ما تشير إليه المصادر من أن المأمون خلع على وزيره لقب له دلالاته الكبيرة على درجة النفوذ الهائل الذي أصبح يمارسه هذا الرجل الفارسي أعنى به لقب « ذا الرياستين » أى رئاسة السيف ورئاسة القلم (١) ، والسيف هنا يعنى الحرب والقوة ، والقلم يعنى التدبير والسياسة ، ويقول الجهشيارى عن هذا التلقيب (٢) . « وهو أول وزير لقب » ، وهذه خاصة لها وزنها في تصوير شخصية هذا الوزير ومكانته

وإلى جانب هذه الخاصة منح المأمون وزيره الفضل بن سهل خاصة أخرى أيضا لها مغزاها بالنسبة للمكانة الرفيعة التي أصبح يتمتع بها الفضل بن سهل في دولة المأمون ، هذه الخاصة هي أنه كان يؤمر ، ويقول الجهشيارى عن هاتين الخاصتين (٣) « وهو أول وزير لقب

(١) البغدادى / تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٤٠ ، ابن تغرى بردى / النجوم الزاهرة

ج ٢ ص ١٥١ .

(٢) الوزراء والكتاب ص ٣٠٥ ،

(٣) المصدر السابق ص ٣٠٦ .

وأول وزير اجتمع له اللقب والتأثير « ، وكما مر بنا كان يقال له
الوزير الأمير (١).

ومن توقيع للمأمون بعث به إلى الفضل بن سهل يقول الخليفة
مخاطباً وزيره : « أغنيت يا فضل بن سهل بمعاونتك إياي على طاعة الله
 وإقامة سلطاني ، فرأيت أن أغنيك ، وسبقت الناس من الحاضر كان
 لي ، والغائب كان عني ، فاحببت أن أسبق إلى الكتاب لك بخطي ،
 بما رأيته على نفسي وأنا أسأل الله تمامه ، فان حولي وقوتي ومقدرتي
 وقبضي وبسطي به ، لاشريك له وقد أقطعتك السبب بأرض العراق
 على حيازة تميم مولى أمير المؤمنين ، عطاء لك ولعقبك ، ولما أنت عليه
 من النزاهة عن أموال ريعتي ولما قمت به عن حق الله وحق فلم تأخذك
 في لومة لائم ، ولم تراقب ذا سلطان ولا غيره ، وقد جعلت لك بعد ذلك
 مرتبة من يقول في كل شيء فيسمع منه ، ولا تتقدمك مرتبة أحد
 ما لزم ما أمرتك به من العمل لله ولنبيه ، والقيام بصلاح دولة أنت
 ولي بقيامها ، وجعلت ذلك كله لك بشهادة الله ، وجعلته لك كفيلاً
 على عهدى » (٢)

وهذا التوقيع قريب الشبه بالتفويض الذي سبق أن فوض هارون
 الرشيد بموجبه الوزارة إلى يحيى بن خالد البرمكي ، وهنا يجد الباحث
 عنصراً آخر من عناصر التشابه بين البرامكة وآل سهل ، وهو أن
 سلطان كل منهما في دولة الخليفة الذي كان يعمل معه كان سلطاناً

(١) ابن طباطبا / الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٧٩

(٢) الجهشياري / الوزراء والكتاب ص ٣٠٦

مطلقا لاتقيده عقبات وقد سيطر الفضل على أمور الدولة وبلغ مجده الذروة وتغنت بفضله وأمنجاده وعزه الشعراء ومن ذلك قول الشاعر عبد الله بن أيوب :

لعمرك ما الأشراف في كل بلدة وان عظموا الا لفضل صنائع
تترى عظماء الناس للفضل خشعا اذا ما دنا والفضل لله خاشع
ويقول في الفضل ابراهيم بن عباس الصولي :

للفضل بن سهل يد تقاصر عنه المثل
ننائلهما للغنى وسطوتها للأجل
وباطنها للندى وظاهرها للقبل

وبلغ من مكانة الفضل لدى المأمون أن عرض عليه أن يزوجه إحدى بناته على الرغم من استهجان تزويج العربية من المولى فضلا عن كونها بنت خليفة ، وقد بذل المأمون جهدا في سبيل اقناع الفضل في قبول ذلك ولكنه استكثر هذا التكريم على نفسه فشكر واعتذر (١) . وكان من تأثير الفضل على المأمون وسيطرته على أمور دولته أن أسند ولاية العهد إلى علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وسماه الرضا وذلك بمشورة من الفضل وأمر جنده بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة وكتب بذلك إلى الأفاق ، ولما بلغ أهل بغداد الخبر وطولبوا بطرح الثياب السود ولبس ثياب الخضرة وذلك في اليوم الثاني من شهر رمضان سنة ٢٠١ هـ ثاروا ورفضوا ، وقالوا هذه دسيئة من الفضل بن سهل فمكثوا على ذلك أياما ثم اجتمع عدد من العباسيين وتشاوروا في خلع المأمون ومبايعة سواه ، واتفقوا على مبايعة ابراهيم بن المهدي بالخلافة وخلع المأمون فبايع أهل بغداد ابراهيم بن المهدي وخلعوا المأمون (٢)

(١) المصدر السابق ص ٣٠٧

(٢) الطبري تاريخ الرسل والملوكة ج ١٠ ص ٢٤٣ ، انظر أيضا مخطوطة تاريخ الجزري ورقة ٧٦ هـ مكتبة المصنفين الإسلامية

نهاية الفضل بن سهل

لقد أوضحت في النقطة السابقة العناصر التي تشكل أبعاد القوة التي كان يتمتع بها الفضل بن سهل في دولة المأمون وتؤكد سيطرته على شئون الدولة وهي القوة التي لاشك في أنها كانت على حساب نفوذ سلطان الخليفة المأمون ، وهي القوة التي نجح المأمون في وضع حد لها في سنة ٢٠٢ هـ ، فقد شهد شهر شعبان من السنة المذكورة وفي الطريق من مرو إلى بغداد في رحلة المأمون المشهورة ، وعند مدينة سرخس شهد مقتل الفضل بن سهل قتله جماعة ممن كانوا في صحبة المأمون ، وقد أكد القتل أنهم ماقتلوا الوزير الفارسي إلا تنفيذا لأوامر المأمون (١)

ويقول أبو الفداء : (٢) « في سرخس قتل الفضل بن سهل في الحمام قتله أربعة نفر وجعل المأمون لمن أمسكهم عشرة آلاف دينار فأمسكهم العباس بن الهيثم الدينوري وأحضرهم إلى المأمون فقالوا : أنت أمرتنا بقتله فأمر بهم فضربت أعناقهم » .

وهنا يجد الباحث عنصراً آخر من عناصر التشابه بين مصير البرامكة ومصير الفضل بن سهل ، فقبل خمسة عشر عاماً اجتاحت

(١) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٢٥٠ ، مخطوطة/تاريخ الجزري ورقة ٧٨ -

(٢) المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ٢٣

الرشيد البرامكة بطريقة سريعة وحاسمة وأيضاً مباشرة وفي سنة ٢٠٢ هـ تخلص المأمون من الفضل بن سهل بطريقة حاسمة ، ولكن غير مباشرة ، وعدم مجاهرة المأمون بقتل وزيره وصانع دولته موقف طبيعي فرضته الظروف التي كانت تحيط به ، فالمأمون كان لا يزال في خراسان ، أى في أشد المناطق تعصبا للعنصرية الفارسية ، وأيضاً للزعامة الفارسية ، وكان يمثلها في ذلك الوقت آل سهل ، وعلى رأسهم الوزير الفضل ، وليس من المستبعد لو أن المأمون جاهر بقتل الفضل أن يثور ضده الفرس ، أى القوات التي كانت ترافقه ، ولو حدث شيء من هذا لضعف أمامهم المأمون حيث أنه لم تكن بهم له طاقة . وزيادة في التعمية لجأ المأمون إلى أسلوب المداينة مع أخيه الحسن بن سهل الذي كان المتوقع أن يكون المطالب الأول بدم أخيه ، داهن المأمون الحسن بن سهل فقتل قتلة الفضل ، وبعث برؤوسهم إلى أخيه الحسن وأعلمه ما دخل عليه من المصيبة بقتل الفضل ، وأنه قد صيره مكانه . (١) وزيادة في التعمية لجأ المأمون إلى المزيد من توثيق الروابط بينه وبين الحسن بن سهل فتزوج من ابنة هذا الزعيم الفارسي (٢) . واسمها بوران .

(١) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥١ ، مروج الذهب ج ٣ ص ٤٤٣ - ٤٤٤ أبو الفداء .

المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ٧٣ .

لماذا قتل المأمون الفضل بن سهل

مقتل الفضل بن سهل بالصورة التي سبق شرحها وهو ساعد المأمون الأمين ووزيره الأول الذي لقبه بالأمس بذي الرياستين وفوض إليه جميع أموره ، يحمل الباحث على التساؤل عن العوامل التي جعلت المأمون يتخلص من وزيره والرجل الذي لعب الدور الأول في وصوله إلى منصب الخلافة ، وتواجه الباحث صعوبة أساسية لأن المأمون لم يصرح بأنه هو الذي أوْعز بقتل الزعيم الفارسي ، وبالتالي فإنه لم يشر من قريب أو من بعيد إلى العوامل التي حملته على ضرورة التخلص منه

والصعوبة في قسمها الأول يمكن التغلب عليها ، وذلك اعتماداً على ما أمدتنا به المصادر التاريخية من أن القتلة قد أكلوا وفي مواجهة المأمون، أنه هو الذي أمرهم بقتل الفضل كما يتحدث بذلك الطبري (١)

أما الصعوبة في قسمها الثاني فهي التي تحتاج من الباحث إلى وقفة متأنية كما تحتاج أيضاً إلى مراجعة دقيقة لتصرفات الفضل في الفترة التي كان في أثنائها صاحب الكلمة العليا في دولة المأمون

ونبدأ المراجعة بما ذكره المسعودي ، فهذا المؤرخ يقول : (٢)
« وغلب على المأمون الفضل بن سهل حتى ضايقه في جارية أراد شراءها

(١) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٢٥٠

(٢) المسعودي / مروج الذهب ج ٣ ص ٤١٧

فقتله » ، وهذا التقرير من المسعودى يثير قضية هامة ، هى قضية المزاحمة فى النفوذ والسلطان ، وسابقا زاحم البرامكة الرشيد فى نفوذه وسلطانه ، حتى أنهم استبدوا بالدولة العباسية ، بل استبدوا بالخليفة نفسه ، ويكفى أنهم منعوا عنه المال فى وقت كان فى حاجة شديدة إليه ، وهنا زاحم الفضل بن سهل المأمون فى دولته ، وأيضاً فى خصوصياته وإذا كان الرشيد قد تخلص من البرامكة انقاداً لنفوذه ودولته ، فإن المأمون كان عليه هو الآخر أن يفعل نفس الشيء ، لكى يحرر نفوذه ودولته ، وكل من الرجلين ينفذ نفس السياسة التى ابتدعها أبو جعفر المنصور حينما قتل أبا مسلم الخراسانى لكى يؤكد نفوذه وسلطانه :

وفى اطار الموازنة يرى الباحث أن حاجة المأمون إلى التخلص من الفضل كانت أكثر الحاحا من حاجة أبيه إلى التخلص من البرامكة ، وذلك لأن المأمون كان على الطريق لإحداث تغيير جوهري فى مسار الدولة العباسية ، إنه كان فى الطريق إلى بغداد ، وذلك يعنى أنه بدأ يزيل الصبغة الفارسية التى اصطبغت بها دولته طوال الفترة التى كانت فيها مدينة مرو حاضرة خراسان مقر المأمون ، بل مركز الدولة العباسية فى هذه السنوات المبكرة من خلافة المأمون ، وبدأ المأمون يزيل هذه الصبغة الفارسية ، ويعود بالدولة إلى ما يجب أن تكون عليه أى عربية مركزها بغداد ، حاضرة آبائه ورمز مجد الأسرة العباسية

ومما لاشك فيه أن المأمون كان يدرك جيدا أن الفضل بن سهل غير راض عن هذا التحول لانه يحمل فى طياته ضياع نفوذه وسلطانه ، وأيضاً تضاؤل أهمية خراسان مركز العصبية الفارسية ، وعدم رضا الفضل مع وجوده فى بغداد كان سيشكل عائقا خطيرا أمام ما كان

يهدف إليه المأمون من مصالحة أهل بيته ومصالحة أهل بغداد بصفة عامة ، وزعماء البيت العباسي بصفة خاصة ، بل وأكثر من ذلك كان وجود الفضل بن سهل مع افتراض رضائه سيشكل العائق الخطير أمام المستقبل الذي كان يتطلع إليه المأمون .

فتخلص المأمون من الفضل بن سهل كان إذن ضرورة سياسية وذلك إلى جانب بعض التصرفات التي دونها التاريخ عن الفضل ، والتي رأى من خلالها الخليفة المأمون أن الزعيم الفارسي يخطط لكي يسيطر سيطرة كاملة على الدولة العباسية من داخلها ، وذلك بصفته الفارسية أو العنصرية ، ويقول الدكتور أحمد شلبي : (١) « بدأ الانحراف من جانب الوزير (يعني الفضل) الذي ركبه الغرور كأنما خطر بباله أن يجعل هذا الملك ملكا له ، وأن يستعيد لخراسان سلطانها وسياستها ، فحاول أن يجعل للمأمون من خلافته الاسم وله القول والعمل وسلك طريقا وعرا كان هو فاتحة وكان ضحيته »

ويقول الدكتور حسن إبراهيم : (٢) « كان الفضل بن سهل كغيره من الفرس ينتصر للعنصر الفارسي ويعتقد أن العلويين أحق من العباسيين بالخلافة لانهم يجمعون بين أشرف دم عربي وهو دم النبوة وأشرف دم فارسي وهو دم الأكاسرة وعمل على أن تكون السيادة للعنصر الفارسي »

وقد سيطر الفضل على أمور الدولة وكنم الأخبار عن المأمون ،

(١) التاريخ الإسلامي ج ٣ ص ٣١٨

(٢) تاريخ الإسلام السياسي ج ٢ ص ١٧٤ - ١٧٥ .

وأبقاه بما يشبه العزلة حتى أن من حضروا لتزويد المأمون بالأخبار تعرضوا للسجن من قبل الفضل ورجاله كما سنرى (١).

كما أن حادثة تولية العهد لعلی بن موسى بمشورة من الفضل (٢) كان لها أثر كبير في نفوس الناس أثار حفاظهم ، وقد رد نعيم بن خازم تصرف الفضل بن سهل هذا بقوله (٣) : « انما تريد أن تزيل الملك عن بنی العباس إلى ولد علی ثم تحتال عليهم ، فتصير الملك كسروبا »

وكما أسلفنا كانت الأخبار لاتصل إلى المأمون لأن الفضل يموها عليه ، ومن ذلك اجتماع أهل بغداد وخلعهم الخليفة المأمون ومبايعة إبراهيم المهدي بالخلافة (٤)

وكان هرثمة بن أعين القائد العربي قد قدم على المأمون في خراسان ليخبره عن أحوال البلاد ، ويوضح له أنه في عزلة فرضها عليه الفضل ابن سهل ، لذلك انقطعت عنه أخبار الرعية ، ويحاول انتشاله مما هو فيه إلا أن الفضل بن سهل علم بمقدمه وخشى نتائج هذه الزيارة فسمم أفكار المأمون عنه حتى أثار غضبه عليه وسجن ومن ثم دبر قتله ويقول ابن الأثير (٥) : « لما فرع هرثمة (ابن أعين) من أبي السرايا رجع فلم يأت الحسن بن سهل ، وكان بالمدائن بل سار على عقرقوف حتى

(١) الطبري ج ١٠ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ ، ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٣١٤ - ٣١٥ ،

ابن خلدون ج ٣ ص ٢٤٥

(٢) الطبري ج ١٠ ص ٢٤٣ ، ابن الأثير الكامل ج ٦ ص ٣٢٦

(٣) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٣١٣

(٤) الطبري ج ١٠ ص ٢٤٣ ، ابن خلدون ج ٣ ص ٢٤٧ .

(٥) الكامل ج ٦ ص ٣١٤ - ٣١٥ .

البردان والنهروان ، وأتى خراسان فأتته كتب المأمون في غير موضع
أن يأتى إلى الشام والحجاز . فأتى وقال : لا أرجع حتى ألقى أمير المؤمنين ،
ادلالا منه عليه ، ولما يعرف من نصيحته له ولأبائه ، وأراد أن يعرف
المأمون ما يدبر عليه الفضل بن سهل وما يكتم عنه من الاخبار وأنه
لايدعه حتى يرده إلى بغداد ليتوسط سلطانه

فعلم الفضل بذلك فقال للمأمون : إن هرثمة قد أثقل عليك البلاد
والعباد ، ودس أبا السرايا ، وهو من جنده ، ولو أراد لم يفعل ذلك ،
وقد كتب إليه عدة كتب ليرجع إلى الشام والحجاز ، فلم يفعل وقد
جاء مشاقا يظهر القول الشديد فإن أطلق هذا كان مفسدة لغيره .

فتغير قلب المأمون ، وأبطأ هرثمة إلى ذى القعدة فلما بلغ مرو خشى
أن يكتم قدومه عن المأمون ، فأمر بالطبول فضربت لكى يسمعها
المأمون فسمعها فقال : ما هذا ؟ قالوا : هرثمة قد أقبل يرعد ويبرق
فظن هرثمة أن قوله لمقبول فأمر المأمون بإدخاله ، فلما دخل عليه قال
له المأمون : مالأت أهل الكوفة العلويين ، ووضعت أبا السرايا ، ولو
شتت أن تاخذهم جميعا لفعلت

فذهب هرثمة يتكلم ويعتذر ، فلم يقبل منه ، فأمر به فديس بطنه ،
وضرب أنفه وسحب من بين يديه ، وقد أمر الفضل الأعوان بالتشديد
عليه ، فحبس فمكث في الحبس أياما ثم دس إليه من قتله ، وقالوا
مات »

أما الجهشياري فيختلف في روايته عن ابن الاثير في أحداث
المقابلة ويتفقان في النهاية التي صار إليها القائد العربي هرثمة ، ويقول

الجهشياري (١) « دخل (هرثمة) عليه (على المأمون) وبره وأقبل عليه وأمر أن يطرح له كرسى إلى جانبه وأقبل عليه بوجهه يحدثه ويسأله ، ويدعوه بكنيته ، ودخل ذو الرياستين ، فطرح كرسیه ، وقعد عليه قال : فقال المامون يا أبا حاتم ، ما كان لتجشمك هذا السفر مع علتك معنى : بلى يا أمير المؤمنين تجشمته لأقضى حق الله على فى طاعتك وأنبهك على أمرک ، وأقول بالتنصح لك فقال : يا أبا حاتم ، ليست بك حاجة إلى هذا وأنت تعب ، فانصرف إلى منزلك ، قال : كلا يا أمير المؤمنين ، ماتجشمت طول السفر لأنصرف إلى منزلى ، قال : بلى يا أبا حاتم أحب أن تنصرف إلى منزلك وتدع ذكر مالانحتاج إليه وما أنت عنه غنى ، قال : لا يا أمير المؤمنين ، أو أقضى الحق على فى نصحك ، لاني لا آمن أن يحدث على فى هذه الساعة حادثة ، فالقى ربى مقصراً فى حق إمامى ، ثم التفت وقال : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى رأيت هذا المجوسى - يعنى ذا الرياستين - فى هذا المجلس ، على كرسى ثم قال : يا أمير المؤمنين : المأسور ورسلاهم بحبسان بغير ذنب ، وياخذ هذا المجوسى أموالهما وأمتعتهما ، فيبيعها ويمزقها ، قال له : يا هرثمة ، وترك الكنية ، أمتعك عن ذكر مالانحتاج إليه وغضب المأمون ، فقال : لا والله ، أو يدفع إلينا هذا المجوسى فننزل به ما يستحقه فقال ذو الرياستين : وما أنت وهذا يا علج ، خذوا برجله وجروه ، فتبادر الناس إلى هرثمة وأخذوا برجله ، وجروه من بين يدى المأمون ، وحبس ثمانية أيام ، وقتل ثم أخرج فى اليوم الثامن ميتا فى لبادة »

(١) الجهشياري الوزراء والكتاب ص ٣١٧ - ٣١٨ ، ويقول الطبرى ج ١٠ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ عن هرثمة بن أعين ، وهذبه من الذهاب إلى مرو ومقابلة المأمون : « وأراد أن يعرف المأمون ما يدبر عليه الفضل بن سهل ، وما يكتم عنه من الأخبار ، وألا يدعه حتى يردّه إلى بغداد دار خلافة آبائه وملكهم ليتوسط سلطانه ، ويشرف على أطرافه . »

وهذه الزواية تدل دلالة واضحة على تسلط الفضل واستبداده في الأمور حيث أمر بجره والمفروض أن ينتظر ما يأمر به الخليفة كما أن أسلوبه فيه تشف وإذلال للعرب

وكان من القلائل الذين يدخلون على المأمون ولى عهده على الرضا وقد كشف له هذا الأمور وأوضح له الحقائق ، وما كانت عليه الدولة وسخط الناس عليه في بغداد ومبايعتهم لغيره فعرف المأمون حقيقة أمره وأدرك السياج الحديدي الذي أحيط به من قبل الفضل بن سهل وتبينت له كل جوانب السياسة التي كان يسير عليها الفضل ، والى تثبت انحرافه وتشكل سياسته الفارسية ، وهي السياسة التي تتناقض تناقضا كاملا مع صالح الدولة العباسية وكان ذلك السبب المباشر في رحيل المأمون عن مرو ، وذهابه إلى بغداد وقتل الفضل ويقول الطبري (١) « وذكر أن علي بن موسى بن جعفر بن محمد العلوي (ولى عهد المأمون) أخبر المأمون بما فيه الناس من الفتنة والقتال منذ قتل أخيه وبما كان الفضل بن سهل يستر عنه من الأخبار ، وأن أهل بيته والناس قد نقموا عليه أشياء وأنهم يقولون إنه مسحور مجنون وأنهم لما رأوا ذلك بايعوا ابراهيم بن المهدي بالخلافة فقال المأمون إنهم لم يبايعوا له بالخلافة وإنما صيروه أميرا يقوم بأمرهم على ما أخبره به الفضل فاعلمه أن الفضل قد كذبه وغشه وأن الحرب قائمة بين ابراهيم والحسن ابن سهل » وقد وافق ولى العهد فيما ذكره عن الفضل بن سهل عدد من الرجال من بينهم ابن أخت الفضل ، ولما عرف الزعيم الفارسي ما فعله هؤلاء الرجال ألحق بهم العديد من ألوان التعذيب ، ولما سأل على الرضا المأمون في أمرهم كان رده « أنه يدارى ما هو فيه » .

وهذه الفقرة الوجيزة تبرز لنا الأساس الذي كان يحكم حركة المأمون في سياسته تجاه الفضل بن سهل ، وأعني به أسلوب المداينة ، والمناورة والمداراة كما هو واضح من تعبير الخليفة نفسه ، والباحث يرى أن المأمون قد لجأ إلى هذا الأسلوب لكي يغطي ضعفه في مواجهة الفضل بن سهل ، إذ أن جميع القوى في تلك الفترة كانت مع الزعيم الفارسي ، فلم يكن من الحكمة إذن مجاهرته بالعداء ، بل كان الطريق الوحيد أمام المأمون هو المداراة ، والتدبير ضد الفضل بن سهل في أقصى درجة من السرية والخفاء ، وذلك إذا أراد لتدبيره النجاح ، وهذا ما حدث من المأمون بالفعل ، فقد أوعز بسرية تامة بقتل الفضل بن سهل ، وفعلًا قتل الزعيم الفارسي في إحدى الليالي عند مدينة سرخس (١) - كما بينا ذلك سابقاً - والقوم في رحلتهم التاريخية المشهورة من مرو إلى بغداد سنة ٢٠٢ (٢) ، وهي رحلة انفكاك من التسلط الفارسي إلى حظيرة السيادة العربية ، وفي هذه الرحلة مات ولي العهد العلوي على الرضا وكان ذلك في طوس ودفن بجوار هارون الرشيد ، وقيل مات من عنب أفرط في أكله وقيل مات مسموماً ، والمرجح أن للمأمون يدا في موته وموت الفضل (٣) ، ومما يؤيد القول بأن المأمون هو الذي دبر قتل على الرضا أنه كتب لأهل بغداد يخبرهم بموته وقال : « إنما نقمتم على بسببه وقد مات (٤) وذلك ليعيد ولاء أهل بغداد له ويتخلص من منافس خطير ، أما الفضل فقد قدمنا أن قاتليه اعترفوا أن المأمون هو الذي أمرهم بذلك (٥)

(١) مخطوطة التاريخ المظفرى ورقة ١١٤

(٢) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٣ ص ٢٤٩

(٣) مخطوطة التاريخ المظفرى ورقة ١١٤

(٤) أبو الفداء / المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ٢٢ - ٢٤ .

(٥) انظر الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٢٥٠ ، أبو الفداء / المختصر ج ١ ص ٢٣ .

(م ٢٢ - أثر الفرس)

ومما لاشك فيه أن تصرفات البرامكة كانت ماثلة أمام المأمون ،
وأنه كان يربط بينها وبين تصرفات وزيره الفضل بن سهل ، ولاشك
أن المأمون كان يرى أن معالجة الخطر الذي كان يمثله الفضل بن سهل
يكن في الأسلوب الذي استخدمه من قبل المنصور مع أبي مسلم الخراساني ،
وهارون الرشيد مع البرامكة

* أهداف الفضل وتطلعاته السياسية :

لقد أثبتت المصادر على الفضل بن سهل العديد من التصرفات
التي تؤكد من مجملها أن هذا الزعيم الفارسي كان يسير على مخطط
يستهدف في النهاية السيطرة على الدولة ، وذلك على حساب الخليفة
المأمون ، والذي غاب عن الفضل إدراكه هو ما يمكن أن يقوم به
المأمون من أعمال مضادة تستهدف إفساد هذا المخطط المعادي ، وحماية
الدولة العباسية والسيادة العربية

ومن التصرفات التي لوحظت على الفضل ما سبق أن أبرز أبعاده
نعيم بن خازم ، وهو من كبار رجالات خراسان الذين استشارهم المأمون
في البيعة لعل بن موسى العلوي وهي البيعة التي كانت من تخطيط
الفضل بن سهل ، فقد قال نعيم للفضل بن سهل في حضرة المأمون : (١)
إنك إنما تريد أن تزيل الملك عن بني العباس إلى ولد علي ، ثم تحتال
عليهم فتصير الملك كسرويا ولولا أنك أردت ذلك لما عدلت عن لبسة
علي وولده ، وهي البياض إلى الخضرة ، وهو لباس كسرى والمجوس (٢)

(١) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٣١٢ .

ورغم أن المأمون واصل انسياقه مع الفضل بن سهل وخطته فقد أثبتت الأحداث التي وقعت بعد ذلك (١) أن انسياق الخليفة مجرد مناورة سياسية ، فالحكمة تقتضى منه وهو المغلوب على أمره ، أن يظهر الانسياق حتى تحين الفرصة المواتية

وإلى جانب خازم بن نعيم فقد لاحظنا فيما سبق أن القائد العربي هرثمة بن أعين هو الآخر أدرك خطورة الاتجاه الذي كان يسير فيه الفضل بن سهل بالدولة العباسية ، وقد صرح هرثمة المأمون برأيه صراحة فيما يدبر عليه الفضل ، وما يكتّم عليه من الأخبار إلا أنه واجه مصيراً محتوماً هو الموت ، وكان سببه الفضل بن سهل (٢)

وقد ذكرنا في الفقرة السابقة أن ولي عهد المأمون على الرضا أوضح للمأمون تسلط الفضل وحجره عليه ، وكتّم الأخبار عنه وأنه كذب عليه وغشه (٣) ، ولاشك أن الفضل بهذه الخطة وهذه السياسة يتطلع إلى تحقيق مكاسب سياسية يرفع بها قدره ويحقق بها أغراضه في بعث المجد الفارسي وإحيائه

وما ذكره الجهشيارى وهو بصدد إبراز ما كان يرمى إليه الفضل ابن سهل من إحياء السيادة الفارسية قوله عن الفضل : (٤) « وكان ذو الرياستين على كرسي مجنح ويحمل فيه إذا أراد الدخول على

(١) من هذه الأحداث انتقاله إلى بغداد وتخلصه من الفضل بن سهل وأيضاً من ولي عهده العلوى

(٢) انظر الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٣١٧ - ٣١٨ ، ابن الأثير / الكامل

ج ٦ ص ٣١٤ ، مخطوطة تاريخ الجزرى ورقة ٧٥

(٣) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٢٤٩

(٤) الوزراء والكتاب ص ٣١٦ .

المأمون فلا يزال يحمل حتى تقع عين المأمون عليه ، فإذا وقعت وضع الكرسي ، ونزل عنه ، فمشى ، وحمل الكرسي حتى يوضع بين يدي المأمون ، ثم يسلم ذو الرياستين ، ويعود فيقعد عليه ... انما ذهب ذو الرياستين في ذلك إلى مذهب الاكاسرة ، فإن وزيرا من وزرائها كان يحمل في مثل ذلك الكرسي ويقعد بين أيديها عليه ، ويتولى حمله اثني عشر رجلا من أولاد الملوك .

ويقول الدكتور الدوري (١) : « ولعل الجناحين هما أجنحة أهورا مزدا إله الخير عند الزردشتية »

ومما لاشك فيه أن المأمون قد حاول تفسير سلوك الفضل بن سهل ، وأنه عرف أن الفضل انما يريد التشبة بوزراء الأكاسرة ، ثم انه فهم المغزى الذى يرمى اليه هذا التشبه ، ولا شك انه مغزى لايتفق وصالح دولة المأمون ، وإذا كان استخدام الفضل لكرسى بهذا الأسلوب هو بداية فعلى المأمون دفاعا عن دولته أن يقضى على هذه البداية قبل أن تستفحل ويصعب عليه بالتالى مواجهتها وتم له ذلك

هذه هى بداية آل سهل مع الدولة العباسية ، وهذه هى أهم التطورات التى تشكل تاريخ العنصر الاساسى البارز فيهم الفضل ابن سهل (٢) ، وهذه هى أهم الملامح التى ترسم التطورات السياسية التى كان يسعى إليها ، ومما لاشك فيه أن قضاء المأمون على الفضل بن سهل فى هذا الإطار يعتبر نقطة مضيئة فى تاريخ هذا الخليفة ، وواحدا

(١) العصر العباسى الأول ص ٢١٢ .

(٢) أما الحسن بن سهل فسوف أتحدث عنه فى موضوع لاحق .

من اتجازاته السياسية الهامة ، وهو في هذا يكاد يقف في مستوى واحد مع كل من المنصور ، والرشيد

ولعل من نافلة القول في ختام هذه النقطة أن نقول : بوجود قدر كبير من التشابه بين أبي مسلم الخراساني ، والبرامكة ، والفضل ابن سهل ، ومحور هذا التشابه أن كلا منهم قد أصبح يشكل خطرا على الدولة العباسية ، وذلك للتطلعات التي كان يسعى إليها ، والتي لم يكن لها أن تتحقق إلا على حساب الخلافة العباسية ، فلاغربة إذا أن يتم التخلص من كل منهم بالطريقة التي دونتها المصادر ، والا فما هو البديل الذي كان من المتوقع أن يكون ، كان البديل هو سيطرة الزعيم القارسي الخراساني ، وسيطرة البرامكة ، وسيطرة الفضل بن سهل على الدولة العباسية ومثل هذا البديل لم يكن يسمح به خليفة من الخلفاء الثلاثة ، الذين قدر عليهم أن يواجهوا هذه التطلعات الفارسية بما فيها من شر محقق وأخطار جسام

• المأمون والحسن بن سهل :

قبل أن نسدل الستار على أسرة آل سهل ممثلة بزعيمها الفضل ابن سهل ، لابد أن نتحدث قليلا عن أخيه الحسن ، لما له من دور بارز على مسرح السياسة في هذه الحقبة

التحق الحسن بخدمة المأمون عن طريق البرامكة كما كانت الحال بالنسبة لأخيه الفضل ، وتزوج المأمون من ابنته بوران (١) ،

(١) ابن الوردي / تضة المختصر ج ١ ص ٣١٩ ، ابن تقي بري / النجوم الزاهرة

وقد أنفقت في هذا الزواج أموال طائلة تجاوزت الحدود المعقولة (١) وكان للحسن حظوة عند المأمون وكان يأنس به ويستشير به في الأمور المعضلة (٢) ، وقد أسند إليه ولاية جميع البلدان التي فتحها طاهر ابن الحسين في فارس والأهواز والعراق والحجاز واليمن وكور الجبال (٣) ولما قتل الفضل بن سهل رجع المأمون إلى أسلوب المداينة والمداواة مع أخيه الحسن - كما مر بنا - ، وكان من المتوقع أن يكون الحسن أول المطالبين بدم أخيه وكانت القوات الفارسية تنتصره وتوازره لأول نداء يدعوها إلى الاخذ بثأر سيدها وزعيمها المغتال ، ولكن الطريقة التي سلكها المأمون أطفأت حدة غضب الحسن بن سهل وأفسدت عليه كل تدبير وذلك أنه كتب إليه يعزیه باخيه وأعلمه ما أصابه من المصيبة بقتل الفضل وبعث برءس قتله إليه وأخبره أنه قد استوزره مكانه (٤) .

وفي إحدى جلسات الحسن مع الخليفة المأمون ، سأله المأمون عما إذا كان له حاجة وأجابه الحسن قائلاً « نعم يا أمير المؤمنين تحفظ على من قلبك ما لا أستطيع حفظه إلا بك » (٥)

ومن هذا النص نستنتج تخوف الحسن من مصير أخيه لأنه فيما يبدو يدرك عدم اطمئنان المأمون إلى استمراره على وزارته ويخشى أن ينتهى إلى ما انتهى إليه أخوه

(١) انظر مخطوطة المظفرى ورقة ١٢١

(٢) ابن طباطبا / الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٨٠ - ١٨١

(٣) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٢٢٦ ، الصفدى / الوافى بالوفيات مصور ج ١٢ ص ١٤

(٤) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٢٥٠ ، مخطوطة : رياض الأنس لعقلاء الأنس ورقة ٩٠

(٥) ابن خلكان / وفیات الأعیان ج ٢ ص ١٢٠ ، الصفدى / الوافى بالوفيات مصور

إلا أنه أستمّر على وزارة المأمون حتى أصيب بمرض أقعده في بيته
فأسند وزارته إلى أحمد بن أبي خالد (١)

وفما يبدو أن المأمون قلص من نفوذه وأنه لزم بيته لما رأى أن
الخليفة سيصرفه عن الوزارة وليس السبب الرئيسي في لزومه البيت
هو المرض (٢)

ومهما يكن من شيء فقد لزم الحسن بيته إلى أن أدركته منيته
في خلافة المتوكل سنة ٢٣٦ هـ (٣).

(١) انظر الصفدي / الوافي بالوفيات مضمون ج ١٢ ص ١٥

(٢) الدوري / العصر العباسي الأول ص ٢١٤ ، اليوزبكي / الوزارة نشأتها وتطورها

ص ٦٥ - ٦٦

(٣) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ١١ ص ٤٤

الطاهريون

* بين المأمون وطاهر بن الحسين :

طاهر بن الحسين الذى ينسب إليه الطاهريون ويكى بذى
اليمينين (١) يقول عنه المختصر (٢) : « ولد ببوشنج من أعمال مرو
سنة ١٥٩ ، ونشأ بهذه البلدة وكان شهما شجاعا أديبا لمع نجمه في
أعماله العظيمة التى قام بها في قيادة الجيوش الخراسانية لحرب الأمين
والجيوش العراقية ، وظفر ظفرا عظيما وقاد الخلافة للمأمون مذلة
واشتهر ذكره وطار صيته » ، ويتفق طاهر بن الحسين مع آل سهل
في أن البيتين من صنائع البرامكة ، والبرامكة بدورهم يمكن أن نقول
عنهم إنهم من صنائع أبي مسلم الخراساني ، وتاريخ هذه البيوت الأربعة
تاريخ للتطلعات السياسية الفارسية ، وهى التطلعات التى لم يكن لها أن
تتحقق إلا على حساب الخليفة المعاصر ، بل وعلى حساب استمرار
سيادة البيت العباسي ، إن لم يكن استمرار الخلافة العباسية كنظام
سياسي

وإذا كان التاريخ قد سجل للخليفة المنصور أنه نجح في تجنيب
الدولة العباسية المخاطر التى كانت ستجرها تطلعات الزعم الخراساني ،
فإن الرشيد حفيد المنصور ، قد سجل التاريخ عنه هو الآخر أنه أنقذ

(١) سمي بذلك لأنه قاتل بسيفين / انظر مخطوطة التاريخ المظفرى ص ١٠٧

(٢) تاريخ الأمم الإسلامية ج ٢ ص ١٠٣

الدولة العباسية من الانزلاق الذى كانت تريده لها دولة البرامكة

واستمرارا لهذا الخط يستطيع الباحث أن يقول عن المأمون : إنه قد حرر الدولة العباسية من براثن السيطرة الفارسية التى أحاطت بها عقب الحرب الأهلية التى تمثلت فى تسلط آل سهل كما تبين لنا ذلك فى الصفحات السابقة والذى تضيقه الحقائق التاريخية إلى ماسبق هو أن التطلعات السياسية للفرس فى السنوات الأولى من عهد المأمون لم يكن يمثلها آل سهل فقط ، بل كان يمثلها أيضا ، ولكن بدرجة أقل طاهر بن الحسين وأسرته ، ومن ثم فإن المأمون كان عليه أيضا أن يقضى على هذا النفوذ المتمثل فى طاهر بن الحسين ويبعد خطره .

وقد سلك المأمون فى تخلصه من طاهر بن الحسين طريقا يختلف عن الطريق الذى سلكه مع آل سهل ، وقد نشأ هذا الاختلاف عن التفاوت فى درجة الخطورة فقد اتضح لنا مما سبق أن النزعة الفارسية والميول العنصرية قد سيطرت على السياسة التى سار عليها الفضل بن سهل فى تسيير أمور الدولة العباسية ، أما طاهر بن الحسين فان جرمه فى نظر المأمون هو إقدامه على الأمر بقتل الامين ثم يأتى بعد ذلك خطره السامى ، أى أن القضية مع الفضل بن سهل كانت تتعلق بصميم كيان الدولة العباسية ، أما مع طاهر بن الحسين فإنها قضية شخصية فى الدرجة الأولى

وهكذا اختلفت الاسباب فكان من الضرورى أن تختلف المعالجة وهنأ ما أثبتته التاريخ للمأمون بالفعل ، فإنه وكما سبق أن تبين لنا ، قد عاجل الفضل بن سهل ، وتخلص منه وهو فى الطريق إلى بغداد ،

مكتبة المهتدين الإسلامية

ثم استعمل أسلوبه المشهور في المداراة مع أخيه الحسن بن سهل ، أما طاهر بن الحسين فقد أرجأ المأمون معالجة قضيته إلى ما بعد العودة إلى بغداد ، بل وإلى سنة ٢٠٧ هـ .

ويحسن بنا قبل أن نتحدث عن الطريقة التي عالج بها المأمون المشكلة مع طاهر بن الحسين أن نتعرف أولاً على دور هذا الزعيم الفارسي في قتل الخليفة الأمين وحول هذه القضية نقول : إن المصادر التاريخية تؤكد أن طاهر بن الحسين قائد قوات المأمون قد أقدم على قتل الخليفة الأمين دون إذن مسبق من المأمون في ذلك (١) ، أقدم القائد الفارسي على هذا العمل الخطير ، وذلك على الرغم من أن الأمين قد سأل أن يحمله القوم إلى أخيه ليرى فيه رأيه ، ولكن طاهر بن الحسين أصم أذنيه عن طلب الخليفة المقهور وتوسلاته ، وأمر رجاله بقتل الأمين ابن الرشيد (٢) وهو أول حدث من نوعه في تاريخ الدولة العباسية ، فلأول مرة يقتل واحد من العسكريين الفرس الخليفة الشرعي .

ويقول ابن تغري بردي : (٣) « لم يكن قتل الأمين بإرادة أخيه المأمون وإنما اقتحمه طاهر بن الحسين وقتله من غير إذن المأمون ، وحقد المأمون عليه لذلك » . ولما حمل رأس الأمين إلى أخيه المأمون في خراسان ووضع بين يديه بكى وتأسف عليه (٤) .

(١) ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٢٨٥ - ٢٨٧ ، ابن تغري بردي / النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢١٤ .

(٢) المسعودي مروج الذهب ج ٣ ص ٣٩٩ .

(٣) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٤١٤ .

(٤) المسعودي / مروج الذهب ج ٣ ص ٤١٤ .

ويستطيع الباحث المعاصر أن يرجح أن القائد الفارسي قد أقدم على هذه الفعلة لكي يضع المأمون أمام الأمر الواقع ، ولعله أقدم على ذلك مدفوعا برغبة الانتقام من البيت العباسي ، البيت الذي تتعلق في رقاب رجاله الكثير من الدماء الفارسية ، أولعل طاهرا بهذه القتلة كان ينفذ نبؤة يحيى البرمكي ، وهي النبوءة التي قالها حينما أخبر بان الرشيد قد قتل ابنه جعفر ، فقد قال الزعيم البرمكي آنذاك : (١) « وهكذا يقتل ولده » .

مهما يكن من أمر فإن المأمون بعد أن انقشع ظلام الحرب الأهلية وهدأت النفوس نسبيا أخذ يشعر بفضاعة الجرم الذي أقدم عليه طاهر ابن الحسين بقتله الأمين بل أثبتت المصادر أن المأمون كان على نية الانتقام من طاهر بن الحسين بسبب ارتكابه لهذه ، الجريمة (٢) ، ويقول ابن طيفور : (٣) « سال حسين الخادم المأمون عن سبب بكائه لما دخل عليه طاهر بن الحسين قائلا : « لم بكيت حين دخل عليك طاهر بن الحسين ؟ قال (المامون) : « يا حسين وكيف عنيت بهذا حتى سألتني عنه ؟ » قال (حسين) : « لغمي بذلك » . قال (المأمون) : « هو أمر إن خرج من رأسك قتلتك » قال (حسين) : « ياسيدى ومتى أخرجت لك سرا ؟ قال المامون : « انى ذكرت محمدا أخي وما ناله من الذلة فخنقتني العبرة فاسترحت إلى الإفاضة ، ولن يفوت طاهرا منى مايكره » .

ومن هذا الحوار يتضح عزم المامون على الانتقام من طاهر بن

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٨٦ ، الجهمشيارى / الوزراء والكتابه ص ١٥٤

(٢) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٢٥٦-٢٥٧ ، ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٣٦١

(٣) ابن طيفور / بغداد فى تاريخ الخلافة العباسية ص ١٧ .

الحسين وعلى الرغم من ذلك بالغ في تقديره عند دخوله بغداد ربما ذلك لأن المأمون لم تتوثق قواعد دولته بعد ولان طاهرا يتبعه جيوش كبيرة تدين بالولاء له ، ويخشى المامون انتقاضه والثوب به أو وثوب اتباعه في حالة قضائه عليه لذلك داهنه حتى تحين اللحظة المناسبة للفتك به ويقول ابن طيفور : (١) كلما دخل المامون بغداد ضمن لطاهر بن الحسين قضاء كل مايساله من حاجة ، وأجابه إلى ما طلبه وكان من ضمن ذلك توسطه بالعفو عن الفضل بن الربيع ألد أعداء المأمون (٢) ومن المرجح أن توسط طاهر للفضل عند المامون ليكون له يد عنده حتى يتحاشى وشاياته المعروف بها لو تحسنت علاقته مع المأمون والتي ساعدت على الإيقاع بالبرامكة وكان لها دور في المباحدة بين الأمين والمأمون .

ولما أخذ الموقف يتكشف بين الرجلين بين الخليفة العباسي المأمون ، وقائد جيشه الفارسي طاهر بن الحسين ، أراد الاخير أن ينجو بنفسه ويبتعد عن متناول يد المأمون لاسيا بعد ما أخبره خادم المأمون حسين بما يببئ له المأمون (٣) .

وطلب طاهر بن الحسين من وزير المأمون أحمد بن أبي خالد الوزير الفارسي أن يغيبه عن عين المأمون ، وأن يتوسط لدى الخليفة بتوليته خراسان ووعدته بذلك وقابل الوزير أحمد بن أبي خالد المأمون في غده وقال له : مانمت الليلة قال المأمون ولماذا ويحك ؟ قال : لانك وليت غسان خراسان ، وهو ومن معه أكلة رأس ، فاخاف أن يخرج

✓ (١) المصدر السابق ص ١٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٦ - ١٠ .

(٣) المصدر السابق ص ١٧

عليك خارجة من الترك فتصطلمه ، فقال المأمون : لقد فكرت فيما فكرت فيه قال المأمون : فمن ترى ؟ قال : طاهر بن الحسين ، قال المأمون : ويلك يا أحمد هو والله خالع قال : أنا الضامن له ، قال له المأمون : فأنفذه وعمد له على خراسان والجبال من حلوان إلى خراسان وكان شخوصه من بغداد لخراسان في نهاية شهر ذى القعدة سنة ٢٠٥ هـ (١) .

وفي سبيل تحقيق اسناد ولاية خراسان لطاهر بن الحسين وموافقة الخليفة على ذلك سلك الوزير الفارسي بتأثير العصبية الفارسية طريقا معوجا هو طريق الكذب والخداع حيث تظاهر للخليفة أنه لم ينم من غمه لتولية غسان بن عباد خراسان لتخرفه من نتائج ذلك وما كان من ذلك شيء إلا أنه تمهيدا لخلع غسان من ولاية خراسان واسنادها للقائد الفارسي طاهر بن الحسين وتم له ذلك على الرغم من تأكيد الخليفة المأمون أنه خالع ، ولكن طبق المأمون سياسته المعروفة في المداراة والمداينة مع طاهر بن الحسين منتظرا للوقت المناسب للفتك به

وهناك رواية أخرى ينقلها ابن طباطبا تفيد أن المأمون هو الذى استشار وزيره أحمد بن أبي خالد في توليه طاهر بن الحسين على خراسان كما مر بنا في فصل الوزراء فنصح بذلك ومؤدى الرواية (٢) « كان المأمون لما ولى طاهر بن الحسين خراسان استشار فيه أحمد ابن أبي خالد فصوب أحمد الرأى في تولية طاهر فقال المأمون لأحمد : إني أخاف أن يغدر ويخلع ويفارق الطاعة فقال أحمد : الدرك على ، فولاه المأمون ، فلما كان بعد مدة أنكر المأمون عليه أمورا ،

(١) انظر المصدر السابق ص ١٧ - ١٨ ، ابن طباطبا / الفخرى في الآداب السلطانية

ص ١٨٢ ، ابن تغرى بردى / النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٧٨ .

(٢) ابن طباطبا / الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٨٢ .

وكتب كتابا يتهدده فيه فكتب طاهر جوابا غلظ فيه للمأمون ، ثم نزع اسمه من الخطبة ثلاث جمع فبلغ المأمون ذلك ، فقال لأحمد بن أبي خالد : أنت الذى أشرت بتولية طاهر ، وضمنت ما يصدر منه ، وقد ترى ما صدر منه من قطع الخطبة ، ومفارقة الطاعة ، فوالله لئن لم تتلطف لهذا الأمر وتصلحه كما أفستته ، والا ضربت عنقك ، فقال أحمد : يا أمير المؤمنين طب نفسا فبعد أيام يأتيك البريد بهلاكه ، ثم إن أحمد بن أبي خالد أهدى لطاهر هدايا فيها كوامخ مسمومة وكان طاهر يحب الكوامخ فأكل منها فمات من ساعته »

والرواية الأولى تبدو هى الراجحة لان فكرة تولية طاهر خراسان لانتبعت من المأمون وهو يعرف خطره وما يببته وفي خراسان مركز قوته كما أن الطبرى يروى أن طاهر وجد فى نفس الليلة التى أقدم فيها على قطع اسم المأمون من الخطبة ميتا وهذه الرواية تقول إنه قطع اسمه من الخطبة ثلاث جمع (١)

واختيار خراسان من قبل طاهر بن الحسين له دلالة الخاصة فهذا الاختيار استمرار للسياسة التى حاول أبو مسلم الخراسانى أن يسير عليها فى ضراعه ضد المنصور ، وأيضا للنوايا التى حملت البرامكة ، فكأن الفضل بن يحيى فى خراسان جيشا ضخما يدين له ولأسرته بالولاء فسيأهم العباسية ، وأيضا لما سار عليه الفضل بن سهل ، حينما أخذ المأمون إلى خراسان ، وحمله على البقاء فيها فى الوقت الذى تفجرت فيه مشكلة ولاية العهد ، وحى بعد أن تم القضاء على الأمين .

ونرجع إلى الوراثة فنجد أن المنصور قد أصر على الحيلولة بين أبي مسلم الخراساني والعودة إلى خراسان ونجح في ذلك ، وبالتالي أمكنه التخلص من أبي مسلم ، والرشد أيضاً نجح في تصفية الجيش الخراساني الذي جنده الفضل بن يحيى ، وبعد سنوات كان نجاحه في القضاء على البرامكة ودولتهم ، والمأمون نفسه كان على وعي كامل بكل أبعاد هذا الدرس ، ومن ثم كانت مسيرته التاريخية من مرو إلى بغداد ، وأيضاً تخلصه البارع من دولة الفضل بن سهل

✽ نهاية طاهر بن الحسين :

من النصوص السابقة يتضح أن المأمون قد سيطرت عليه فكرة التخلص من طاهر بن الحسين ، ومن المرجح أنه حاول ألا يترك له فرصة الذهاب إلى خراسان ولكن سياسة المداراة والمداينة والتريث ، التي اتبعها المأمون مع الفضل بن سهل ومن ثم مع أخيه الحسن بن سهل أتبعها مع قائده طاهر بن الحسين والذي قاد أخطر الجيوش وأعظمها وساعد على تحقيق دولة المأمون بغض النظر عن الأهداف التي كان يطمح إليها من وراء جهوده وتضحياته في سبيل تحقيق الانتصارات والمكاسب التي تحققت على يده ، ومكنه من الخروج إلى خراسان وولاه إياها وكان ذلك بتأثير ومشورة وزيره أحمد بن أبي خالد - كما مر بنا - على الرغم من تأكيد المأمون من خلعه ، وعزم المأمون على الاقتصاص منه والفتك به كما رأينا ، وقد رأى المأمون أن من الحكمة والسياسة تتبعه في خراسان والقضاء عليه

وكان لطاهر شبه استقلال بخراسان يؤدي الخراج عن عمله ، عليه وإلى برید المد المأمون بأخبار طاهر ، وقد عين طاهر حاجبا له
مكتبة المهتدين الإسلامية

ورئيسا لحرسه ، وعمل دواوين للخراج والتوقيع والخدام ثم أسند الإشراف عليها إلى أناس من ثقافته (١) كما عين ولاية للبلدان التابعة له (٢) ، ونظم الأمور وساسها بقوة وكان له ما يشبه الاستقلال وقال طاهر : في إحدى المناسبات بعد توليته خراسان : « لم يكن لي غاية بعد ما منح الله وأحسن إلا أن أرجع بنعمتي وجاهي وعزى إلى بلدي (خراسان) وداري واخواني وجيراني ومعارفي ليشاركوني في ذلك كما شاركوني في الاعتداد به ، وليغيظ العدو والحاسد من ذلك ما يغيظ (٣) » ، وكان طاهر يتمنى أن يخطب على منبر مرو ، وهكذا تآبى عنصرية طاهر إلا أن تشده إلى بلده ، وكانت غايته أن يرجع بعزه وجاهه إلى خراسان ، ولاشك أنه كان يخطط للاستقلال بخراسان ، ومن ثم احياء الامبراطورية الفارسية القديمة التي قوض المسلمون أركانها ، وقد تاكد مخطط طاهر العدواني عندما أسقط اسم الخليفة المأمون في خطبة الجمعة (٤) وقد حدث ذلك في شهر جمادى الأولى سنة ٢٠٧ وكتب والى البريد إلى الخليفة المأمون يخبره بذلك (٥)

وتؤكد الروايات أنه وجد في نفس الليلة التي أقدم فيها على هذا العمل ميتا (٦) ، وتكاد المصادر تجزم أن هذه الميتة لم تكن طبيعية ، وأن المأمون أو وزيره أحمد بن أبي خالد كان وراء هذه النهاية (٧) .

(١) ابن طيفور / بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ص ٥٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٠

(٣) المصدر السابق ص ٦٢

(٤) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٢٦٥ ، ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٣٨٢ .

(٥) ابن طيفور / بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ص ٦٤ .

(٦) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٢٦٥ .

(٧) ابن طباطبا / الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٨٢ .

الدولة الطاهرية

لقد عاد المأمون إلى أسلوب المناورة والمداهنة والمداراة الذى كثيرا ما استخدمه لتغطية التصرفات التى كان يرى فى كشفها إثارة للمتعاب ضده ... هذا الأسلوب حمل المأمون على أن يسند حكم خراسان إلى طلحة بن طاهر بن الحسين (١) وكان ذلك أيضا بمشورة وزيره أحمد ابن أبي خالد (٢)

أما الابن الثانى لطاهر بن الحسين عبد الله فكان شهما شجاعا قاد عدة جيوش وأبلى فى سبيل الدولة العباسية فى معارك متعددة بلاء حسنا وكان له أثر فى دولة المأمون ، وقد ولاه المأمون سنة ٢٠٥ الجزيرة (٣) ، قبل ذلك كان يتولى حرس المأمون (٤) ، ولما خرج نصر بن شبث على المأمون أسند إليه المأمون محاربته ، وقام بما كلف به خير قيام ، ورد نصراً إلى الطاعة بعد حرب دامت خمس سنوات (٥) وفى سنة ٢١١ هـ خرج والى مصر عبید الله بن السرى على المأمون وحشد قواته ، ولما بلغ المأمون خبره استدعى عبد الله بن طاهر ، وكان

(١) يقول براون فى كتابه تاريخ الأدب فى ايران ص ١٩ : « يمكن أن يقال إن أول خطوة اتخذت لإضعاف هذه الامبراطورية الكبيرة وزلزلة أركانها هى الخطوة التى خطاها المأمون بن هارون الرشيد سنة ٢٠٥ هـ عندما كافأ قائده طاهر بن الحسين المعروف (بنى اليميين) بولاية خراسان وجعل حكومتها له ولا ولاده من بعده فاستمروا يتوارثونها » .

(٢) الطبرى . تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٢٦٥

(٣) ابن تغرى بردى / النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٧٨

(٤) المقرئى / مخطوطة منتخب التذكرة فى التاريخ ورقة ١٠٣

(٥) ابن طيفور / بغداد فى تاريخ الدولة العباسية ص ٧٢ - ٧٦ .

(م ٢٤ - أنر الفرس)

قد فرغ من قتال نصر بن شيبث ، وقال له : « قد رأيت توليتك مصر ومحاربة الخارج بها فسمع عبد الله وأطاع ، وعقد له المأمون لواء مكتوبا عليه القاب عبد الله بن طاهر ، وزاد فيه يا منصور وخرج عبد الله من العراق بجيوشه متجها إلى مصر ، ولما قرب منها تهيأ له عبيد الله ابن السرى ، وعبداً جيوشه ، وخندق على الجيش ، والتقى الجيشان وتقاتلا قتالا شديداً ، وهزم عبيد الله بن السرى أمير مصر ، وانسحب وتبعه عبد الله بن طاهر بعساكره ، وحاصره وضيق عليه حتى اضطره إلى طلب الامان ، ورضى بالشروط القاسية التي أملاها عليه ثم أعفاه عبد الله من الشروط ، وخرج ابن السرى إليه بالامان ، وتولى امانة مصر ، وقد قمع المفسدين ، ومهد البلاد ورتب أحوالها وأقام على إمرة مصر سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام ، وخرج منها متجها إلى بغداد ، واستقبل استقبالاً عظيماً وكان من ضمن من استقبلوه العباس بن المأمون ، والمعتمد ، وأعيان الدولة ، وأكرمه المأمون (١) وأسند إليه أعمالاً هامة ، كان آخرها ولاية خراسان بعد وفاة أخيه طلحة واستمر على هذه الولاية حتى توفي سنة ٢٣٠ هـ (٢) ١٩

٢٤٠
١٩

ولاشك أن المأمون استمرراً سياسة المدارة والمداينة واستمر يطبقها مع زعماء الفرس وعقبهم ، واستفاد من خبراتهم ومواهبهم ولكن بحذر وحساسية لعلمه بما يكنه الفرس من حقد دفين للعرب (٣)

(١) ابن تغرى بردى / النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٨١ - ١٨٢ ، ٢٠٠ - ٢٠١ ، مخطوطة التاريخ المظفرى ورقة ١٢١

(٢) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٠١ ، ابن مسكويه / تجارب الأمم ج ٦ ص ٤٦٣ - ٤٦٤

(٣) ويتجلى ذلك فى النصوص الكثيرة التى سجلها المؤرخون ومن ذلك مادونه المسعودى فى كتابه مروج الذهب ج ٣ ص ٤١٤ ونصه « أمر المأمون بنصب الرأس

وكان المنتظر أن يقضى المأمون على ابني طاهر بن الحسين طلحة وعبد الله بعد تدبير اغتيال والدهما ، إلا أنه أبقى عليهما كما أبقى قبلهما على الحسن بن سهل ، واستفاد من الجميع ولكن بحذر شديد .

وقد أكد توارث زعماء هذه الأسرة قيام ما يعرف في التاريخ بالدولة الطاهرية وهي الدولة التي تجسدت فيها ، وللمرة الأولى فكرة احياء الدولة الفارسية ، ومن هذه الزاوية فان الطاهريين قد نجحوا فيما سبق أن أخفق فيه كل من أبي مسلم الخراساني ، والبرامكة ، وآل سهل ، ويقول براون (١) « وتعتبر الدولة الطاهرية أولى الدول الفارسية التي قامت بعد الإسلام » ومن المرجح أن هذه النتيجة كانت معاكسة لما استهدفه المأمون وقد استمرت الدولة الطاهرية حتى سنة ٢٥٩ حيث سقطت على يد يعقوب بن الليث الصفار مؤسس الدولة الصفارية (٢)

* * *

وبعد فهذه هي الأسرات التي تحكمت أو تسلطت على الدولة العباسية ، وكما هو واضح فإن الفكرة قديمة ترجع إلى السنوات المبكرة من تاريخ الدولة العباسية ، ولعلها ترجع إلى فترة الدعوة العباسية ، وقد شعر الخلفاء بالخطر من وراء هذه الفكرة ، ومن ثم فانهم قاوموها ،

الأمين (بعد احضاره للمأمون مرسلًا من طاهر بن الحسين) في صحن الدار على خشبه ، وأعطى الجند ، وأمر كل من قبض رزقه أن يلعنه ، فكان الرجل يقبض ويلعن الرأس ، فقبض بعض المعجم عطاءه فقيل له : المن هذا الرأس ، فقال : لمن هذا ولعن والديه ، وما ولد ، وأدخلهم في كذا وكذا من أمهاتهم ، وكان المأمون يسمعه يلعنه إلا أنه تغافل عنه .

(١) براون / تاريخ الأدب في إيران ص ١٩

(٢) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ١١ ص ٣٢ ، بن خلدون ج ٣ ص ٣٠٩ .

وكان النجاح حليف المنصور في ذلك ، كما كان حليف الرشيد أيضا ، أما المأمون فإن نجاحه كان جزئيا ، نجح مع آل سهل ، ولم ينجح مع الطاهريين ، وإخفاق المأمون مع الطاهريين مرده الأسلوب الذى كثيراً ما لجأ إليه ، وأعنى به أسلوب المناورة والمداهنة والمداراة أما النتيجة المؤكدة لهذا الإخفاق فهو بروز الدولة الطاهرية ، ومثل هذه الدولة كانت الامل الذى تطلع إليه كل من أبى مسلم والبرامكة والفضل ابن سهل ، كما غدت بداية لسلسلة من الدويلات برزت خلالها فكرة احياء الدولة الفارسية القديمة ، وقد وصل الامر بواحدة من هذه الدول ، وهى الدولة البويهية ، أن سيطرت سيطرة مباشرة على بغداد والدولة العباسية ■

الفصل السادس

الحركات الفارسية المعادية

الفرس بين موقفين

حقيقة قد أسهمت العناصر الفارسية بدور بارز وفعال في انتصار العباسيين ، وعلى رأسهم رجل الدعوة الأول أبو مسلم الخراساني ، وإلى جانب هذه الحقيقة توجد حقيقة أخرى ، تلك الحقيقة هي أن الدولة العباسية قد جوبهت بالعديد من الحركات المعادية لها سياسيا ودينيا ، ومن العجب أن تكون هذه الحركات قد أثّرت بأيدي الفرس وتدبيرهم

لقد ناصر الفرس الدعوة العباسية وآزروا دولة العباسيين بعد قيامها فرحين بزوال العصر الاموي الذي لم يكن لهم فيه شيء من النفوذ والسلطان بل كانوا يعانون فيه من استعلاء العرب عليهم ، وتفضيلهم للعناصر العربية ومستبشرين بالدولة العباسية الجديدة التي كان لهم الدور الكبير في إقامتها لما يرجونه في ظلها من معاملة كريمة ومكانة طيبة ونفوذ عظيم ، وكما لاحظنا في الفصول المتقدمة أن الفرس وغيرهم من الموالى انضموا لمعظم الحركات والثورات التي قامت منوئة للدولة الاموية وما كان ذلك عن حب أو تقديس للتأثرين ولكن رغبة في التخلص من الحكم الاموي الذي يفضل العناصر العربية على غيرها كما أسلفنا وأملا في تحقيق مطامعهم وتطلعاتهم السياسية وذلك في إعادة مجدهم الغابر واحياء سلطانهم الفارسي المندثر من خلال الدولة المنتظرة .

وحينما قامت الدولة العباسية واشتد عودها ولاحظوا أن الدولة الجديدة لم تحقق تطلعاتهم السياسية بالسرعة التي يريدونها صدموا في ذلك ، وما كان منهم إلا القيام بحركات ضد الدولة العباسية تستهدف الإطاحة بها ، وسنحاول في هذا الفصل تتبع هذه الحركات والقاء الاضواء الكاشفة عليها بقدر المستطاع .

اولا : ابو مسلم الخراساني وبا كورة الاتجاه

ماهية حركة أبي مسلم :

كانت تلك الحركة التي ارتبطت بالزعيم الخراساني أبي مسلم با كورة الحركات الفارسية المعادية ، وكانت في حقيقتها ولدى التأمل في أبعادها الخفية تستهدف إلى حد كبير النيل من الدولة العباسية ، وتعتبر هذه الحركة واحدا من الروافد التي شكلت المجرى السياسي للدولة العباسية ليس في السنوات الأولى من تاريخها فحسب بل وعلى امتداد العشرات من السنين في العهود اللاحقة

وللحقيقة نقول : ان المصادر التاريخية لم تتحدث عن ماهية هذه الحركة وعن أهدافها بالقدر الكافي من الوضوح والتحديد ، ويبدو أن هذا الصمت كان موعزا به أو أنه تم تنفيذا لتوجيهات من الدولة العباسية ، وذلك لاحتمال أن الحديث عنها سيكون سببا في وضوح أبعادها . وبالتالي فان هذا الوضوح سيفتح على الدولة العباسية أبوابا ليس من السهل اغلاقها أو التغلب عليها

ولكن سواء كان صمت المصادر قد حدث نتيجة غفلة أو تغافل فإن بعض المعلومات التي تناثرت في هذا المصدر أو ذاك عن لسان واحد من أتباع أبي مسلم أو آخر من رجال الدولة العباسية هذه المعلومات مكتبة المهتدين الإسلامية

قد تساعد الباحث في القاء شيء من الضوء على طبيعة الحركة أو الافكار التي كانت توجه هذا الزعيم الفارسي .

(أ) أقوال المؤرخين :

في سبيل اجلاء حقيقة أو ماهية حركة أبي مسلم الخراساني أورد ما توصلت إليه أثناء بحثي من أقوال بعض المؤرخين فها هو ذا الجهشيارى في حديثه عن العلاقات بين الخليفة أبي العباس السفاح من ناحية ، والزعيم الخراساني أبي مسلم من ناحية ثانية ، يقول عن الأخير : « فثقلت وطاة أبي مسلم على أبي العباس وكثر خلافه إياه ، ورده لأمره » (١)

وإلى جانب الجهشيارى يسهم ابن الأثير في القاء شيء من الضوء على المكانة التي وضع أبو مسلم الخراساني فيها نفسه ازاء الخليفة المنصور ، وذلك حيث يقول : « وكان أبو مسلم قد استخف بابي جعفر » (٢)

أما ابن العماد فيذكر أن أبا مسلم أزمع على خلع المنصور ويقول : « وحاز أبو مسلم خزانته (خزانة عبد الله بن علي العباسي) وكانت شيئاً عظيماً لانه استولى على جميع نعمة بني أمية فبعث المنصور إلى أبي مسلم أن احتفظ بما في يدك فصعب ذلك على أبي مسلم وأزمع على خلع المنصور ثم سار نحو خراسان فارسل إليه المنصور يستعطفه ويمنيه حتى وقع في براثنه فاقدم على قتله فقتله » (٣) .

(١) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٩٣ .

(٢) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٤٥٨ .

(٣) ابن العماد / شذرات الذهب ج ١ ص ٢٠٥ .

ويقدم لنا كل من الطبرى وابن الأثير صورة تعكس بعض جوانب العلاقة بين الزعيم الخراسانى والخليفة العباسى ، فقد ذكر كل من المؤرخين عن أبى مسلم أنه كان يأتية كتاب المنصور فيقرؤه ثم يلقى الكتاب من يده إلى مالك بن الهيثم (١) فيقرؤه ، ويضحكان استهزاء (٢)

وإذا أخذنا هذه النصوص الثلاثة وحاولنا أن نستخرج منها فكرة مشتركة فاننا نتوصل - بلا ريب - إلى القول بأن أبا مسلم كان يضع نفسه فى مكانة تعلو مكانة الخليفة العباسى ، والا فما معنى استخفافه واستهزائه بالمنصور ، وما معنى رده لأوامر السفاح

وإذا سلمنا بهذه الفكرة ، كان معنى ذلك أن الزعيم الخراسانى كان يخطط لوضع الدولة العباسية تحت وصايته ، أى أراد أن يجعلها مسيرة بأوامره ومنفذه لأغراضه ، وبمعنى آخر ، عباسية اسما وشكلا وفارسية حقيقة بل لا نبالغ إذا قلنا إنه ربما يخطط لأهم من ذلك على المدى البعيد وهو الإطاحة بالحكم العربى ، وإعادة السلطة إلى الفرس الذين فقدوا مجدهم وعزهم تحت سنابك خيل المسلمين

(ب) شهادات المعاصرين :

ونتطور مع النصوص درجة أخرى ، فنورد البعض مما حفظه لنا التاريخ عن لسان رجال من أولئك الذين كانوا على بينة من خفايا الأمور فى الدولة العباسية ، وفى هذا الإطار نقول ذكر عن المنصور

(١) مالك بن الهيثم أحد مستشارى أبى مسلم والمقرئين اليه وهو من خراسان انظر تاريخ خليفة بن خياط ص ٦٣٢

(٢) الطبرى/ تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ١٦٠ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٤٦٩ - مكتبة المهتدين الإسلامية

أنه لما عقد العزم على التخلص من أبي مسلم أمر وزيره المورياني أن يستشير سلم بن قتيبة في الأمر فلما استشير كان « رأيه لا يصلح سيفان في غمد » (١) ثم أردف ، : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا » (٢) .

وهذا النص وهو لرجل له وزنه الكبير في الحكم على الأمور ، يؤكد لنا ما سبق أن ذكرناه من أن أبا مسلم كان يضع نفسه في مكانة تزاحم أو تلو مكانة الخليفة العباسي نفسه

وإلى جانب ذلك فإن المصادر التاريخية قد حفظت لنا تعليقاً للوزير أبي أيوب المورياني ، وهذا التعليق قاله الوزير حينما تأكد لديه أن الخليفة المنصور قد عزم على قتل الزعيم الخراساني ، في هذا التعليق يقول أبو أيوب : « وما أحسب أصحاب أبي مسلم يرضون إن قتل أن يدعوا هذا (يريد الخليفة العباسي) على الأرض ولا أحد من أسبابه » (٣)

وهذا التعليق وهو على لسان وزير مسئول يبرز لنا أن أبا مسلم ورجاله كانوا يشكلون دولة داخل الدولة العباسية ، وأن قوة دولة أبي مسلم كانت تفوق بكثير قوة الدولة العباسية ، وهذه الدرجة من القوة التي كان يتمتع بها أبو مسلم تزداد أبعادها وضوحاً أمام الباحث وذلك من قول الفرج بن فضالة التنوخى ، متولى بيت المال للمنصور « وقتلت أنت أبا مسلم ، وأنت في خرق (٤) من الأرض وكل من حولك له ومنه واليه » (٥)

(١) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ١١١ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٣

(٣) الطبرى تاريخ الرسل والملوك / ج ٩ ص ١٦٤ ، الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ١١٢

(٤) الخرق : القفر ، والأرض الواسعة تنخر فيها الرياح .

(٥) الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ١٢٢

ويقول صاحب الذهب المسبوك عن رفعة شان أبي مسلم : (١)
« وكان أبو مسلم واحد زمانه » .

والنصوص السابقة جميعها ، سواء منها ما ذكره المؤرخون استنتاجا
أم تلك التي نقلت على لسان رجال لهم معرفتهم الدقيقة بخفايا الاسرار
في الدولة العباسية أقول هذه النصوص جميعها توضح لنا المكانة التي
وضع أبو مسلم نفسه فيها ، وتوضح لنا أيضا درجة القوة التي كان
يتمتع بها هذا الزعيم الفارسي ، غير أن هذه النصوص تتحدث عن
أبي مسلم من وجهة نظر الفريق الآخر ، أي الموالى والمناصر للخليفة
العباسي فهلا أمدتنا المصادر ببعض النصوص التي تعكس وجهة نظر
فريق أبي مسلم

نعم ، فقد حفظ لنا التاريخ عدة نصوص ، نكتفي منها بنص
يصل بالباحث إلى غايته ، والنص موضوع الحديث قاله رجل فارسي ،
هو نيزك ، واحد من أقرب المقربين إلى أبي مسلم ، فقد قال نيزك
هذا للزعيم الخراساني قبيل أن يتوجه الاخير لمقابلة الخليفة العباسي
أبي جعفر المنصور : « احفظ عني واحدة ، إذا دخلت عليه (أي على
المنصور) فاقتله ، ثم بايع من شئت فإن الناس لا يخالفونك » (٢) وقد
قال نيزك هذا الكلام لأبي مسلم بعد أن لم يطع مشورته بعدم الشخوص
للمنصور والذهاب لخراسان ليكون ذلك أمكن لسلطانه وخوفا عليه من
ايقاع المنصور به (٣)

(١) الاربلي / الذهب المسبوك ص ٦٤

(٢) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ١٦٣ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص

٤٧٣ ، الذهبي تاريخ الإسلام ج ٤ ص ٢١٦

(٣) ابن خلدون / ج ٣ ص ١٨٢

ومن هذا النص الذى قاله نيزك لأبى مسلم تبرز لنا قوة أبى مسلم ، وأنه بهذه القوة يستطيع أن يقتل ، وهو بمفرده وبعبدا عن مركز قوته الخليفة المنصور وهو فى مقر خلافته ومن حوله أتباعه وأنصاره ليس هذا فحسب ، بل ان الزعيم الخراسانى كان بهيمته وسيطرته سيرفع من يريد إلى منصب الخلافة ، وفى هذه الحالة لم يكن فى مقدرة أحد كائنا من كان أن يخالفه إذن فهو الرجل الاول فى الدولة لأنه صانع الخلفاء

(ج) بين الخليفة العباسى والزعيم الفارسى :

ننتقل بالنصوص خطوة أخرى فنورد ما حفظته لنا المصادر التاريخية عن لسان الطرفين الاساسيين فى هذه الحركة ، الخليفة العباسى جعفر المنصور من ناحية والزعيم الفارسى أبى مسلم الخراسانى من ناحية أخرى

كان المنصور مقتنعا كل الاقتناع بان أبأ مسلم يمثل خطرا جسيما على الدولة قبل أن يتولى الخلافة وذلك من قوله « انا لنخاف من أبى مسلم أكثر مما كنا نخاف حفص بن سليمان يعنى أبأ سلمة الخلال» (١) وقوله لاختيه أبى العباس السفاح « أظعنى واقتل أبأ مسلم ان فى رأسه لغدره » ونصحه بالقضاء عليه قبل أن يستفحل أمره (٢) إلا أن السفاح أمهله ، ويقول الذهبي : (٣) « قال أبو جعفر يا أمير المؤمنين أظعنى واقتل أبأ مسلم فوالله ان فى رأسه لغدره فقال : يا أخى قد عرفت بلاءه

(١) المقرئى / مخطوطة المقي ج ٢ ورقة ٩٢ .

(٢) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٤٥٨

(٣) الذهبي / تاريخ الإسلام ج ٥ ص ٢١٢ - ٢١٣

وما كان منه فراجعه ، فقال : كيف نقتله ؟ فقال : إذا دخل عليك وحادثته دخلت أنا وتغفلته وضربت عنقه من خلفه فقال : كيف بأصحابه الذين يؤثرونه على دينهم ودنياهم ، قال يؤول ذلك إلى كل ماتريد ، ولو علموا بقتله تفرقوا ، وأخاف ان لم تتغذ به يتعشاك . قال : فدونك فخرج على ذلك ، ثم أرسل إليه السفاح لاتفعل « ، ومن هذه المحادثة بين الخليفة وولى عهده المنصور يبرز لنا ثلاث حقائق هي :

- ١ - تحقق أبي جعفر من غدر أبي مسلم وأنه يزعم القيام بحركة
- ٢ - اعتراف السفاح بفضل أبي مسلم على دولتهم وبلائه في سبيلها
- ٣ - القاعدة العريضة من البشر التي خلف أبي مسلم تؤيده وتؤثره على دينها ودنياها

وفي سبيل التعمق في البحث في حال العلاقة بين أبي جعفر وأبي مسلم نعرف أن الوزير أبا أيوب المورياني دخل على الخليفة المنصور وهو يقرأ رسالة من أبي مسلم ، فدفعها اليه ، وبهذه أن قرأها الوزير قال المنصور متوعدا « والله لئن ملأت عيني منه لأقتلنه » (١)

وهذه الجملة ، كما هو واضح قصيرة وحاسمة وملينة بالتاكيدات أما محتوى الرسالة التي أججت غضب الخليفة العباسي حتى تهدد وتوعد فلم يرد عنها أدنى اشارة لدى الجهشيارى ، ويبدو أن الرسالة المقصودة هي تلك التي حفظها لنا كل من الطبرى وابن الاثير ، وهي

الرسالة التي يقول فيها الزعيم الخراساني مخاطبا الخليفة العباسي :
 « أما بعد فاني اتخذت رجلا اماما ودليلا على ما افترضه الله على خلقه ،
 وكان في محله العلم نازلا ، وفي قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قريبا ، فاستجهلني بالقرآن فحرفه عن مواضعه ، طمعا في قليل قد
 تعافاه الله إلى خلقه ، فكان كالذي ولي بغرور ، وأمرني أن أجرد
 السيف وأرفع الرحمة ، ولا أقبل المذرة ، ولا أقبل العثرة ، ففعلت
 توطيدا لسلطانكم حتى عرفكم الله من كان جهلكم ثم استنقذني الله بالتوبة
 فإن يعف عني فقدما (عرف به ونسب إليه ، وان يعاقبني فما قدمت
 يداي ، وما الله بظلام للعبيد » (١)

وإذا وقف الباحث وقفة هادئة متأملة ازاء هذه الرسالة ، وحاول
 أن يحللها ويستنتج بعض ما ترمى إليه فانه يمكنه أن يجزم أن أبامسلم
 التابع والنصير قد أوشك أن ينقلب ان لم يكن قد انقلب فعلا إلى
 عدو مناهض ، وانظر إلى اتهامه الخطير للخليفة العباسي ، وربما لمن
 سبقوه من زعماء هذا البيت ، في قوله : « فاستجهلني بالقرآن فحرفه
 عن مواضعه ، طمعا في قليل قد تعافاه الله الى خلقه ، فكان كالذي
 ولي بغرور » ثم ماذا يريد أن يصرح به في قوله : « ثم استنقذني الله
 بالتوبة سوى أن مناصرة العباسيين كانت إثما ارتكبه ، وللباحث
 أن يواصل استنتاجه فيضيف أن التوبة عن هذا الإثم والتكفير عن
 هذه الجريمة يتطلب أولا وقبل أي شيء آخر رفع هذا الإثم وإزالة
 هذه الجريمة ، والتفسير العملي لهذا هو إزالة أو تحطيم الدولة العباسية
 فهل تستكثر بعد ذلك على المنصور أن يثور ويقول : « والله لئن ملأت
 عيني منه . لاقتلنه » !!

وفي المراسلات التي دارت بين أبي جعفر المنصور ، وأبي مسلم الخراساني كان الزعيم الخراساني يتشدد بالفاظ تدل على غطرسة وكبرياء واستخفاف بالخليفة المنصور فانظر إليه يقول لأبي الخبصيب الذي بعثه أبو جعفر لأبي مسلم ليكتب ما أصاب من الاموال : « أنا أمين على الدماء خائن في الاموال » وشم المنصور (١)

ثم أن أبا جعفر المنصور خاف أن يمضي أبو مسلم إلى خراسان مركز قوته فكتب له كتابا يخبره فيه أنه ولاد مصر والشام ويقول له : « انها خير لك من خراسان فوجه إلى مصر من أحببت وأقم بالشام لتكون قريبا من أمير المؤمنين فإن أحب لقاءك أتيته من قريب ، فلما أتى الكتاب أبا مسلم غضب وقال : « هو يوليني الشام ومصر وخراسان لي » (٢) .

وعاود أبو جعفر الكتابة لأبي مسلم محاولا حضوره إليه من أجل التشاور معه ظاهريا في بعض الأمور أما حقيقة الامر فتمهيدا للفتك به ، وكتب أبو مسلم لأبي جعفر رسالة تبرز تخوفه من المصير الذي قد يلاقيه إذا كان قريبا من الخليفة كما يؤكد فيها على أنه إذا أعطى الخليفة لنفسه ارادتها فسينقض العهد معه ونص الرسالة كما جاءت بمخطوطة المناقب العباسية : (٣) « إنه لم يبق لأمير المؤمنين عدو الا مكنه الله منه ، وقد كنا نروى عن الملوك أن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء ، فنحن نافرون من قريبك حريصون على

(١) الأزدى / تاريخ الموصل ص ١٦٤ - ١٦٥ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٤٦٩
ابن تغري بردى / النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٣٣ ، البيون والحدائق ص ٢١٩ •

(٢) الطبري تاريخ الرسل والملوك / ج ٩ ص ١٦١ ، ابن تغري بردى / النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٣٣ .

(٣) المصري / مخطوطة المناقب العباسية ورقة ٢٩ .

طاعتك والوفاء بعهدك ومجيبون لك بالسمع والطاعة ، غير أنها من بعيد حيث تقارنها السلامة فإن أرضاك ذلك ، فانا كأحسن عبيدك ، وإن أبيت إلا أن تعطى لنفسك ارادتها نقضت ما أبرمت من عهدك ضنا بنفسى » .

ويقول البصرى : (١) « كان عند المنصور ابن المقفع (عند وصول رسالة أبي مسلم إليه) واستشاره في قتله فقال : (ابن المقفع) « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا » ، فنهزه المنصور فقال : ويلك عبد من عبيدنا ناصر دولتنا تامرني بقتله قم أخرج عنى وحبسه شهراً » .

وإذا صحت هذه الرواية فان تصرف المنصور مع ابن المقفع ينطوى على براعة فائقة ودبلوماسية حكيمة إذ هو يحكم أسلوب الخداع لأبى مسلم ويريه أنه لا يضر له شرا ولا يستهدف من استدعائه سوءاً حتى يظفر به ويقع فى شباكه أما ابن المقفع فإشار بقتل أبى مسلم مع أنه فارسى من أهله ليظهر للخليفة ولاءه للدولة وحرصه على مصالحها أما أبو مسلم فقد اطمأن قليلا لما علم بذلك ، وكتب له الخليفة الرسالة التالية وكانت فى غاية الدبلوماسية « قد فهمت كتابك وليس صفتك صفة أولئك الوزراء الغششة ملوكهم الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم فانما راحتهم فى انتشار نظام الجماعة ، فلم سويت نفسك بهم فانت فى طاعتك ومناصحتك واضطلاعتك بما حملت من أعباء هذا الامر على ما أنت به وليس مع الشريعة التى أوجبت منك سماع ولا طاعة ، وحمل إليك أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكن إليها إن أصغيت إليها وأسأل الله أن يحول بين الشيطان

(١) المخطوطة السابقة نفس الورقة .

ونزعاته وبينك فانه لم يجد بابا يفسد به نيتك أوكد عنده وأقرب.
مخاطبة من الباب الذي فتحه عليك » (١)

هذا وفي نفس الوقت أوعز أبو جعفر لبعض بني هاشم مثل عيسى بن علي وعيسى بن موسى ، أن يكتبوا لابن مسلم ويستدرجونه للحضور عند الخليفة ، ويبدون له الشكر والتعظيم على ما قدم للدولة ويسألونه الاستمرار على ذلك والسمع والطاعة للخليفة ويحذرونه عاقبة الغدر وأن عليه الرجوع إلى أمير المؤمنين والتماس رضاه فكتبوا بذلك (٢) ، وبعث أبو جعفر بالكتاب لابن مسلم مع أبي حميد المروزي وأوصاه أن يكلمه بآلئ ما يكلم به أحد وأن يخبره أنه رافعه وصانع به ما لم يصنعه به أحد إن هو صلح وراجع ما أحب فان أبي أن يرجع أمره أن يقول له : « يقول لك أمير المؤمنين لست للعباس وأنا برئ من محمد إن مضيت مشاقا ولم تأتني إن وكلت أمرك إلى أحد سواي في قتالك ولو خضت البحر لخضته ، ولو اقتحمت الناس لاقتحمتها حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك ، ولاتقولن له هذا حتى تيبأس من رجوعه ، ولاتطمع منه في خبر » (٣)

وسار أبو حميد مع بعض أصحابه والتقوا بابن مسلم وسلموه الكتاب وكلمه أبو حميد حول ضرورة التعاون مع الخليفة ، واستشار أحد أصحابه بالسفر لمقابلة الخليفة وهو أبو نصر فحذره من ذلك وقال : « لئن أتيته ليقتلنك لقد وقع في نفسه منك شيء لا يأمنك.

(١) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ١٦١ - ١٦٢

(٢) المصدر السابق ص ١٦٢

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة ، البصري / مخطوطة المناقب العباسية ورقة ٣٠

أبدا» (١) ، كما استشار أحد وزرائه في هذا الموضوع (الشخص
 للمنصور) وأشار عليه بعدم ذلك ، ويقول صاحب مخطوطة الانباء في
 في تاريخ الخلفاء (٢) استشار وزيره في قصد المنصور فقال له : «لا تعبر الرى
 فهي حدود لايتك ، وإذا عبرتها صرت بحكم القوم فما قبل استهانة بالمنصور»
 ويسوق الذهبي (٣) رواية مؤداها حوار دار بين أبي مسلم الخراساني
 وأحد أصحابه أبي اسحاق المروزي ويتضح منها خلع أبي مسلم لأبي جعفر ،
 وميل الفرس للعلويين ونصها : « شاور أبو مسلم أبا اسحاق المروزي
 وقال : ما الرأي ؟ فهذا موسى بن كعب من هنا وهذه سيوف أبي جعفر
 من خلفنا وقد أنكرت من كنت أثق به من قوادى ، فقال هذا رجل
 يضطغن عليك أمورا قديمة فلو كنت واليت رجلا من آل على كان
 أقرب ، ولو أنك قبلت إمرة خراسان منه كنت في فسحة من أمرك ،
 وكنت اختلست رجلا من ولد فاطمة فنصبته اماما فاستملت به
 الخراسانية ، وأهل العراق ورميت أبا جعفر بنظيره لكنك على طريق
 التدبير أتطمع أن تحارب أبا جعفر وأنت بحلوان وجيشه بالمدائن ،
 وهو خليفة مجمع عليه ، ليس ماظننت ولكن مابقى لك إلا أن تكتب
 إلى قوادك وتفعل كذا وكذا . قال : هذا رأى إن وافقنا عليه قوادنا ،
 قال : فما دعائك إلى أن تخلع أبا جعفر وأنت على غير ثقة من قوادك .
 أنا استودعك الله من قتيل »

(١) الطبرى / تاريخ الرسل والملوك ج ١ ص ١٦٣

(٢) مخطوطة الأنباء في تاريخ الخلفاء ورقة ٣٠ ، والمصادر تجمع أن أبا مسلم لم يحضر
 إلى المنصور خوفا منه إلا بعد محاولات ومناورات كثيرة ولم يكن حضوره استهانة بالمنصور .

(٣) الذهبي / تاريخ الإسلام ج ٥ ص ٢١٦

واستشار أبه مسلم أحد خلصائه ، هو نيزك وكان أبو مسلم معجبا بعتله فقال نيزك « لا أرى أن تأتبه وأرى أن تأتى الرى فقيم بها ، فيصير ما بين خراسان والرى لك وهم جندك ما يخالف أحد فان استقام لك استقيمت له ، وان أبى كنت فى جندك وكانت خراسان من ورائك . ورأيت رأيك (١) »

وهكذا اتفقت آراء مستشارى أبى مسلم بعدم الشخوص للمنصور لأنه سيواجه مصيره المحتوم عنده ، ونصحوه أن يقيم فى الرى والأراضى الإيرانية بين جنده وأهله لأن ذلك أقوى له وأمنع وأدعى لسلامته

وعزم أبو مسلم على الرفض أما أن أبا مسلم رفض مشورة وزيره استهانة بأبى جعفر المنصور كما يروى صاحب مخطوطة الانباء فى تاريخ الخلفاء كما سبق فلا يعتقد ذلك ، لأن أبا مسلم لم يحضر إلى أبى جعفر المنصور إلا بعد مراسلات وخطط ومحاولات عنيفة ، وبعد أن عرف أن أبا جعفر كان قد كتب لأبى داود خليفة أبى مسلم على خراسان بوليه خراسان ، وكتب أبو داود لأبى مسلم قائلا : « انك لم تخرج لعصية خلفاء الله وأهل بيت صلى الله عليه وسلم فلا تخالفن إمامك ولا ترجعن إلا بإذنه » ووافاه كتابه وهو على تلك الحال فزاده رعبا (٢) . وانتهت المحاولات برضوخ أبى مسلم لمقابلة المنصور ولما أجمع على ذلك قال له نيزك : قد أجمعت على الرجوع قال نعم وتمثل :

ما للرجال مع القضاء محالة ذهب القضاء بحيلة الأقوام

(١) الطبرى / تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ١٦٣ .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة ، الذهبى / تاريخ الإسلام ج ٥ ص ٢١٦ ، دحلان /

الفتوحات الإسلامية ص ١٩١ . البصرى / مخطوطة المناقب العباسية ورقة ٣٠ .
مكتبة المهتدين الإسلامية

فقال: (نيزك) كما مر بنا « إذا عزمت على هذا فإخار الله لك احفظ عني واحدة إذا دخلت عليه فاقته ثم بايع لمن شئت فان الناس لا يخالفونك » (١) .

وكتب أبو مسلم لأبي جعفر المنصور يخبره بمجيئه ، وهكذا وقع في النخ بعد طول امتناع

(د) مجموعة المآخذ :

نترك هذه النصوص والدلالات التي تقدمها ، ونلتفت إلى نص آخر ، ذلك هو الحوار الذي دار بين الخليفة العباسي والزعيم الخراساني في الجلسة الأخيرة التي جمعت بين الاثنين ، وفي هذا الحوار أخذ المنصور يعدد للخراساني مساوئه والاختفاء التي وقع فيها ، وقد تحقق مثول أبي مسلم أمام المنصور بعد مساع كبيرة بذل فيها المنصور وأعوانه ألوان الدبلوماسية والحيل والخداع ، وبعد مراسلات طويلة بين الاثنين كما مر بنا (٢) .

وكان المنصور كما أوضحنا سابقا يتخوف من أبي مسلم ويخشى انتفاضته وبطشه ، وكان ينصح أخاه السفاح بمعالجة أبي مسلم ويقول : « أطعني أقتل أبا مسلم فوالله إن في رأسه لغدره » (٣) .

لذلك أخذ المنصور يخطط للفتك بأبي مسلم قبل استفحال أمره

(١) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ١٦٣ ، مخطوطة المناقب العباسية ورقة ٣٠ .

(٢) الدينوري / الأخبار الطوال ص ٣٧٩ - ٣٨٠ ، ابن كثير / البداية والنهاية

ج ٩ ص ٦٨ - ٦٩ .

(٣) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٤٥٨ .

وعمل كل ما في وسعه للحيلولة دون ذهابه لخراسان مركز قوته وحضوره إليه وقد تم للمنصور ذلك

ويذكر المؤرخون في تفصيل هذا الحوار أن المنصور قال موجهًا حديثه لأبي مسلم : (١) « أخبرني عن فصلين أصبتهما مع عبد الله بن علي قال : هذا أحدهما قال : أرنيه فانتضاه وناوله إياه ، فوضعه المنصور تحت فراشه ، وأقبل عليه يعاتبه ، وقال له : أخبرني عن كتابك إلى السفاح تنهاه عن الموات ، أردت أن تعلمنا الدين ؟ قال : (أبو مسلم) ظننت أخذه لايحل ، فلما أتاني كتابه علمت أنه وأهل بيته معدن العلم .

قال (المنصور) : فأخبرني عن تقدمك إياي بطريق مكة

قال (أبو مسلم) : كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس فتقدمت للرفق

قال (المنصور) : فقولك لمن أشار عليك بالانصراف إلى بطريق مكة حين أذاك موت أبي العباس إلى أن تقدم فنرى رأينا ، ومضيت فلا أقمت حتى ألحقك ولا أنت رجعت إلى

قال (أبو مسلم) : منعني من ذلك ما أخبرتك من طلب الرفق بالناس ، وقلت تقدم الكوفة وليس عليك من خلاف

قال (المنصور) : فجارية عبد الله أردت أن تتخذها ؟

(١) ورد هذا الحوار في الطبري ج ٩ ص ١٦٦ - ١٦٧ ، وفي الكامل لابن الأثير /

ج ٥ ص ٤٧٥ - ٤٧٦ وفي مخطوطة تاريخ البدر في أوصاف أهل مصر ورقة ٢٤ - ٢٥

وقد أثرنا نص ابن الأثير لأنه أكثر ترابطاً وتسلسلاً

قال (أبو مسلم) : لا ، ولكنني خفت أن تضيع فحملتها في قبة
ووكلت بها من يحفظها

قال : (المنصور) فمراغمتك وخروجك إلى خراسان

قال (أبو مسلم) : خفت أن يكون قد دخلك مني شيء ، فقلت
آتي خراسان فاكتب إليك بعذري ، فأذهب مافي نفسك .

قال (المنصور) : فالمال الذي جمعته بخراسان ؟

قال (أبو مسلم) : أنفقته بالجند تقوية لهم ، واستصلاحا

قال (المنصور) : أألت الكاتب إلى تبدأ بنفسك ، وتخطب
عمتي آمنة ابنة علي ، وتزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن عباس ؟
لقد ارتقيت لا أم لك مرتقى صعبا ، ثم قال (المنصور) : وما الذي
دعاك إلى قتل سليمان بن كثير مع أثره في دعوتنا وهو أحد نقبائنا
قبل أن يدخلك في هذا الأمر ؟

قال (أبو مسلم) : أراد الخلاف وعصاني فقتلته

سلسلة طويلة من الأخطاء ارتكبها أبو مسلم ، ومعظمها يؤكد أن
الزعيم الخراساني كانت تحركه وترسم خطواته تطلعات سياسية ،
وتطلعات رجل في مثل مكانته ، على رأس القوة العسكرية للدولة
العباسية الناشئة ، ولم تكن لتتم إلا على حساب الخليفة العباسي هذا
إذا لم نقل على حساب الخلافة العباسية

والباحث تسترعى نظره بصفة خاصة الفقرة التي قبل الأخيرة
في الحوار المذكور وهي الفقرة التي تسجل على الزعيم الخراساني ثلاثة
تصرفات ، كل منها يعكس أحد أبعاد التطلعات التي كان يسعى
إليها أبو مسلم

أول هذه التصرفات أنه بدأ بنفسه في رسالة بعث بها إلى الخليفة المنصور ، أى أنه أعطى لنفسه المكانة الأولى في الدولة العباسية ، أما الخليفة العباسي الثاني فقد وضعه في المكانة الثانية ، وثاني هذه التصرفات أنه خطب لنفسه آمنة بنت علي عمه الخليفة المنصور ، وهو بهذا قد تجاهل قواعد العلاقات الاجتماعية ، القواعد التي احتل على أساسها أبناء البيت العباسي مكانة تتجاوز بكثير مكانة من سواهم من أبناء البيوتات الأخرى في الدولة العباسية حتى البيوتات العربية فما بالك بالبيوتات التي ليست عربية ، ومن ثم فإن زواج العباسية من غير عباسي يعتبر زواجا غير متكافئ (١) ، أما ثالث التصرفات فهو زعمه أنه ابن سليط ابن عبد الله بن عباس ، أى أنه أحل نفسه مكانة مساوية لمكانة والد المنصور محمد بن علي بن عبد الله بن العباس

والتصرفان الاخيران يشكلان خطوة لو قدر لها النجاح لأصبح أبو مسلم الخراساني واحدا من أبناء البيت العباسي ، وفي مكانة تسبق بترتيب الاجيال في هذا البيت مكانة المنصور ، أما الهدف الأخير من كل هذا فهو في الأغلب منصب الخلافة ، المنصب الأول في الدولة العباسية

(١) يلاحظ من تاريخ البيت العباسي أنهم حرصوا على عدم تزويج بناتهم من أحد خارج أبناء بيتهم ، وقد ظل هذا التقليد مرعيا ، ولم يحطمه إلا السلطان السلجوقي طغرل بك ، وذلك حينما تزوج سنة ٤٥٤ من ابنة الخليفة القائم بأمر الله على كره منه وتحت ضغط شديد من السلطان السلجوقي ، انظر / ابن الأثير الكامل ج ١٠ ص ٢١ - ٢٢ السيوطي / تاريخ الخلفاء

* معالجة حاسمة *

الأدلة التاريخية السابقة تنتهى بالباحت إلى القول بأن المنصور قد تأكد لديه بأن الزعيم الفارسي أبا مسلم أصبح على وشك القيام بحركة تمكنه من القبض على أزمة الأمور في الدولة العباسية ، لذلك كان من الحكمة بل من الضروري على المنصور أن يعالج قضية الزعيم الخراساني بل يعاجلها بحيث يجنب الدولة العباسية الكثير من المخاطر التي كان من الممكن أن تتعرض لها نتيجة تطلعات وطموح الزعيم الخراساني واستفحال أمره وعظمة سلطانه ، ومن ثم فلم يكن أمام المنصور سوى أن يعمل وبصمت ليحسم الموقف وبصورة فردية أو محدودة إلى أقصى درجة ممكنة فلم يكن من المعقول للمنصور أن يترك الزعيم الخراساني ، ويترك أمامه باب التطلعات مفتوحا ، ففي مثل هذه الحالة يكون المنصور كمن يقدم نفوذه وسلطانه للزعيم الخراساني وهذا غير معقول ولا يمكن أن يحصل من رجل عرف بالحزم كالمنصور ، ولم يكن معقولا أيضا من المنصور أن يدخل في حرب صريحة ضد الزعيم الخراساني لأنه في مثل هذه الحالة سيشتعل حروبا أهلية يتفاقم خطرها داخل الدولة العباسية بعناصرها الفارسية من ناحية وعناصرها العربية من ناحية أخرى ، ولم يكن لرجل كالمنصور أن ينزل إلى مثل هذا المستوى في التصرف ، وخاصة أن الدولة العباسية كانت لاتزال حديثة العهد إذن لم يكن أمام المنصور إلا أن يتخلص من الزعيم الخراساني بصورة حاسمة وسريعة وفي أضيق نطاق وهذا ما قام به المنصور بالفعل

ومن هنا نفهم لماذا كان إصرار المنصور على عدم إتاحة الفرصة
للأبي مسلم للعودة إلى خراسان مركز قوته ومن هنا نفهم أيضا لماذا
استقبل الزعيم الخراساني عند مقدمه على المنصور استقبالا طيبا لانشم
منه رائحة الخطر ولا يوحى بان الامر فيه مؤامرة ، وكل ذلك كان
تمهيدا لإيقاع أبي مسلم بالفخ الذي نصب له والتخلص منه

بعد مناظرة المنصور لأبي مسلم أو تعداد مآخذة أخذ أبو مسلم يقبل
بيد المنصور ويعتذر له ، فقال المنصور : « مارأيت كاليوم والله مازدتني
إلا غضبا » قال أبو مسلم : « دع هذا فقد أصبحت ما أخاف إلا الله تعالى »
فغضب المنصور وشمته وصفق بيده على الأخرى فخرج الحرس
طبقا لاتفاقه معهم (١) فضربه عثمان ابن نهيك فقطع خمائل سيفه ،
فقال (أبو مسلم) : استبقني لعدوك يا أمير المؤمنين فقال (المنصور) :
لا أبقي الله إذا ، أعدو أعدى إلى منك ؟ (٢) ألسنت الذي بايعتنا على
أن من خرج علينا قتلته ، وانت الخارج علينا ؟ (٣) وأخذ الحرس
بسيوفهم حتى قتلوه وهو يصيح ملتصا العفو ، ولكن هيهات ثم هيهات
فقد حانت الساعة التي كان ينتظرها المنصور ويعلق عليها أعظم الآمال .
ولقد آن الأوان لكي يشق الخليفة صدره بموت هذا المنافس الذي طالما
أرقه وأقض مضجعه

ويمكننا أن نلاحظ هذه المعاني من تشفى الخليفة من أبي مسلم بعد

(١) كان المنصور دعا عثمان بن ناهيك وأربعة من حرسه وتركهم خلف ستار بالقرب
منه وأمرهم بقتل أبي مسلم إذا صفق بيديه . انظر ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٤٧٤
(٢) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٥ ص ١٦٧ وانظر العمري : مخطوطة الأنبا

في تاريخ الخلفاء ورقة ١١

(٣) المعنى : مخطوطة البدر في أوصاف أهل العصر ورقة ٢٥

قتله حيث وقف على جثثانه يقول : (١)

زعمت أن الدين لا يقتضى فاستوف بالكيل أبا مجرم
أشرب بكأس كنت تسقى بها أمر في الحلق من العلقم

ويقول فيه أبو دلامه وينسبه للاكراد : (٢)

أبا مجرم ما غير الله نعمة على عبده حتى يغيرها العبد
أفى دولة المنصور حاولت غدره ألا ان أهل الغدر أبأؤك الكرد
أبا مجرم خوفتنى القتل فانتحى عليك بما خوفتنى الأسد الورد

وكان القضاء عليه في الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة

١٣٧ هـ (٣)

ومن كلام أبي جعفر المنصور « أعدو أعدى لى منك ؟ » أنت الخارج
علينا « يتبين اقتناع المنصور التام أن أبا مسلم خارج على الدولة ويزعم
تفجير حركته

* * *

ونختتم الحديث عن أبي مسلم الخراساني وتطلعاته السياسية بقولين
كل منهما كان صريحا إلى أقصى درجة ، ويدل على عظمة شان أبي مسلم
وقوة سلطانه وأول القولين هو ما قاله جعفر بن حنظلة للمنصور ،
معلقا على قتل أبي مسلم :

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك / ج ٩ ص ١٦٧ .

(٢) رستم : أبو جعفر المنصور ص ٥١ .

(٣) انظر الطبرى / تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ١٦٥ ، المسعودى : مروج الذهب .

ج ٣ ص ٢٩٢ ، ابن الأثير الكامل ج ٥ ص ٢٧٦ ، الأربلى : الذهب الميوك ص ٧٧ .

« يا أمير المؤمنين عد من هذا اليوم لخلافتك » (١) ، والقول الثاني قاله أبو جعفر لولي عهده عيسى بن موسى ، وكان عيسى استنكم قتل أبي مسلم : « خلع الله قلبك وهل كان لكم ملك أو سلطان ، أو أمر أو نهى مع أبي مسلم . » (٢) .

وفي هذا الصدد يقول العيني في مخطوطته تاريخ البدر في أوصاف أهل العصر : (٣) « جاء عيسى بن موسى فقال أين أبو مسلم فإشار إليه أبو جعفر وهو ملفوف في الكساء فقال : قتلته واسترجع ، وقال : قد علمت بلاءه في دولتنا أهلكت نفسك وأهلكتنا ومن يثق إليك بعد هذا ، فقال أبو جعفر : اسكن يا ابن الشاه وهل كان لنا معه سلطان خلع الله قلبك »

(١) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ١٦٧ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٤٧٧ .

(٢) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ١٦٧ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٤٧٧ .

(٣) العيني / مخطوطة البدر ورقة ٢٥ .
مكتبة المهتدين الإسلامية

ثانيا: سنباذ والرواندية :

١ - حركة سنباذ :

نجح الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور في وأد الحركة التي كان يمكن أن يقوم بها أبو مسلم لو امتد به العمر ، واستجاب لما كانت تمتلئ به نفسه من نزعات ومطامع ، وبهذا نجح المنصور في تجنيب الدولة العباسية المخاطر الكبيرة التي كانت بالضرورة ستترتب على حركة أبي مسلم لو قدر لها أن تتم

ونجاح المنصور لا يقاس بكيفية التخلص من الزعيم الخراساني فحسب بل بقدرته على احتواء أنصار أبي مسلم وخاصة أولئك الذين كانوا معه بالهاشمية وذلك على الرغم من أن قوة أبي مسلم كانت تقاس آنذاك بالأعداد الضخمة من الرجال التابعين له والذين كانوا على استعداد لتلبية أوامره بمجرد اشارة منه .

إلا أن الباحث يسارع فيقول: ان نجاح المنصور في احتواء أتباع الزعيم الخراساني كان نجاحا قصير الاجل إذ لم تكد تمضي فترة قصيرة حتى ظهر أول رد فعل لمقتل الزعيم الخراساني ، وقد اتخذ رد الفعل هذا شكل ثورة مسلحة ضد الدولة العباسية أشعلها واحدمن أبناء خراسان ولعله كان من أكثر أتباع أبي مسلم ولاء له وإخلاصا لمبادئه ويدعى سنباذ ، وقد خرج غضبا لقتل أبي مسلم وطلبيا للاخذ بثأره وكان مجوسيا(١).

وثورة سنباذ هذه قد أشار إليها المؤرخون ضمن أحداث سنة ١٣٧ هـ أي السنة التي قتل فيها أبو مسلم الخراساني ، وأوسع ما كتب عنها نجده لدى كل من الطبري وابن الاثير (٢) وتمتاز رواية الأخير عن هذه الثورة بالتسلسل والترابط ، ولعله من المستحسن أن نقدم

(١) الطبري/تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ١٦٩ ، الكتبي/مخطوطة عيون التواريخ ورقة ٩٥.

(٢) انظر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ١٦٩ ، اليعقوبي / ج ٢ ص ٣٦٨ ،

ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٤٨١

للقارىء ما قاله ابن الأثير عن هذه الثورة فقد جاء فيه (١) «وفي هذه السنة (١٣٧ هـ) خرج سنباذ بخراسان يطلب بدم أبي مسلم ، وكان مجوسيا من قرية من قرى نيسابور يقال لها أهروانه (٢) ، وكان ظهوره غضبا لقتل أبي مسلم لأنه كان من صنائعه ، وكثر أتباعه ، وكان عامتهم من أهل الجبال ، وغلب على نيسابور ، وقومس ، والرى ، وتسمى فيروز أصبهيد فلما صار بالرى أخذ خزائن أبي مسلم ، وكان أبو مسلم خلفها بالرى حين شخص إلى أبي العباس وسبي الحرم ونهب الأموال ، وكان يظهر أنه يقصد الكعبة ويهدمها

ولقد واجه المنصور ثورة سنباذ بما كان يجب أن تواجه به واجهها بالقوة والحزم ، ووجه إليه جمهور بن مرار العجلي في عشرة آلاف فارس ، وقد دارت معركة بين الجيش العباسي والقوات المناصرة لسنباذ في مكان بين همدان والرى على طريق المفازة فهزم سنباذ وقتل من أصحابه ستون ألفا وسبيت نساؤهم وذرايرهم (٣) .

ويحدثنا ابن الأثير عن المعركة وما أسفرت عنه فيقول : (٤) « فلما التقوا قَدَّم سنباذ السبايا من النساء المسلمات على الجبال ، فلما رأى عسكر المسلمين قمن في المحامل ونادين : وامحمداه ! ذهب الإسلام ! ووقعت الريح في أثوابهن فنفرت الإبل وعادت على عسكر سنباذ فتفرق العسكر وكان ذلك سبب الهزيمة وتبع المسلمون الإبل ووضعوا السيوف في المجوس ومن معهم فقتلوهم كيف شاءوا ، وكان عدد القتلى نحو من ستين ألفا ، وسبي ذرايرهم ونساؤهم » .

* تداخل الأهداف في حركة سنباذ *

ولا شك أن نص ابن الأثير السابق الذى يتحدث عن أهداف

(١) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٤٨١ .

(٢) يقول الطبرى تاريخ الرسل والملوك : ج ٩ ص ١٦٩ أن قريته « أمن » .

(٣) الكتبي مخطوطة عيون التواريخ ورقة ٩٥ - ٩٦ .

(٤) ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٤٨١ .

و.دوافع سنباذ إلى الحركة يقدم لنا عدة معلومات تشكل في مجموعها أبعاد الحركة التي قادها سنباذ ويحدد أهداف حركته ، فبداية النص تبرز لنا أن المحرك لسنباذ في حركته كان هو المطالبة بدم أبي مسلم وذلك لان الاول كان واحدا من صنائع الأخير ، أما غريم سنباذ فهو بالطبع الخليفة العباسي المنصور الذي قتل أبا مسلم ، وهذه الجزئية في النص تضيف على حركة سنباذ صبغة سياسية خالصة .

وينتقل من هذه الجزئية إلى جزئية أخرى من هذا النص فنجدها تبرز حقيقة العقيدة التي كان يعتنقها سنباذ وأتباعه وهي المجوسية ، أى الديانة التي كانت سائدة في الامبراطورية الساسانية قبل السيطرة الإسلامية ، ومن هذه الزاوية تبين لنا أن حركة سنباذ كانت إلى جانب مظهرها السياسى ذات طبيعة دينية إذ هى فى واقعها ثورة للمجوس ضد أتباع الديانة الإسلامية ، والا فما هو المغزى وراءما كان ينويه من قصد الكعبة وهدمها ؟

ليس هذا فحسب بل ان النص يحمل ظلالات أخرى واضحة ، بمصدر هذه الظلال هو الاسم الذى انتحله سنباذ بعد أن أعلن ثورته أى « فيروز اصبهبد » و« فيروز » من الاسماء التي سبق أن أطلقت على العديد من الرجال البارزين فى تاريخ الامبراطورية الفارسية (١) ، أما « أصبهبد » فهو اللقب الذى كان يمنح لحكام بعض المناطق فى الامبراطورية الفارسية (٢) .

وانتحال سنباذ للاسم واللقب المذكورين يعنى انسلاخه من التبعية

(١) ابن خرداذبه / المسالك والممالك ص ١٨ ، ١١٨ ، ١٢٥ .

(٢) انظر الطبرى / تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ١٦٩ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥

ص ٥٠٩ ، دجلان / الفتوحات الإسلامية ص ١٩٣ .

للدولة العربية ، وتطلعه إلى احياء أمجاد الدولة الفارسية الغابرة
وبتعبير آخر فإن هذه الظلال توحى بأن ثورة سنباذ كانت أيضا
ثورة القومية الفارسية ضد القومية العربية

هذه هي الملامح الثلاثة التي يبرزها النص والتي توضح أبعاد الثورة
التي أشعلها سنباذ ، وتبين تداخل الاهداف في ثورته فهل للباحث
بعد ذلك أن يستنتج بناء على العلاقة الوثيقة بين أبي مسلم وسنباذ
أن حركة أبي مسلم لو قدر لها أن تتم لحملت نفس الملامح التي حملتها
من بعد حركة سنباذ

* نهاية سنباذ *

لقد انتهت حركة سنباذ إلى الفشل الذريع وقتل صاحب الحركة
نفسه كما قتل عشرات الآلاف من أتباعه في المعركة الفاصلة التي
دارت بين جيش المنصور وكان بقيادة جهور بن مرار العجلي وبين
سنباذ واتباعه وذلك في مكان بين همذان والرى - كما أسلفنا - أما
قتل سنباذ فكان بين طبرستان وقومس (١)

وهكذا كانت نهاية الحركة التي مثلت أول رد فعل مباشر من
العناصر الفارسية لمقتل أبي مسلم ، وهي الثورة التي تمكن زعيمها من
انتزاع بعض السيادة العباسية ، ولكن الأسلوب الحاسم الذي استخدمه
المنصور في مجابهة هذه الحركة جعلها لاتعمر أكثر من سبعين يوما (٢)
ولا يسع الباحث إلا أن يقول في نهاية الحديث عن حركة سنباذ

(١) الطبرى / تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ١٦٩ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥ ص ٤٨١

(٢) الطبرى / تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ١٦٩ ، ابن الأثير / الكامل ج ٥

الثورة خلق كثير ، ، وقد غلب على عامة خراسان (١) ، ويقول ابن كثير (٢) : « وقتلوا (يعنى استاذ سيس وقومه) من المسلمين هناك خلقا كثيراً ، وهزموا الجيوش التي في تلك البلاد ، وسبوا خلقا كثيراً ، وتحكم الفساد بسببهم ، وتفاقم أمرهم » .

وإذا أردنا أن نحدد طبيعة هذه الحركة فانه من الممكن أن نقول : إنها حركة سياسية عنصرية دينية ، سياسية لأنها معادية للسياسة العباسية على خراسان ولاشك أنها استهدفت تخليص خراسان من الخضوع للدولة العباسية ، وعنصرية لأنها كانت ترمى إلى إثارة العناصر الفارسية وتحريكها ضد السيادة العربية ممثلة في الدلة العباسية ، ودينية لان زعيمها ادعى النبوة كما يذكر اليعقوبي (٣) ، وابن الاثير (٤) ، وهو واحد من الكفرة كما يقول ابن كثير(٥) .

ومن هنا تلتقى ثورة استاذ سيس مع حركتي سبباذ والراوندية ، في الأهداف العامة البعيدة ، وإن اختلفت عنها في الأهداف المباشرة ، ذلك لأنه لم ترد أدنى اشارة إلى أن استاذ سيس كان يستهدف الشار لقتل أبي مسلم ، ومع ذلك فلن نستطيع أن نجزم بأن فكرة الشار لقتل أبي مسلم لم تكن من المعاني الموجودة في نفس ذلك الخارج المتمرد عو والألوف من أعوانه وأتباعه

(١) الطبرى / تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ٢٧٦

(٢) البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٠٦

(٣) اليعقوبي / ج ٢ ص ٣٨٠ .

(٤) الكامل ج ٥ ص ٥٩٣ .

(٥) البداية والنهاية / ج ١٠ ص ١٠٦ .

• اخماد الثورة والقضاء على الثائر •

ولقد عملت الدولة العباسية في سرعة وحزم وصرامة على اخماد هذه الثورة خشية تفاقم خطرها واستفحال أمر الثائر فقد وجه إليها المنصور ، ولي عهده المهدي بقوات كبيرة كانت بقيادة خازم بن خزيمعة (١) ، وبعد سلسلة من المعارك الرهيبة في موطن الثورة انهزم استاذ سيس ولجأ إلى جبل مع عدد قليل من أصحابه وقتل من أتباعه قرابة سبعين ألفاً وأسر أربعة عشر ألفاً ومن ثم ضربت أعناقهم (٢) .

ثم حاصر خازم استاذسيس وأصحابه في الجبل الذي لجأوا إليه وشدوا الحصار عليهم حتى استسلموا فشد استاذ سيس وبنوه بالحديد واعتق الباقون (٣) .

وحمل استاذ سيس من خراسان إلى المنصور في بغداد حيث أمر بقتله وانتهى أمره (٤) .

* * *

(١) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ٢٧٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٧٨ .

(٤) اليعقوبي / ج ٢ ص ٣٨٠ .

رابعاً - حركة المقنع :

الشائر ومذهبه :

بعد حركة استاذ سيس تمر الاعوام ، ويبدو كأن الاتجاهات السياسية التي أثارها أبو مسلم الخراساني قد أجمدت ، غير أن هذا التصور لم يكن صادقا فبعد حوالي أحد عشر عاما من ثورة استاذسيس وقراءة عشرين عاما من حركة الراوندية ظهرت حركة أخرى لا تختلف كثيراً عن حركة الراوندية ، تلك هي الحركة التي قادها واحد من أبناء خراسان ، اتفق المؤرخون على الإشارة إليه بصفته «المقنع» .

وقد تحدث جمهرة المؤرخين عن بداية حركة المقنع ضمن أحداث سنوات ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ هـ (١) ، أما المقنع نفسه فقد أجمع المؤرخون على أنه أحد أبناء خراسان من مدينة مرو أو إحدى قرأها (٢) وقد ادعى الألوهية وأستغوى الناس بمبادئه فالتف عليه خلق كثير وقوى شأنه (٣) .

ويقول الذهبي (٤) « في سنة ١٦٠ هـ كان ظهور عطاء المقنع الساحر الملعون الذي ادعى الربوبية بناحية مرو ، واستغوى خلائق لا يحصون » ، وقد غلبت عليه كلمة المقنع لانه اتخذ وجها من ذهب وضعه على

(١) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ٣٣٨ ، ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٣٨ ، الذهبي / المعجم في خبر من غير ج ١ ص ٢٣٥ .

(٢) الطبري / ج ٩ ص ٣٣٨ ، ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٣٨ ، ابن خلدون / ج ٣ ص ٢٠٦ .

(٣) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ٣٣٨ ، المعجم والحداث ص ٢٧٣ .

(٤) الذهبي / المعجم في خبر من غير ج ١ ص ١٢٣٥ .

وجهه فسمى بالمقنع (١)أ.أ. اسمه الحقيقي فهو حكيم (٢) ، وقيل عطاء (٣).

والاختلاف حول حقيقة اسم المقنع لا يؤثر على الإطلاق في تصور الباحث لأبعاد الحركة التي قادها ، وذلك لأن هذه الأبعاد متفق عليها لدى المؤرخين الذين يؤكدون أن المقنع من الناحية المذهبية كان يرى أن الله تعالى خلق آدم وتحول في صورته ثم صورة نوح، وهكذا إلى أبي مسلم الخراساني (٤) ، ثم حول إلى هاشم وهاشم في نظر دعواه هو المقنع نفسه (٥) وهذا الذي ذهب إليه المقنع صورة من صور الكفر ، وادعاء الربوية .

وما ذكره ابن الأثير عن المقنع ليس إلا تكرارا لما ذكره المؤرخون السابقون كما أن هذا القول قد أورده جمهرة المؤرخين اللاحقين (٦) .

وقد يكون مفيدا أن نرجع إلى الفترة السابقة من تاريخ المقنع ، وحول هذه الجزئية تروى المصادر التاريخية عن هذا الفارسي أنه كان في بداية أمره يعتنق مذهب الرزامية (٧) وهم فرع من حزب الشيعة الكيسانية (٨) ، أما سلسلة الإمامة عند هؤلاء الرزامية فانها تبدأ بمحمد

(١) ابن خلدون ج ٣ ص ٢٠٦ ، الذهبي / العبر في خبر من غير ج ١ ص ٢٤٠ .

(٢) ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٣٨ .

(٣) الذهبي / العبر في خبر من غير ج ١ ص ٢٤٠ .

(٤) الشهرستاني / الملل والنحل ج ١ ص ١٥٤ ، الذهبي / العبر في خبر من غير ج ١ ص ٢٤٠ .

(٥) ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٣٩ .

(٦) انظر الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ٣٣٨ ، ابن خلدون / ج ٣ ص ٢٠٦ ،

ابن طباطبا / الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٧٦ ، ابن كثير / البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٣٣ ، ابن تقي بردي / النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٨ .

(٧) الرزامية هم أتباع رازام بن رزم ، انظر الملل والنحل ج ١ ص ١٥٣ .

(٨) الشهرستاني / الملل والنحل ج ١ ص ١٥٣ .

ابن علي بن أبي طالب ، المعروف بابن الحنفية ، ثم إلى ابنه هاشم ، ثم إلى علي بن عبد الله بن العباس ، فابنه محمد ، ثم ابنه إبراهيم الإمام ثم إلى أبي العباس السفاح ، أول الخلفاء العباسيين ثم تنتقل الإمامة بعده إلى أبي مسلم الخراساني (١) ، كما يذكر المؤرخون عن المقتنع أنه كان يعتقد أن أبا مسلم أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم (٢) ، وانطلاقاً من هذا الاتجاه عمل المقتنع على هدم الدين الإسلامي ، فأسقط الصلاة والزكاة والصوم والحج ووجه أتباعه لاعتناق تعاليم مزدك .

• امتزاج الدين والسياسة لدى المقتنع

لقد كان لحركة المقتنع أهدافها من الناحية السياسية ومن الناحية الدينية ومن المعلومات التي أمدتنا بها المصادر التاريخية نستطيع أن نقول إن حركة المقتنع كانت من الناحية السياسية استمراراً لحركتي سنباذ والراوندية ، وذلك من زاوية التركيز على شخصية أبي مسلم الخراساني ، وقد وصلت شدة التركيز إلى حد الوصول بالزعيم الخراساني إلى مرتبة الألوهية .

ووصول المقتنع بأبي مسلم إلى هذه المرتبة ، وما واكب ذلك من فكرة التناسخ ، وهدم أركان الدين الإسلامي وإحياء تعاليم مزدك كل هذا تأكيد على أن دعوة المقتنع كانت خروجاً صريحاً على الدين الإسلامي وهو نفس الاتجاه الذي سار فيه من قبل كل من سنباذ والرواندية ، واستاذ سيس .

(١) المصدر السابق ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٢) ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٣٩ .

أما تفضيل المقنع لأبي مسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يحتمل في طياته دعوة إلى إحياء العنصرية الفارسية ، ممثلة في الزعيم أبي مسلم الخراساني ، على حساب النبي العربي ، هذا مع أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يقيم دعوته على أساس عنصري بل أنه جعل التقوى أساس المفاضلة .

وينفرد المقنع من وجهة نظر المؤرخين الذين تحدثوا عنه بأنه أسقط أبا جعفر المنصور من سلسلة الخلفاء ، ووضع محله أبا مسلم الخراساني وهذه النقطة لها أهميتها البالغة إذ أنها تلقى شيئا من الضوء على المكانة التي وصل إليها أبو مسلم الخراساني من وجهة نظر أتباعه الفرس .

وقد تفتح هذه النقطة الباب أمام الباحث للاجتهاد حول بعض العناصر الخفية والتي ربما تكون شكلت أبعاد تطلعات أبي مسلم الخراساني فليس بعيدا إذن أن يكون الزعيم الخراساني قد قتل بسبب التطلعات السياسية والمذهبية والعنصرية التي استطاع المنصور أن يدركها بحسه الذكي وفراسته القوية .

على أية حال فإنه قد اتضح لنا امتزاج الأهداف في حركة المقنع وماهى إلا امتداد للحركات والثورات الفارسية التي سبقتها، امتداد لها في الأبعاد السياسية والدينية والعنصرية .

• حركة المقنع تواجه مصيرها •

إذا كان التاريخ قد سجل للمنصور أنه كان حازما في القضاء على أبي مسلم الخراساني وإجهاض تطلعاته كما كان حازما أيضا في مكتبة المهتدين الإسلامية

القضاء على حركات سنباذ والراوندية ، واستاذ سيس ، فإن الخليفة المهدي قد سار على نهج أبيه المنصور في مواجهة حركة المقتنع إذ قضى عليه وعلى أتباعه ، ولم تجد الأفكار التي كان ينادى بها متنفسا .

وكان المقتنع قد تحصن بعد ظهوره بقلعة بسام من رساتيق كش (١) وتبعه خلق كثير ، وكما أسلفنا ادعى الألوهية وكان أتباعه يسجدون له ، وقد انضم إليه ثوار ظهوروا ببخارى ، والصغد واجتمعوا على قتال الخليفة العباسي ، وظاهرهم بعض الاتراك ، وأكثروا من الغارات على الولايات العباسية ، وقتلهم عدد من القواد العباسيين مثل أبي النعمان ، والجنيد ، ثم بعث المهدي أباً عون لمحاربة المقتنع ، ودارت حروب بين أنصار وأعوان المقتنع والجيش العباسي وهزموا اتباع المقتنع، ولحققت قلوبهم بالمقتنع الذي كان يتواجد بقلعة بسام فتحصنوا بها ، ونازلهم الجيش العباسي ، وحاصروهم وضيقوا عليهم ، حتى طلب أصحاب المقتنع الأمان سرا ، فامنهم الحرشي قائد الجيش العباسي ، وخرج إليه ثلاثون ألفاً وبقى مع المقتنع زهاء الفين ، وضيق عليه الحصار فأيقن بالهلاك وجمع نساءه وأهله ، ويقال إنه سقاهام السم ، وقيل إنه أحرقهم وأحرق نفسه ، ودخل الجيش العباسي القلعة ، وبعث الحرشي برأس المقتنع إلى المهدي وذلك سنة ١٦١ هـ (٢) .

(١) كش قرية تبعد ثلاثة فراسخ من جرجان .

(٢) ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٥١ - ٥٢ ، ابن خلدون ج ٣ ص ٢٠٦ ،

الديار بكرى / تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٢٠ .

خامسا - حركة بابك الخرمي :

تحدثنا فيما سبق عن حركات فارسية شهدها عصر المنصور وعصر المهدي ، وتتفق هذه الحركات في أن عمر كل منها كان قصيرا ، فقد عمرت أطول هذه الحركات وهي حركة المقنع ثلاث سنوات - كما مر بنا - ، وقد حدث في السنوات الاخيرة من العصر العباسي الاول حركتان فارسيّتان عمرت واحدة منهما قرابة عشرين عاما ، أما الثانية فقد أخدمت ولما يمضي وقت طويل على ظهورها ، الحركة الأولى هي حركة بابك الخرمي ، والحركة الثانية هي حركة المزيار ابن قارن

وقبل أن نتحدث عن هاتين الحركتين يلزم أن نشير إلى أن الحركات السابقة والتي شهدها عصر المنصور والمهدي ، عدا الراوندية ، قد جعلت من المناطق الشرقية في الامبراطورية الفارسية السابقة ، مسرحا لنشاطها ، أما حركة بابك وحركة مازيار فقد جعلتا من الاقاليم الشمالية ميدانا لهما ولسياستهما المعادية للدولة العباسية

تتفق معظم المصادر التاريخية على أن تاريخ خروج بابك الخرمي سنة ٢٠١ (١) وأن أذربيجان والأقاليم المجاورة كانت موطن حركته ، وقد جعل من قرية « البذ » الحصينة قاعدة له (٢) .

ويقول ابن خلدون : (٣) « واتخذ مدينة البذ لامتناعه » ، ويقول المسعودي (٤) « بلاد بابك هي البذ في أرض آذربيجان والران والبيلقان » كما يقول : (٥) « واشتد أمر بابك الخرمي ببلاد الران والبيلقان ،

(١) انظر الطبري تاريخ الرسل والملوك / ج ١٠ ص ٣٠٧ ، ابن الأثير / الكامل

ج ١٠ ص ٣٢٨ ، ابن تقي بردي / النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٦٨ .

(٢) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٣٠٧ .

(٣) ابن خلدون / تاريخ بن خلدون ج ٣ ص ٢٥٨ .

(٤) مروج الذهب / ج ٢ ص ٤٤٢ .

(٥) المصدر السابق ص ٤٦٧ ، أما موطن ثروة المازيار بن قارن فهو إقليم طبرستان

وكثرت غثرته في تلك البلاد .

ونظرا لكثرة التفصيلات المتصلة بحركة بابك فمن الافضل معالجتها تحت عناصر فرعية وسنبداً ذلك بالقاء شئ من الضوء على شخصيته ونثنى بذكر أهم المبادئ التي قامت عليها حركته ، ثم نختم بالإشارة إلى جهود الدولة العباسية في مواجهة هذه الحركة والقضاء عليها

(أ) شخصية بابك الخرمي :

أورد كل من ابن النديم في كتابه « الفهرست » ، والمقدسي في كتابه « البدء والتاريخ » قصة تكاد تكون متشابهة عن حياة بابك لخرمي ، وكيف تعرف أبوه على أمه وتزوجها غير أن المقدسي يختلف عن ابن النديم في أن الأول ذكرها مختصرة في حين أن الأخير قد أسهب فيها ، وأورد بعض التفاصيل التي لاتنفيد في مجال البحث ولذلك فإنني سأقتصر هنا على اقتباس ما أورده المقدسي إذ يقول (١) : « ذكروا أنه (يعني بابك الخرمي) كان لغير رشد ، وأن أمه كانت امرأة عوراء فقيرة من قرى أذربيجان فشغف بها رجل من نبط السواد يقال له عبد الله فحملت منه ، وقتل الرجل وبابك حمل فوضعت أمه (٢) ، وجعلت تكتسب عليه إلى أن بلغ مبلغ السعي ، وصار غلاما حذورا ، واستأجره أهل قريته على سرحهم بطعام بطنه ، وكسوة ظهره ، فزعموا أن أمه أتنه ذات يوم بطعامه وهو قائل في ظل حائط فرأت شعر بدنه قد اقصع يقطر من رأس كل شعرة قطرة دم فقالت :

(١) المقدسي / البدء والتاريخ ج ٦ ص ١١٤ - ١١٦ .

(٢) يقول المسعودي أن اسم بابك هو الحسن انظر مروج الذهب ج ٣ ص ٤٧٠ .

إن لأبني هذا شأنًا عظيمًا ، وكان في تلك الجبال قوم من الخرمية وعليهم رئيسان يتكافحان ويخالف أحدهما الآخر يقال لأحدهما جاويزدان (١) ، والآخر عمران فمر جاويزدان في بعض حاجاته بقرية بابك فرآه فتفرس فيه الجلادة فاستأجره من أمه ، وحمله إلى ناحيته ، قال : فمالت إليه امرأة جاويزدان ، وأفشت إليه أسرار زوجها ، وأطلعته على دفائنه وكنوزه فلم يلبث إلا قليلا حتى وقعت حرب بين جاويزدان وعمران فاصابت جاويزدان جراحه فمات منها »

فزعمت امرأة جاويزدان أن بابك استخلف هذا على أمره (٢) ، وتحولت روحه إليه ، وأن الذي كان وعدكم من الظفر والنصرة كله صائر اليكم على يدي هذا ، وذلك أن الخرمية لا يصبحون ولا يمسون إلا على توقع الحركة ما تبعه قومه وصدقوا المرأة على شهادتها .

وهذه القصة يمكن قبولها إلى حد ما على الأقل في بعض جزئياتها ، ويؤيد ذلك ما ذكره المسعودي في كتابه مروج الذهب على لسان سهل ابن سنباط (٣) ، أحد المتنفذين في أرمينية عندما يقول : « يا ابن الخبيثة انما أنت راعي غنم وبقر » (٤) وكذلك اتفاق معظم المؤرخين على أن بابكا قد خرج في أصحاب جاويزدان المذكور ومن هنا يتضح أن بابكا قد اعتنق مبادئ الخرمية على يد جاويزدان ، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن النديم عندما قال في معرض كلامه عن جاويزدان « ... فان

(١) في الكامل لابن الأثير جاويزدان ج ٦ ص ٦٢٨ ، وفي تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٥٨ جاوندان

(٢) لعله أراد أن يقول : « أن جاويزدان استخلف هذا على أمره » .

(٣) سهل بن سنباط هو الذي ألقى القبض على بابك في آخر أيامه كما سرى .

(٤) المسعودي مروج الذهب ج ٣ ص ٤٦٨

جاويدان هو أستاذ بابك » (١)

(ب) مبادئ حركة بابك :

ومما لاشك فيه أن مبادئ حركة بابك الخرمي ذات أصول مجوسية فارسية ، وقد ادعى بابك أن روح جاويدان الخرمي قد دخلت فيه ، يقول الطبري (٢) :

« وادعى (بابك) أن روح جاويدان دخلت فيه وأخذ في العبث والفساد » ، ومثل ذلك قال ابن الاثير (٣) :

ويقول ابن النديم في بعض كلامه عن بابك الخرمي ، وعن امرأة جاويدان عندما كانت تأخذ الولاء والطاعة من قوم جاويدان لبابك انها كانت تقول لكل واحد قل : « آمنت بك يا روح بابك كما آمنت بروح جاويدان » (٤)

ويقول ابن الاثير (٥) في تفسيره لمعنى (جاويدان) ، (وخرم) « وتفسير جاويدان الدائم الباقي ، ومعنى خرم فرج ، وهي من مقالات المجوس ، والرجل منهم ينكح أمه ، وأخته ، وابنته ، ولهذا يسمونه دين الفرج »

ومن مبادئ حركة بابك الأخرى التناسخ وفي ذلك يتفق كل من ابن الاثير ، وابن كثير

(١) ابن النديم / الفهرست ص ٤٩٥

(٢) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٢٤٤

(٣) ابن الاثير / الكامل ج ٦ ص ٣٢٨

(٤) ابن النديم / الفهرست ص ٤٩٦

(٥) ابن الاثير / الكامل ج ٦ ص ٣٢٨

يقول ابن الاثير : (١) « ويعتقدون مذهب التناسخ ، وأن الارواح تنتقل من حيوان إلى غيره »

ويقول الديلمي ، في تعريفه للخرمية : (٢) « هذه لفظة عجمية وهى عبارة عما يستلذ ويشتهى وترتاح به النفس فلقبوا به لان حاصل مذهبهم لراجع إلى دفع التكليف ، وتسليط الناس على اتباع الشهوات من المباحات والمحرمات ، وقد كان هذا أيضاً للمزدكية ، وهم أهل الإباحة من المجوس الذين ظهروا فى أيام قباد ، وأباحوا النساء وأحلوا كل محظور من الشرائع » .

ويقول الديلمي عن البابكية : (٣) « وقد بقى من البابكية جماعة يقال أن لهم ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ، ويطنثون سرجهم ثم يتناهبون النساء فيبيت كل واحد على واحدة وبظفرها ويزعمون أن من احتوى على امرأة استحلبها بالاصطباد »

هذا وقد عرفت البابكية بالمحمرة وفى ذلك يقول الديلمي : (٤) « وأما المحمرة فلأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة فى أيام بابك ، ولبسوها شعارا لهم » ، وواضح أن لهذه الحركة صبغة سياسية تضرر العداء للعرب ، ويدل على ذلك ما ذكره : ابن النديم عن الحوار الذى جرى بين أصحاب جاويزان وامرأته عندما قالوا لها : كيف لم يدعونا ويوصى إلينا قالت : ما منعه من ذلك إلا أنكم كنتم متفرقين فى منازلكم فى

(١) ابن الاثير / الكامل ج ٦ ص ٣٢٨ ، انظر ابن كثير / البداية والنهاية ج ١٠

ص ٢٤٨

(٢) الديلمي / بيان مذهب الباطنية وطلانه ص ٢٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٤ - ٢٥

(٤) المصدر السابق ص ٢٥

القرى ، وأنه إن بعث وجمعكم انتشر خبرة فلم يأمن عليهم شدة العرب ، (١)

ومن دراسة المبادئ التي كانت تنادى بها الخرمية نجد أنها من الناحية الدينية كانت منافية لتعاليم الدين الإسلامي ، مثل رفع التكليف ، وإطلاق الشهوات لدى الناس وأيضاً القول بالتناسخ ، وكل هذه أفكار منافية للدين الإسلامي

ومن ناحية أخرى فإن حركة بابك كانت من الناحية العنصرية تعبيراً أو تنفيساً عن الكراهية التي كانت تمتلئ بها نفوس أقوام من الفرس ضد العرب كما يفهم الباحث مما ذكره ابن النديم

ومن الناحية السياسية فإن بابك قد انتهز الظروف السيئة التي تعاني منها الدولة العباسية نتيجة للحرب الأهلية بين الأمين والمأمون ، ومن ثم أعلن ثورته في منطقة بعيدة عن متناول العباسيين ، فتورط بابك من هذه الزاوية حركة سياسية ضد السيادة العباسية

ومن هذه النواحي الثلاث يتضح لنا وجود قدر كبير من التشابه بين حركة بابك من ناحية والحركات الفارسية السابقة من ناحية أخرى

(ج) جهود الدولة العباسية في القضاء على هذه الحركة :

على الرغم من أن حركة بابك الخرمي قد ظهرت على مسرح الأحداث في الأقاليم الشمالية من بلاد الخلافة العباسية سنة ٢٠١ هـ إلا أن التاريخ لم يسجل للمأمون العباسي أنه قام بأي عمل عسكري ضد هذه

(١) ابن النديم / الفهرست ص ٤٩٦ ، ولعله أراد أن يقول : (فلم يأمن عليهم شر العرب)

الحركة إلا في سنة ٢٠٤ هـ ، وذلك عقب عودته إلى بغداد بعد أن أخذت الأوضاع تستقر بالنسبة لدولته .

ومهما يكن من أمر فقد أرسل المأمون في سنة ٢٩٤ هـ يحيى بن معاذ على رأس جيش لمحاربة بابك ، ولكن ابن معاذ لم يحقق أى انتصار يذكر

ويقول الطبرى : (١) وفي هذه السنة - سنة ٢٠٤ هـ - واقع يحيى ابن معاذ بابك الخرمي فلم يظفر واحد منهما بصاحبه .

وفي سنة ٢٠٥ ولى المأمون على بلاد أرمينية وآذربيجان عاملاً جليداً هو عيسى بن محمد بن أبى خالد وأمره بمحاربة بابك الخرمي ، ويقول ابن الأثير (٢) في حوادث سنة ٢٠٥ : « وولى (يعنى المأمون) عيسى بن محمد بن أبى خالد أرمينية وآذربيجان ومحاربة بابك » .

وفي سنة ٢٠٦ هـ اشتبك عيسى مع بابك الخرمي ورجاله إلا أن بابك تمكن من هزيمته (٣)

وبعد هذه المعركة هدأت الأحوال فترة ولعل الدولة العباسية بتوقفها عن محاربة بابك أرادت إعادة تقييم موقفها تجاه هذه الحركة في ضوء الحروب السابقة ونتائجها

وبعد ثلاث سنوات من الحرب السابقة أى في سنة ٢٠٩ هـ ولى

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٢٥٥ .

(٢) ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٣٦٢ .

(٣) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٢٥٨ .

المأمون على بن صدقه (١) على أرمينية وأذربيجان ، وأمره بمحاربة بابك ، ولكن عليا لم يحرز أى انتصار على بابك بل على العكس فقد هزم بابك الجيش الذى سيره وأسر قائده ، وكان لذلك وقع أليم فى نفوس المسلمين (٢) .

وفى سنة ٢١١ هـ بعث المأمون محمد بن حميد الطوسى على رأس جيش لمحاربة بابك الخرمى ، ولكنه لم يدخل معه فى حرب إلا فى سنة ٢١٤ هـ ، وقد استغل ابن حميد فيما يبدو الفترة ما بين ٢١١ هـ و ٢١٤ هـ فى التهيئة والإعداد لمحاربة بابك ، وفى يوم السبت الموافق الخامس والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٢١٤ هـ دارت معركة طاحنة بين الطوسى وبابك الخرمى انتهت بقتل الطوسى وهزيمة رجاله (٣) .

وقد أورد ابن الاثير وصفا دقيقا لهذه المعركة لاباس من تدوينه هنا ويقول (٤) : « انه (يعنى محمد بن حميد الطوسى) لما فرغ من أمر المتغلبين على طريقه إلى بابك سار نحوه ، وقد جمع العساكر والآلات والميرة فاجتمع معه عالم كثير من المتطوعة من سائر الامصار ، فسلك المضائق إلى بابك ، وكان كلما جاوز مضيقا أو عقبة ترك عليه من يحفظه من أصحابه إلى أن نزل بهشتادسر وحفر خندقا ، وشاور فى دخول بلد بابك فاشاروا عليه بدخوله من وجه ذكروه له ، فقبل رأيهم وعي أصحابه وجعل على القلب محمد بن يوسف بن عبد الرحمن

(١) فى تاريخ ابن خلّون (صدقه بن عل) ج ٣ ص ٢٥٤ .

(٢) ابن الأثير / الكامل ج ٦ عن ٣٩٠ ، ابن كثير / البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٦٨ .

(٣) ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٤٠٧ ، ابن كثير / البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٦٨ .

(٤) ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٤١٢ - ٤١٣ .

لطائي المعروف بابي سعيد ، وعلى الميمنة السعدى ، ابن
أصرم ، وعلى الميسرة العباس بن عبد الجبار اليقطينى ، ووقف
محمد بن حميد خلفهم فى جماعة ينظر إليهم ، ويأمرهم بسد
خلل ان رآه ، فكان بابك يشرف عليهم من الجبل ، وقد كمن لهم
الرجال تحت كل صخرة

فلما تقدم أصحاب محمد وصعدوا فى الجبل مقدار ثلاثة
فراسخ خرج عليهم الكمناء وانحدر بابك إليهم فيمن معه ، وانهمز
الناس فأمروهم أبو سعيد ومحمد بن حميد بالصبر فلم يفعلوا وفروا
على وجوههم والقتل ياخذهم ، وصبر محمد بن حميد مكانه ، وفر
من كان معه غير رجل واحد ، وسارا يطلبان الخلاص ، فرأى جماعة
وقتالا فقصدهم ، فرأى الخرمية يقاتلون طائفة من أصحابه ، فحين
رآه الخرمية قصدوه ، لما رأوا من حسن هيئته ، فقاتلهم ، وقتلوه ،
وضربوا فرسه بمزارق فسقط إلى الارض ، وأكبوا على محمد بن حميد
فقتلوه « إلى قوله » فلما وصل خبر قتله إلى المامون عظم ذلك عنده .

ومما تقدم يتضح لنا أن بابك الخرمى قد أصبح يشكل قوة خطيرة
فى الساحة العباسية ، ويبدو أن بعض الناس قد آمنوا بهذه الحقيقة
لأسيما أنهم يرون بابك يسير من نصر إلى نصر ، وبالمقابل يرون
القوات العباسية تنهزم فى كل معاركها مع بابك فقد انضموا إلى
حركة بابك (١)

ومما يؤكد لنا خطورة بابك الخرمى ورجاله أن الخليفة العباسى

المأمون قبل وفاته سنة ٣١٨^{١٨} أوصى أخاه المعتصم بضرورة القضاء على ثورة بابك .

ويقول المأمون في وصيته : (١) « والخرمية فاغزهم ذا حزيمة وصرامة وجلد ، واكنفه بالأموال والسلاح والجنود من الفرسان والرجال فان طالت مدتهم فتجرد لهم بمن معك من أنصارك ، وأوليائك ، واعمل في ذلك عمل مقدم النية فيه راجيا ثواب الله عليه » .

وكان المعتصم عند حسن الظن به ، فقد صعد جهوده ضد هذه الحركة حتى تمكن من القضاء عليها في سنة ٢٢٣ هـ .

لما تولى الخلافة وجه الجيوش لمحاربة الخرمية وعقد لاسحاق ابن ابراهيم بن مصعب على الجبال في شوال سنة ٢١٨ هـ ، وأمره بقتال الخرمية ، وسار إليهم وأوقع بهم في أعمال همذان وقتل منهم قرابة ستين ألفا (٢) .

وفي سنة ٢٢٠ هـ عقد المعتصم للأفشين على الجبال ووجهه لحرب بابك الخرمي فسار إليه ونزل برزند وعسكر بها ، وضبط الطرق والحصون فيما بينه وبين أردبيل ووزع قادة جنده على مختلف الحصون والمواقع (٣) .

وقد أمد المعتصم الأفشين بالمال والنفقات للجند وبعثها مع بغا الكبير فوصل أردبيل ، وبلغ خبره بابك فحاول أن يقطع طريقه قبل وصوله

(١) ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٤٣٠

(٢) ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٤٤١ .

(٣) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٣٠٨ ، ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٤٤٨ .

الافشين إلا أن الافشين عرف عن ذلك فافسد عليه خطته وقدم عليه بغا بما معه من المساعدات والأمداد وجرت مناوشات بين الجيوش العباسية وبين الخرمي وأعوانه كانت نتيجةها لصالح العباسيين ، وشعر بابك بالضعف والحاجة وطلب العون والمساعدة من البذ، فأرسل له عسكريا نقلوه من مكانه في موقان إلى حصنه في البذ ، وعاد الأفشين إلى برزند (١) .

وفي سنة ٢٢٢ هـ وجه المعتصم إلى الأفشين جعفر الخياط مددا له ، ووجه له أيضاً إيتاخ ومعه ثلاثون مليون درهم للجند وللنفقات (٢) .

وفي رمضان سنة ٢٢٢ هـ فتحت البذ مدينة بابك ودخلها المسلمون ، وتفصيل ذلك أن المعتصم أمر الافشين بالسير إلى البذ وفتحها وأكد عليه بمراقبة حركات عدوهم ومتابعة أخباره حتى لا يفاجئهم وهم في غفلة عنه (٣) .

وأخذ الأفشين يرتب أموره ويخطط للمعركة ، ويبني الحصون في رؤوس الجبال وحفر الخنادق على الطرقات والممرات ، ووزع القيادات على مختلف الأماكن ، ووضع الطرقات تحت رقابة شديدة (٤)

وأثناء ذلك أرسل بابك للافشين ببعض المؤن لعلمه بسوء ظروف معيشة الافشين نتيجة للاموال المضنية التي قام بها وقومه استعدادا

(١) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٣١٠ ، ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٤٤٩ - ٤٥١

(٢) الطبري / ج ١٠ ص ٣١٧ ، ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٤٦١ ، ابن خلدون

ج ٣ ص ٢٥٩ .

(٣) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٣١٨ - ٣١٩ .

(٤) المصدر السابق ٣١٩ - ٣٢٠ .

للمعركة ، ولاشك أن بابك يستهدف من ذلك اسمالة الأفشين ، ولكن لم يتم له ذلك فقد أصعد الأفشين الرسول الذي أحضر المؤن إلى رؤوس الجبال وأطلعه على التحصينات والخنادق وقال له : « أخبر بابك بما رأيت » وخلال هذه المدة لم يحاول الأفشين إثارة أى مشكلة حتى يفرغ من تنظيماته رغم ما يفعله الخرمية من محاولات لاثارته ليفسدوا عليه خطته (١) .

وبعد أن اكتمل استعداد الأفشين سار بجيشه إلى البذ التي يتحصن فيها بابك ، وقد أمر كل قيادة بالمحافظة على موضعها والتقيد بالخطط المرسومة لها حتى وصل حصن بابك بالبذ ورتب جيوشه حول الحصن على أساس اطالة الحصار حتى يستنزفوا قوة بابك ويسأم الخرمية ، وبالفعل سأم الخرمية وضجروا وفتحوا بوابة البذ ، وحاول بعض المسلمين دخول المدينة مما أدى إلى وقوع معركة حامية عند البوابة لم يستطع المسلمون في نهايتها من دخول البذ ، إلا أنهم استفادوا من كشف بعض الخطط والامكنة التي وضعها لهم بابك (٢) .

وقد نشبت معركة أخرى أمام الحصن كانت نهايتها قتل وجرح عدد من المسلمين (٣) ، وقد تراجع الأفشين لينظم أموره من جديد ويضع الخطط بما يراه مناسباً لواقع الحال .

وفي إحدى الليالي قام الأفشين بتنظيم بعض فرقه حول الجبل الذي يتحصن به بابك ، ولما أصبح الصباح اكتشف بابك أن الحصار

(١) ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٤٦٣ .

(٢) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٣٢٢ - ٣٢٣ ، ابن الأثير / الكامل

ج ٦ ص ٤٦٥ - ٤٦٧ .

(٣) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

يحيط بحصنه ، وحاول أصحابه تمزيق الحصار ، وقد دارت معارك بين الطرفين كانت الكفة الراجحة لصالح المسلمين ولما رأى بابك الخطر محدقا بأصحابه خرج من ناحية الافشين وطلب الأمان من أمير المؤمنين المعتصم ، قال الافشين : « قد عرضت ذلك عليك وهو لك مبذول متى شئت قال بابك : قد شئت الآن فطلب الافشين منه الرهائن ، واستجاب بابك لذلك وطلب إيقاف القتال (١) ، ولكن عندما جاء رسول الافشين يأمر بإيقاف القتال وجد فرقة من المتطوعة قد اخترقوا الحصن ودخلوا في معركة حامية مع بعض الكنناء في قصور بابك ، ولم يلبث الافشين أن شارك في تلك المعركة على أبواب القصور فتمكن بابك من الاختفاء ، وبعد أن دمر الافشين القصور وفتحها وقتل كل من فيها من الخرمية ، وأخذ أولاد بابك وعائلته رجع إلى معسكره السابق ، فتمكن بابك بالليل من التزود ببعض المؤن والنقود من قصوره ، وهرب متجها نحو أرمينية ، وفي اليوم الثاني دمر الافشين ما تبقى من حصون بابك وهدم كل شيء (٢) .

وقد كتب الافشين إلى ملوك أرمينية وأمرائها يخبرهم أن بابك قد هرب باتجاه بلادهم ويطلب منهم تفتيش كل من يمر بهم للتعرف على شخصية بابك الخرمي ، وبعد مدة جاء جواسيس الافشين يخبرونه بموضع بابك ، وكان في واد كثيف الشجر والعشب يمتد من أذربيجان على أرمينية ، ويصعب على الخيل نزوله ، وقد وضع الافشين على كل الطرق المؤدية للوادي رقباء يترقبون خروج بابك والقبض عليه ،

(١) ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٤٦٨ - ٤٧١ .

(٢) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٣٢٧ ، ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٤٧١ .

ابن قاضي شعبة مخطوطة المتق من تاريخ الإسلام ورقة ١٩٨

وأثناء ذلك ورد كتاب من المعتصم وبه أمان بابك فنشره الأفشين على الناس ، وحاول ايصاله لبابك وبعد جهد وجد اثنين بعث بهما إليه ، وقد أوصيا الأفشين باعالة أُسرتيهما في حالة غدر بابك بهما لأنه كثير الغدر ، ووصلا إليه وسلماه الأمان فقتل أحدهما وأعاد الآخر بالكتاب إلى الأفشين

وبقى في ذلك الوادى حتى نفذ زاده فاضطر للخروج من الوادى فخرج من طريق خفيف المراقبة هو وأخواه عبد الله ، ومعاوية (٢) وأمه وامرأة له يقال لها الكلدانية (٣) ، وساروا يريدون أرمينية فرآهم حراس ذلك الطريق فطوردوا وجرى اشتباك بينهم وبين حامية الطريق الذى مروا فيه ، ونجا بابك وأخوه عبد الله ، ووقع من معه فى الأسر (٤) ، وسار بابك مستخفيا ومعه غلام له واحتاج إلى طعام فارسل غلامه إلى حرث يحرق على فدان له فى بعض الاودية وأمره أن يشتري منه خبزا وجاء للحرث ، وكان للحرث شريك وينظر لغلام بابك والحرث من بعيد ، فناول الغلام النقود للحرث ، واعطاه الحرث الخبز ، وظن شريكه انما اغتصبه الخبز اغتصابا فعدا إلى الحامية وأخبرهم أن رجلا جاءهم عليه سيف وسلاح ، وأخذ خبز شريكه من الوادى فركب صاحب الحامية ، وكان فى جبال ابن سنباط ووجه إلى سهل بن سنباط بالحبر فركب ابن سنباط وجماعة معه واستصوا الخبر من الحرث والغلام وأخبرهم الغلام أن هذا لسيده

(٢) ورد فى الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٣٢٩ ، وابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٤٧٣ معاوية دون ذكر اسم أبيه ولقبه .

(٣) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٣٢٧-٣٢٩ ، ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٤٧١-٤٧٣

(٤) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٣٢٩ .

وأنه يقيم الآن قريب من هذا المكان وأخبرهم عن مكانه ، وسار ابن سنباط حتى وصل بابك فعرفه وترجل وسلم عليه وتلطف له وأظهر له التقدير والولاء وأسكنه عنده ، ثم كتب ابن سنباط للأفشين يخبره بوجود بابك عنده ، وبعد التثبت من ذلك بعث برجلين خططا للقبض عليه مع ابن سنباط وكننا في مكان حدده لهما ابن سنباط ، ولما خرج بابك إلى الصيد بعث ابن سنباط رسولا يخبر رسولى الأفشين بذلك وأوعز لهما أن يأتى كل واحد من ناحية بعسكره وفعلا طبقا للخطة ، وألقوا القبض على بابك وهكذا خدع ابن سنباط بابك وأحكم الخطة في الإيقاع به ، ولما أحيط ببابك نظر إلى ابن سنباط وشتمه ، قال « بعثنى لليهود بالشئ اليسير » ، وحمل إلى الأفشين ولما قرب من العسكر صف العسكر صفين ، ولما وصل بابك أنزل عن دابته ومشى بين الصفين وأدخله الأفشين بيتا ووكل به من يحفظه وذلك في العاشر من شوال سنة ٢٢٢ (١)

ثم أرسل الأفشين إلى عيسى بن يوسف بن اصطغانوس يطلب منه أخا بابك عبد الله لأنه علم أنه ماسور عنده فبعثه إلى الأفشين وحجسه مع أخيه وكتب إلى الخليفة المعتصم بالخبر فأمره بالقدوم بهما عليه

وفي شهر صفر سنة ٢٢٣ هـ قدم الأفشين إلى سامرا ومعه بابك الخرمي وأخوه عبد الله ، ولما صار الأفشين على مقربة من سامرا تلقاه هارون الواثق بن المعتصم ، وأهل بيت المعتصم وأنزل الأفشين بابك عنده في قصره بالمطيرة (٢) ، ولما كان من الغد أمر المعتصم أن يركب

(١) المصدر السابق ص ٣٢٩ - ٣٣٢ ، ابن قاضي شعبة/ مخطوطة المنتقى من تاريخ الإسلام

لذهبي ورقة ١٩٨

(٢) المسعودي / مروج الذهب ج ٣ ص ٤٦٩

بابك على فيل هندي كان قد أهدى له من ملوك الهند فركب عليه ،
يسير به وسط الناس الذين اصطفوا من دار العامة إلى القاطول (قصر
الأفشين) ثم أدخل على المعتصم ، وبعد حوار قصير أمر المعتصم باحضار
سياف بابك نفسه فحضر ، فأمره أن يقطع يديه ورجليه فقطعهما ، ثم
ضرب وجهه بها حتى سقط مضرجا بدمائه ، ثم أمر المعتصم السياف أن
يدخل السيف من جهة قلبه لزيادة تعذيبه ففعل وأخيرا شق بطنه ،
وأمر المعتصم بانفاذ رأسه إلى خراسان والظواف به فيها ليكون عبرة
لغيره ، وأمر كذلك بصلب بدنه وأعضائه المقطوعة بسامرا ، وأمر بحمل
أخيه عبد الله إلى اسحاق بن ابراهيم ببغداد وأمره أن يفعل به ما فعل
بأخيه بابك فعمل به كذلك ، وضرب عنقه وصلب في الجانب الشرق
من بغداد بين الجسرين (١)

وهكذا قضى على هذا الناصر العنيد الذي طالما دوخ الدولة وأهلك
قواها ، لأن ثورته امتدت طويلا وقد كلفت الدولة العباسية في عهد
المأمون أولا وفي عهد المعتصم أخيرا من الأنفس والأموال والجهد والعرق .

(١) السمودي / مروج الذهب ج ٣ ص ٤٦٩ - ٤٧٠ ، ابن الأثير / الكامل

سادسا - حركة المازيار بن قارن :

ماكادت الدولة العباسية تتخلص من الأخطار التي كانت تمثلها حركة بابك في المناطق الواقعة إلى الغرب من بحر قزوين حتى واجهتها حركة فارسية أخرى ، تلك هي حركة المازيار بن قارن بن ونداد بن هرمز الذي اتخذ من موطنه ، طبرستان إلى الجنوب من بحر قزوين مسرحا لنشاطه المعادي للدولة العباسية (١)

ونرجع إلى الطبري (٢) لنرى ماذا يقول عن هذه الحركة فنجد لديه النص التالي: « وكان الأفشين يسمع من المعتصم أحيانا كلاما يدل على أنه يريد عزل آل طاهر عن خراسان ، فلما ظفر الأفشين ببابك ، ونزل من المعتصم المنزلة التي لم يتقدمه فيها أحد طمع في ولاية خراسان وبلغته منافرة مازيار آل طاهر، فرجا أن يكون ذلك سببا لعزل عبد الله بن طاهر فدرس الأفشين الكتب إلى المازيار يستميله بالدهقنة ويعلمه ماهو عليه من المودة له ، وأنه قد وعد ولاية خراسان ، فدعى ذلك المازيار إلى ترك حمل خراجهم إلى عبد الله بن طاهر ، ووآثر عبد الله بن طاهر الكتب فيه إلى المعتصم حتى أو حش المعتصم منه ، وأغضبه عليه ، وحمل ذلك المازيار إلى أن وثب وخالف ومنع الخراج ، وضبط جبال طبرستان وأطرافه ، وكان ذلك مما يسر الأفشين ويطمعه في الولاية ، فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمره بمحاربة المازيار ، وكتب الأفشين إلى المازيار يأمره بمحاربة عبد الله بن طاهر ، ويعلن أنه يقوم له عند المعتصم بما يجب ، وكتبه المازيار أيضا ، فلا يشك الأفشين أن المازيار سيوقف هبدالله بن طاهر ويقاومه حتى يحتاج المعتصم إلى أن يوجهه وغيره إليه »

(١) تحدثت عن حركة المازيار ضمن الحركات الفارسية مع أن وقت قيام هذه الحركة بعد التاريخ الذي أوقفت بحثي عنده وهو نهاية عهد المأمون سنة ٢١٨ هـ ، والذي يعتبره بعض المؤرخين نهاية العصر العباسي الأول وهو نهاية نفوذ الفرس في الدولة العباسية في عصرها الأول ، أوردت هذه الحركة لأن لها جنود وتطلعات قبل هذا التاريخ وكان يكتب بابك الحرمي ، انظر / ابن الأثير الكامل ج ٦ ص ٤٩٥ - ٤٩٦

(٢) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٣٤٩

هذاما ذكره الطبرى عن الظروف المباشرة التى أدت إلى ثورة المازيار ،
وهى ظروف شخصية وسياسية ، تعكس تطلعات المازيار بن قارن لأن ينفرد
بحكم طبرستان الإقليم الذى كانت السيطرة فيه لآبائه وأجداده ، وسياسية
تبرز الصراعات الخفية التى كانت تدور بين كبار رجال الدولة العباسية .
وفى الحقيقة فإن الدوافع التى حملت المازيار على القيام بثورته
أبعد من هذه الظروف شأوا وأعماق منها جذورا ، وفى هذا الصدد يذكر
ابن الأثير أن المازيار كان يكاتب بابك الخرمى (١) ، وهذه الإشارة
من ابن الأثير لها أهميتها لأنها تبرز العلاقة بين الرجلين ، وأن الدوافع
التي أثارت حركة بابك هى فى جملتها التى حملت المازيار على الثورة والعصيان ،
وخاصة إذا عرفنا أن المازيار كان حديث عهد بالإسلام ، أى أن هذه الدوافع
كانت مزيجاً يجمع بين الدوافع السياسية ، والدوافع العنصرية ، والدوافع الدينية .
* القضاء على المازيار *

مهما يكن من أمر فإن توقيت ثورة المازيار يختلف عن توقيت
ثورة بابك ، فقد أعلن الأخير ثورته فى ظروف صعبة للغاية بالنسبة
للدولة العباسية ، أما المازيار فإن توقيت ثورته ، سنة ٢٢٤ هـ لم يكن
مواتياً فقد كانت الدولة العباسية آنذاك على درجة كبيرة من القوة
وذلك لتحريرها من العديد من الضغوط والثورات المعادية ، التى
كانت تعاني منها وأهمها ثورة بابك الخرمى ، ومن ثم فإن القضاء
على حركة المازيار لم يكلف الدولة العباسية الكثير ، سواء فى الوقت
أو فى الأموال ، فقد تمكنت الدولة العباسية من القضاء عليها فى نفس
السنة التى ظهرت فيها أى سنة ٢٢٤ هـ (٢)

(١) ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٤٩٦

(٢) للمزيد عن تفصيل العمليات التى واجهت بها الدولة العباسية حركة المازيار انظر

الطبرى ج ١١ ص ٣٥٠ - ٣٥٦ ، ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٤٩٦ .

سابعاً - الزندقة :

* بين الزندقة والحركات الفارسية الأخرى *

تختلف حركة الزندقة (١) عن الحركات الست السابقة بالنسبة للمدى الزمنى، فكل واحدة من الحركات السابقة كانت لها فترتها الزمنية ، فقد عمرت حركة سنباذ سبعين يوماً ، وحركة الراوندية بضعة شهور وكذلك حركة استاذسيس ، وحركة المقنع قرابة ثلاث سنوات ، أما حركة بابك الخرمي فاطولها عمراً وقد امتد عمرها اثنين وعشرين عاماً وعمرت حركة المازيار بضعة شهور ، على حين عمرت حركة الزندقة طويلاً إذ أنها تسبق في الوجود تأسيس الدولة العباسية وقد استمرت في طريق التطور طوال العصر العباسي الاول (٢)

ولقد ترتب على الاختلاف بالنسبة للمدى الزمنى اختلاف في الجهود التي بذلت في مواجهة كل من هذه الحركات ، فقد ارتبطت الجهود

(١) يقال أن معنى كلمة زنديق بالفارسية الذى يتبع كتاب « زند » ثم أطلق على المانوية ، لأنهم كانوا يأخذون زند وغيره من الكتب المقدسة ، ويشرحونها على مذهبهم بطريقة التأويل - انظر / أحمد أمين فجر الإسلام ص ١٠٨

(٢) كان عبد الصمد بن عبد الأعلى مربى الخليفة الأموى الوليد بن يزيد بن عبد الملك زنديقاً ، كما اتهم الوليد بن يزيد بالزندقة / انظر ابن الأثير الكامل ج ٥ ص ٢٦٤ - ٢٨٠ ، أحمد أمين / فجر الإسلام ص ١٠٨ .

التي صرفت في قمع حركة سباز والراوندية واستاذ سيس بالخليفة المتصور ، والجهود التي أدت إلى اخماد حركة المقنع بالخليفة المهدي ، والجهود التي بذلت في اخماد حركتي بابك الخرمي والمازيار بالخليفتين المأمون والمعتم ، أما التصدي لحركة الزندقة فقد ارتبطت بجهود عدد من الخلفاء ، حقيقة كان الخليفة المهدي أبرز الخلفاء الذين تصدوا لهذه الحركة غير أنه قد سبق في هذا المضمار وأيضا تابعه عدد من الخلفاء اللاحقين

ونقطة اختلاف أخرى هي أن الحركات الفارسية السابقة كان لها اطارها السياسي والعسكري المحدد أي أن كلا منها كانت حركة لها أهدافها السياسية الواضحة ، ولها أسلوبها الخاص في محاولة فرض هذه السياسة وهو أسلوب العمل العسكري أو الثورة المسلحة أما بالنسبة للزندقة فانها كانت حركة فكرية أكثر منها أي شيء آخر ، صحيح أن أفكار الزنادقة كانت تستهدف أغراضا سياسية ولكنها لم تلجا إلى فرض هذه الأغراض عن طريق القوة المسلحة وقد ترتب على الاختلاف في النقطتين السابقتين اختلاف في طبيعة المسرح الجغرافي الذي شهد هذه الحركات

كان المسرح بالنسبة لكل من الحركات السابقة محددا حتى مع اتساعه وهذا عكس مسرح حركة الزندقة ، وبالإضافة إلى ذلك تختلف الحركات السابقة عن حركة الزندقة بالنسبة لدرجة وضوح الهدف السياسي والعنصري ، فكل من الحركات السابقة كانت الاهداف السياسية والعنصرية واضحة لديها كل الوضوح ، كما تبين لنا ذلك في الصفحات السابقة ، أما حركة الزندقة فإن الغموض كان يلف

أهدافها حتى ليكاد الباحث أن يقول عنها : انها كانت حركة فكرية دينية خالصة

ورغم الاختلاف بين الحركات السابقة وحركة الزندقة في الجوانب أو النقاط السابقة، فإن هذه الحركات تلتقى أو تتفق من حيث المنشأ أو الأصل ، إذ أن كلا منها كانت فارسية المنشأ ، وهاهى ذى المصادر التاريخية تؤكد لنا أن كبار الزنادقة في الدولة العباسية كانوا من بين الفرس ومنهم : عبد الله بن المقفع (١) الذى قتله المنصور لما تأكد له أنه زنديق وأنه يواصل الكيد للإسلام (٢).

واتهم عبد الكريم بن أبي العوجاء بالزندقة ، وقد أفسد أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بما وضع فيها ، ولما قبض عليه وإلى الكوفة محمد بن سليمان واحضر للقتل وأيقن بمفارقة الحياة قال : «لئن قتلتهموني لقد وضعت فى أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة » فقتله المنصور (٣) ، كما أن الشاعر الفارسى بشار بن برد قتله الخليفة المهدي سنة ١٦٦ هـ بتهمة الزندقة (٤) ، وكان بشار ماجنا خليعا تغرض للدين وفتح باب التهلك على مصراعيه انتشر شعره الماجن

(١) اسم ابن المقفع بالفارسية « روزبه بن دادويه » وسمى ابن المقفع لأن الحاج ابن يوسف ضربه بالبصرة فى مال احتجته من مال السلطان ضربا مبرحا حتى تقفقت يده وأصله من حوز مدينة من كور فارس انظر الفهرست لابن النديم ص ١٧٢

(٢) أمالى المرتضى / ج ١ ص ٨٩ ، شوق ضيف / العصر العباسى الأول ص ٥٠٩
(٣) أمالى المرتضى / ج ١ ص ٨٨ - ٨٩ ، أحمد أمين / ضحى الإسلام ج ١ ص ١٥٠
(٤) أبو الفرج الأصفهاني / الأغاني ج ٣ ص ١٠٩٢ ، ابن قتيبة / طبقات الشعراء ص ٤٧٦ ، ابن كثير / البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٥٠ ، ابن تفرى بردى / النجوم الزاهرة

في العراق ، فلا غزل ولا غزلة إلا ويروى شعر بشار ، ولا نائحة ولا مغنية إلا تتكسب به (١)

ويقول سوار بن عبد الله الأكبر ومالك بن دينار : « ماشئ » أدعى لأهل هذه المدينة (يعنى البصرة) إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى » (٢) ، وقال واصل بن عطاء عن بشار : « إن من أخذع حبايل الشيطان وأغواها لكلمات هذا الأعمى الملحد » (٣) ، وقد اتهم صالح ابن عبد القدوس بالزندقة ، وكان يدس في الأشعار معاني زندقة وقتله المهدي شيخا كبيراً بتهمة الزندقة (٤)

كما اتهم بالزندقة الحمادون الثلاثة : حماد عجرد ، وحماد بن الزبرقان ، وحماد الراوية ، وكانوا مدمنين على الشراب (٥) ، ويقول أبو نواس عن حماد عجرد : « كنت أتوهم حماد عجرد إنما يرمى بالزندقة لمجونه في شعره ، حتى حبست في سجن الزنادقة ، فإذا حماد عجرد إمام من أئمتهم وإذا له شعر مزاج بيتين بيتين يقرأون به في صلاتهم (٦)

وهذه الرواية تفيدنا أن مجان الفرس وزنادقتهم يحاولون احياء دياناتهم القديمة ولايستبعد أن يكون ذلك تمهيدا لاستعادة السلطة التي فقدوها واحياء لتراثهم المنذر

(١) أبو الفرج / الأغاني ج ٣ ص ٩٩٥

(٢) المصدر السابق ص ١٠٢٨

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة

(٤) المصدر السابق ج ١٤ ص ٥٠٤٥ ، أمالي المرتضى ج ١ ص ٨٩ ، الكتبي / فوات

الوفيات ج ٢ ص ١١٦

(٥) أبو الفرج / الأغاني ج ٦ ص ٢١٥٤ ، ج ١٤ ص ٥١٩٥ ، ابن تغرى بردى /

النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٩

(٦) أبو الفرج / الأغاني ج ١٤ ص ٥١٩٩

وقد رى ابن قتيبة البرامكة بالزندقة (١) ، ويقول الأصمعي
فيهم :

إذا ذكر الشرك في مجلس أضاءت وجوه بني برمك
وان تليت عندهم آية ... أتوا بالاحاديث عن مزدك

ويقال أن الفضل والحسن أبناء سهل كانا زنديقين(٢)

وقد اشتهر بالزندقة آخرون من القرش منهم : يونس بن أبي فروة
الذى وضع كتابا في مثالب العرب وعيوب الإسلام (٣) ، وعلى بن
الخليل (٤) ، ومحمد بن مناذر (٥) وقد اشتهر طائفة من الكتاب
بالزندقة ، وكان أكثرهم من أصل فارسي ، ويقول الجاحظ فيهم(٦)
« والناسيئ منهم (يعنى الكتاب) إذا حفظ من الكلام فتيقه ، ومن
العلم ملحه ، وروى لبزرجمهر أمثاله ، ولاردشير عهده ، ولعبد الحميد
رسائله ، ولابن المقفع أدبه ، وصير كتاب مزدك معدن علمه ، ودفتر
كليلة ودمنة كنز حكمته توهم أنه الفاروق الاكبر في التدبير ،
وابن عباس في التأويل ، ومعاذ بن جبل في العلم بالحلال والحرام ،
وعلى بن أبي طالب في الجرأة على القضاء والاحكام ، وأبو الهذيل
العلاف في الجزء والظفره ، وابراهيم بن سيار في النظام في المكائنات
والمجانسات وحسين النجار في العبادات والقول والإثبات ، والاصمعي

(١) ابن قتيبة / المعارف ص ٣٨٢

(٢) ابن النديم / الفهرست ص ٤٧٣

(٣) أبو الفرج / الأغاني ج ١٤ ص ٥٠٤٤ ، أمالي المرتضى / ج ١ ص ٩٠

(٤) أبو الفرج / الأغاني ج ٢٠ ص ٦٩٥٦ - ٦٩٥٧

(٥) أمالي المرتضى / ج ١ ص ٩٠

(٦) الجاحظ / ثلاث رسائل ص ٤٢ - ٤٣ ، انظر أحمد أمين / ضحى الإسلام ج ١

وأبو عبيدة في معرفة اللغات والعلم بالأنساب ، فيكون أول بدو الطعن على القرآن في تاليفه ، والقضاء عليه بتناقضه ، ثم يظهر فيه طرفه بتكذيب الاخبار ، وتهجين من نقل الآثار ، فإن استرجع أحد أصحاب الرسول فتل عند ذكرهم شذقه ، ولوى عن محاسنهم كشحه ، وان ذكر شريح جرحه ، وان نعت له الحسن استثقله ، وإذا وصف له الشعبي استحمقه ثم يقطع ذلك عن مجلسه بسياسة أردشير بابكان ، وتدبير أنوشروان ، واستقامة البلاد لآل ساسان فإن حذر العيون ، وتفقده المسلمون رجع بذكر السنن إلى المعقول ، ومحكم القرآن إلى المنسوخ ، ونفى ما لا يدرك بالعيان وشبه بالشاهد الغائب ، لا يرتضى من الكتب إلا المنطق .. هذا هو المشهور من أفعالهم والموصوف من أخلاقهم »

— — —

ومن هذا الاستعراض لأشهر الزنادقة يتبين لنا أن معظم دعاة الزندقة وروادها في العصر العباسي الأول كانوا من العناصر الفارسية ، ويقول العقاد (١) في تفسيره للزندقة وتحديد الاهداف التي ترمى إليها : « ربما كمننت السياسة وراء دعوات المتفلسفين كما كانت وراء المصادرة من جانب الدولة وحكامها لان الزندقة التي كانت تتستر بستار الفلسفة ، إنما كانت في ناحية من نواحيها ثورة مجوسية ترمى إلى هدم الدولة الإسلامية من أساسها ، وإقامة الدولة الفارسية في مكانها

ويقول أحمد أمين عن أسباب انتشار الزندقة وفشوها في العصر

العباسي (١) : « بعض الفرس رأوا أن انتقال الخلافة من الامويين إلى العباسيين لم يحقق مطالبهم فقد انتقلوا من يد عربية وهى اليد الاموية إلى يد (عربية) أخرى هى يد العباسيين ، ومطمح نفوسهم أن تكون الحكومة فارسية فى مظهرها وحقيقتها ، وفى سلطتها ولغتها ودينها ، ورأوا أن ذلك لا يتحقق والإسلام فى سلطانه ، فاختدوا يعملون لنشر المانوية والزرذشتية والمزدكية ظاهرا إن أمكن ، وخفية إذا لم يمكن فكان منذ ذلك فشو الزندقة » .

وهذان التفسيران (٢) لتحقيق حركة الزندقة وأهدافها ومراميها وأسباب انتشارها يجسمان خطر الزنادقة على الدولة ، وقد أدرك الخلفاء العباسيون مدى الخطر الذى يحدق بالدولة العباسية نتيجة لانتشار أفكار ومبادئ الزندقة ومن ثم فان واجبههم السياسى كان يملى عليهم ضرورة القضاء على الدعوة المنحرفة وأصحابها

(١) أحد أمين / ضحى الإسلام ج ١ ص ١٣٩

(٢) هذان التفسيران لباحثين محدثين إلا أن لها ثقلها العلمى ووزنها الكبير فى

البحث والتحقيق وبالإمكان فى نظرى الاعتماد على تحليلاتهما ورواياتهما والاستشهاد بها .
مكتبة المهتدين الإسلامية

* جهود الخلفاء العباسيين في محاربة الزندقة *

قبل أن نتحدث عن جهود الخلفاء العباسيين في مواجهة خطر الزندقة ، من المستحسن أن نتعرف على العناصر الفكرية التي قامت عليها هذه الحركة ، وحول هذه الجزئية نقول : ان المؤرخين الذين أرخوا للعصر العباسي الاول كانوا في تناوهم لهذه الحركة من ناحية الكم متفاوتين بل متباينين فمنهم من أغفلها اغفالا كاملا ، ومنهم من مساهم ساريعا، ومنهم من التفت إليها وعالجها بشيء من التفصيل . فمن بين المؤرخين الذين تجاهلوا الحديث عن الزندقة تجاهلاتا ماخليفة ابن خياط (١)، أما الجهشيارى (٢) فقد أشار إليها عرضا وذلك في حديث عن بعض من اتهموا بالزندقة ، أما الطبرى والمسعودى وابن الاثير وابن خلدون وابن كثير فقد ألقى كل منهم شيئا من الضوء على هذه الحركة . وقد قامت حركة الزندقة على عناصر فارسية كما لاحظنا ، وكما سنلاحظ فيما بعد ، وكان لهذه العناصر سموم خطيرة ينفثونها في المجتمع بهدف افساد العقيدة ونشر تعاليم دياناتهم القديمة من مانوية ومزدكية ، وزرادشتية ، وكانوا ينشرون تعاليمهم على أشكال مختلفة طورا في العلم والدين وطورا في الآداب ، وطورا في مثالب العرب (٣) ، ويطمحون من خلال افساد العقيدة الإسلامية وازعاج الدين وخراب المجتمعات ، ونشر تعاليمهم الهدامة إلى تحقيق مكاسب سياسية وعنصرية ، ولاشك أن الخلفاء العباسيين أدركوا فداحة الخطر الذى يحيط بهم ويشعوبهم ويهدد بنسف الدين والدولة فانبروا بالمطاردة الزنادقة والتنكيل بهم ومحاولة القضاء على هذه الحركة . وقد دبر أبو جعفر المنصور قتل ابن المقفع لما اتهم بالزندقة كما مر بنا ، وقتل بعبد الكريم ابن أبى العوجاء للسبب ذاته

(١) توفى خليفة بن خياط سنة ٢٤٠ هـ .

(٢) توفى الجهشيارى سنة ٣٣١ هـ .

(٣) أحمد أمين / ضحى الإسلام ج ١ ص ١٥٠

لم يعرف عن المنصور أنه طارد الزنادقة وأمعن في اضطهادهم بل اكتفى حسبما يظهر لنا بقمع الفتن الظاهرة ، ولما جاء المهدي أمعن في مطاردة الزنادقة ، واضطهادهم وجد في طلبهم ، واتخذ رجلا سماه صاحب الزنادقة يتولى متابعة ومطاردة الزنادقة (١) ، وقد ألح المهدي في طلب الزنادقة وقتلهم حتى قتل منهم أعدادا كبيرة ، وفي سنة ١٦٢ هـ أمر المهدي وزيره يعقوب بن داود أن يوجه الأمناء من قبله إلى جميع الآفاق للبحث عن الزنادقة وتبعضهم والتنكيل بهم (٢) ، وفي سنة ١٦٣ هـ تجهز المهدي لغزو الروم وسار في طريقه عبر القرات إلى حلب ويقول ابن الاثير عن المهدي : (٣) « فجمع من بتلك الناحية من الزنادقة فجمعوا فقتلهم ، وقطع كتبهم بالسكاكين » أما ابن خلدون فيقول عن الحادثة نفسها : (٤) « وعادوا إلى المهدي وقد أثخن في الزنادقة وقتل من كان في تلك الناحية منهم » .

واستمر المهدي في تتبع الزنادقة ومطاردتهم ، ويقول الذهبي : (٥) « في سنة ١٦٣ هـ قتل المهدي جماعة من الزنادقة ، وصرف همه إلى تبعضهم ، وبلغ المهدي أن ابن وزيره أبي عبد الله معاوية بن عبد الله ويدعى عبد الله زنديقا ، فاستتابه فقال : لارغبة عما أنا عليه ولا حاجة في غيره » فامر المهدي فضربت عنقه على مرأى من والده (٦) ، وأخذ المهدي كلا من : داود بن روح بن حاتم ، واسماعيل بن مجالد ،

(١) أبو الفرج / الأغاني ج ٣ ص ١٠٩٣ ، ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٧٥ .

(٢) العيون والحدائق ص ٢٧٣

(٣) ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٦٠ ، انظر الذهبي / العبر في خبر من غير

ج ١ ص ٢٤٠

(٤) ابن خلدون / تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢١١

(٥) الذهبي / العبر في خبر من غير ج ١ ص ٢٤٠

(٦) اليعقوبي / ج ٢ ص ٤٠٠ ، المسعودي / مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٢ .

ومحمد بن أبي أيوب المكي ، ومحمد بن طيفور ، بتهمة الزنادقة ، واستتابهم فتابوا وخلي سبيلهم (١)

وقد اختلف في عقاب الزنادقة بعد توبتهم ، ورد في كتاب الأم (٢) « أن الزنديق لا يقتل إذا أظهر التوبة حسب رأى الشافعية ، أما آخرون فيرون أنه إذا تاب لم تقبل توبته » (٣) .

ويقول ابن كثير : (٤) « تتبع المهدي جماعة من الزنادقة في سائر الآفاق فاستحضرهم وقتلهم صبورا بين يديه وكان المتولى أمر الزنادقة عمر الكلواذي » ويقول الالمعي : (٥) « كان المهدي قصاصا للزنادقة » .

واستمر المهدي في ملاحقة الزنادقة وتتبعهم وجد في ذلك خوفا من انتشار مبادئهم الهدامة وخطرها الجسيم على العقيدة والدولة والاخلاق ، ففي سنة ١٦٧ هـ قبض يزيد بن الفيض بتهمة الزنادقة فاعترف بزندقته وجلس إلا أنه هرب من السجن (٦) ويقول الطبري (٧) في حوادث هذه السنة (١٦٧ هـ) : « جد المهدي في طلب الزنادقة : والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم »

- وفي سنة ١٦٨ هـ مات صاحب الزنادقة عمر الكلواذي ، وولى مكانه

(١) ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٧٣

(٢) الشافعي / كتاب الأم ج ٦ ص ١٥٦

(٣) عدم قبول التوبة أن الحاكم لا يعفيه من القتل باظهاره للتوبة أما عند الله فانه يقبل توبة المشركين ويفتح لهم أبواب رحمته ما دامت توبتهم نصوحا .

(٤) ابن كثير / البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٤٩

(٥) اليافعي / مرآة الجنان ج ١ ص ٣٥٦

(٦) ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٧٥

(٧) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٩ ، انظر الذهبي / المعرف في خبر من غير ج ١ ص ٣٤٧

محمد بن عيسى بن حملويه ، فقتل من الزنادقة خلقا كثيرا (١) ،
وفى نفس السنة ١٦٨ هـ اتهم بشار بن برد بالزندقة - كما مر بنا -
فدفعه لصاحب الزنادقة وقال له : اضربه ضرب التلف » ، ومات من
جراة ذلك الضرب (٢)

ولقد كان من شدة حرص المهدي على مطاردة الزنادقة والتنكيل
بهم أن أوصى ابنه الهادي عندما قلده الامر أن ينكل بهم ويتتبعهم
بشدة ، ويقول الطبرى فى ذلك : (٣) « ان المهدي قال لموسى : (يعنى
الهادي ابنه) يوما وقد قدم إليه زنديق فاستتابه فابى أن يتوب فضرب
عنقه ، وأمر بصلبه يابنى : ان صار لك هذا الامر فتجرد لهذه العصابة
يعنى أصحاب ماني ، فانها تدعو الناس إلى ظاهر حسن كاجتناب
الفواحش والزهد فى الدنيا والعمل للآخرة ، ثم تخرجها إلى تحريم
اللحم ومس الماء الطهور وترك قتل الموام تحرجا وتحوبا ، ثم تخرجها
من هذه إلى عبادة اثنين ، أحدهما النور ، والآخر الظلمة ، ثم تبيح
بعد هذا نكاح الاخوات والبنات والاغسال بالبول ، وسرقة الاطفال
من الطرق لتنقذهم من خلال الظلمة إلى هدايا النور فارفع فيها
الخشب وجرد فيها السيف ، وتقرب بامرها إلى الله لاشريك له فانى
رأيت جدك العباس فى المنام قلدى بسيفين وأمرنى بقتل أصحاب
الاثنين قال : موسى بعد أن مضت من أيامه عشرة أشهر : أما والله
لئن عشت لأقتلن هذه الفرقة كلها حتى لاأترك منها عينا تطرف ،

(١) ابن الأثير / الكامل ج ١٠ ص ٨٠ .

(٢) أبو الفرج / الأغاني ج ٣ ص ١٠٩٦ .

(٣) الطبرى / تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٤٢ .

ويقال إنه أمر أن يهيا له ألف جذع فقال هذا في شهر كذا ومات
بعد شهرين »

وقد نفذ الهادي وصية والده وحقق رغبته بمطاردة الزنادقة والتنكيل
بهم ويقول الطبري في حوادث سنة ١٦٩ هـ : (١) « في هذه السنة
اشتد طلب موسى الزنادقة ، فقتل منهم فيها (يعني بغداد) جماعة
فكان من قتل منهم : يزدان بن باذان كاتب يقطين ، وعلى بن يقطين
من أهل النهروان » ، ذكر عنه أنه حج فنظر الناس في الطواف يهرولون
فقال : « ما أشبههم إلا ببقر تدوس في البيدر » ، وله يقول العلاء
ابن الحداد الاعمى :

أيا أمين الله في خلقه ووارث الكعبة والمنبر
ماذا ترى في رجل كافر يشبه الكعبة بالبيدر
ويجعل الناس إذا ماسعوا حمرا تدوس البرّ والدوسر

فقتله موسى الهادي ثم صلبه (٢)

ولما تسلم هارون الرشيد الخلافة سلك طريق من سبقه من الخلفاء
في متابعة الزنادقة وتعقبهم ويرون الطبري في حوادث سنة ١٧١ هـ
أن الرشيد آمن من كان هارباً أو مستخفياً غير نفر من الزنادقة منهم
يونس بن أبي فروة ويزيد بن الفيض » (٣)

أما الخليفة المأمون فقد بلغه خبر عشرة من الزنادقة يذهبون إلى

(١) أي في السنة التي تولى فيها الهادي الخلافة .

(٢) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٢٣

(٣) المصدر السابق ص ٥٠

قول مائى ، ويقولون بالنور والظلمة من أهل البصرة ، فإمر بحملهم إليه بعد أن سموا واحدا واحدا ولما وصلوا إلى بغداد أدخلوا على المأمون ، دعاهم باسمائهم رجلا رجلا وسألهم عن دينهم فأخبروه الإسلام ، ثم امتحنهم ودعاهم إلى البراءة من مائى (١) وأظهر لهم صورته وأمرهم أن يبصقوا عليها والبراءة منها ، كما أمرهم أن يذبحوا طائر ماء وهو الدراج وقد رفضوا ذلك فقتلهم (٢) .

وتستمر متابعة الزنادقة من قبل الخلفاء وهاهو المعتصم (٣) يحاكم قائد جيوشه الأفشين لما شق عصا الطاعة بتهمة الزندقة ووجه له عدة تهمة أخرى ، وأمر المعتصم بإحضار الأفشين ليقابل ما قيل عنه وشكل لجنة لمحاكمته كان من أعضائها محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم ، وأحمد بن أبي داود ، واسحق بن إبراهيم ويقول ابن الأثير (٤) : « وكان المناظر له (يعنى الأفشين) ابن الزيات ، فأمر بإحضار مازيار ، والموبد ، والمرزبان بن بركش ، وهو أحد ملوك السند ، ورجلين من أهل السند ، فدعا محمد بن عبد الملك بالرجلين ، وعليهما ثياب رثة . فقال لهما : ما شأكما ؟ فكشفا عن ظهورهما ، وهى عارية من اللحم . فقال للأفشين : أتعرف هؤلاء ؟ قال : نعم ، هذا مؤذن وهذا أمام بنيا مسجدا بأشروسنه ، فضربت كل واحد

(١) أحدث مائى دينا بين المجوسية والنصرانية وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام ، ويزعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قد يمين أحدهما نورا والآخر ظلمة وأنها أزيلان لم يزلوا ولن يزالا . انظر الشهرستاني / الملل والنحل ج ٢ ص ٤٩ .

(٢) المسعودى / مروج الذهب ج ٣ ص ٤٢١ - ٤٢٢ .

(٣) عهد المعتصم فى زمن متأخر عن الفترة التى حددت البحث فيها وهى نهاية عهد المأمون سنة ٢١٨ ولكن لاحظنا أنه من باب استكمال البحث والفائدة يحسن إيراد محاكمة الأفشين .

(٤) ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٥١٣ - ٥١٨ .

منهما ألف سوط ، وذلك أن بيني وبين ملك السند عهدا وشرطا أن أترك كل قوم على دينهم ، فوثب هذان على بيت كان فيه أصنام أهل أشروسنه ، فاخرجوا الأصنام وجعلوا مسجدا ، فضربتهما على هذا .

قال ابن الزيات ما كتاب عندك قد حليت بالذهب والجوهر فيه الكفر بالله تعالى ؟

قال كتاب ورثته من أبي فيه من آداب العجم وكفرهم ، فكنت أخذ الآداب وأترك الكفر ، ووجدته محلى فلم أحتج إلى أخذ الحلية منه ، وما ظننت أن هذا يخرج من الإسلام .

ثم تقدم الموبدان فقال : ان هذا يأكل لحم المخنوقة ويحملني على أكلها ، ويزعم أنها أرطب من المذبوحة ، وقال لي يوما : قد دخلت لهؤلاء التوم في كل شيء أكرهه ، حتى أكلت الزيت وركبت الجمل ، والبغل غير أنني إلى هذه الغاية لم تسقط عني شعرة يعني أخذ شعر العانة ، ولم أختتن ، فقال الافشين : أخبروني عن هذا أثقة هو في دينه ؟ وكان مجوسيا (١) فقالوا : لا ، فقال : فما معنى قبول شهادته ؟ ثم قال للموبذ : أليس كنت أدخلك على واطلعك على سري ؟ قال : بلى . قال : لست بالثقة في دينك ، ولا بالكريم في عهدك ، إذا أفشيت سرا أسررته إليك .

ثم تقدم المربزان فقال : كيف يكتب إليك أهل بلدك ؟ قال : لا أقول ، قال : أليس يكتبون بكذا بالاشروسنه ؟ قال : بلى ، قال : أليس تفسيره بالعربية إلى اله الآلهة من عبده فلان بن فلان ؟ قال :

(١) أسلم الموبذ في خلافة المتوكل .

بلى ، قال محمد بن عبد الملك الزيات : المسلمون لا يحتملون هذا ،
فما أبقيت لفرعون ؟ قال : هذه كانت عادتهم لآبى وجدى ولى قبل
أن أدخل فى الإسلام ، فكرهت أن أضع نفسى دونهم فتفسد على
طاعتهم

ثم تقدم مازيار فقال للافشين : هل كاتببت هذا ؟ قال : لا ،
قالوا للمازيار : هل كتب إليك ؟ قال : نعم ، وكتب أخوه إلى أخى
قوهيار أنه لم يكن ينصر هذا الدين الابيض غيرى وغيرك ، فاما
بابك فإنه لحمقه قتل نفسه ، ولقد جهدت أن أصرف عنه الموت
فأبى لحمقه إلا أن أوقعه ، فان خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به
غيرى ، ومعى الفرسان ، وأهل النجدة فإن وجهت إليك لم يبق أحد
يحاربنا إلا ثلاثة العرب ، والمغاربة ، والأتراك ، والعربى بمنزلة الكلب
اظرح له كسرة واضرب رأسه والمغاربة أكلة رأس ، والأتراك
فإنما هى ساعة حتى تنفذ سهامهم ، ثم تجول الخيل عليهم جولة
فتأتى على آخرهم ، ويعود الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم

فقال الافشين : هذا يدعى أن أخى كتب إلى أخيه لايجب على
ولو كتبت هذا الكتاب إليه لاستميله إلى ويشق بى ، ثم آخذه بقفاه ،
وأحطى به عند الخليفة ، كما حظى عبد الله بن طاهر ، فزجره ابن
أبى داود ، فقال الافشين : أبا عبد الله أنت ترفع طيلسانك فلا تضعه
حتى تقتل جماعة ، فقال له ابن أبى داود : أمظهر أنت ؟ قال : لا ،
قال : فما منعك من ذلك وبه تمام الإسلام ، والظهور من النجاسة
فقال : أوليس فى الإسلام استعمال التقية ؟ قال : بلى ، قال خفت
أن أقطع ذلك العضو من جسدى ، فاموت ، قال : أذنت تطعن بالرمح ،
مكتبة المهتدين الإسلامية

وتضرب بالسيف ، فلا يمنعك ذلك أن يكون ذلك في الحرب ، وتجزع من قطع قلقة ؟ قال : تلك ضرورة تصيبني فأصبر عليها ، وهذا شيء استجلبه ، فقال ابن داود قد بان لكم أمره فسجن واستمر في سجنه حتى دبر المعتصم قتله وذلك سنة ٢٢٦ هـ »

* * *

ونلاحظ من الحوادث والمعلومات التي استعرضناها أن معظم الزنادقة من الفرس أو متأثرين بهم ، كما وتبيننا جهود الخلفاء العباسيين في عصر الدولة العباسية الأولى في محاربة الزندقة ، ومطاردة الزنادقة والتنكيل بهم ، مع اختلاف في مستوى المطاردة ، والمتابعة من حيث القوة والضعف والشدة واللين ، والكم والكيف بين خليفة وآخر ، ولا شك أن الخلفاء أدركوا حقيقة خطر الزنادقة ، وما يجرونه على البلاد من مبادئ هدامة تدعو إلى التحلل من الدين وهدم قواعده كما تدعو إلى فساد الاخلاق ، ونشر الفسق والمجون والالحاد بين أفراد المجتمع

ولا نجانب الحقيقة إن قلنا إن لأولئك الزنادقة أهدافا وتطلعات سياسية يطمحون إلى تحقيقها من خلال نشر تعاليمهم ومبادئهم الهدامة واضعاف الدين الإسلامي ، وتتركز هذه الاهداف والتطلعات في القضاء على دولة الإسلام العربية وإقامة دولة مانوية أو زرادشتية فارسية (١)

كما أن الدولة العباسية قامت على أساس ديني كما كان يشيع

(١) انظر أحمد أمين / ضحى الإسلام ج ١ ص ١٣٩

دعاتها وخلفاؤها الاول ، وقد قامت لتصحيح الاوضاع والخراب المنتشر في الدولة الاموية وحرب هذا الدين أو محاولة النيل منه يعتبر حرباً للدولة التي قامت عليه وتهديدا لاستمرارها وهذا ما لا يرضاه بالطبع أى من خلفائها

وبنهاية الحديث عن حركة الزندقة نكون قد أتينا إلى نهاية الحركات الفارسية التي قامت مناوئة للدولة العباسية في عصرها الاول ، وقد تبين لنا فيما سبق أن هذه الحركات يمكن وضعها في ثلاث دوائر هي : الدائرة السياسية ، والدائرة الدينية والدائرة العنصرية

وإذا طلب منا أن نحدد أدم النتائج أو نتيجة النتائج التي تولدت عن هذه الحركات فيمكننا أن نقول انها عمقت الشعور العرقى لدى الفرس ، وأصلت لديهم احساس الكراهية ضد العرب . وهذه النتيجة هي الوجه الثانى لعملة وجهها الآخر ما يعرف بالشعبوية لدى دارمى الادب

الخاتمة

سنقتصر في الحديث هنا على ايراد أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة ، وأود أن أؤكد هنا أن النتائج التي انتهت إليها ليست كلها جديدة بمعنى أنني أنا أول من توصل إليها ، إذ الحقيقة أن معظم هذه النتائج تأتي تأكيداً لبعض الاستنتاجات التي توصل إليها دارسون سابقون ، وقد يكون لي بعض النتائج ، ولكن تعودنا من أساتذتنا أن نقدم أفكارنا بكل تحفظ ، وأيضاً بكل تواضع

ومهما يكن من أمر فإن الفرس كان لهم تأثيرهم السياسي الكبير على الدولة العباسية في المرحلة الأولى من تاريخها ، والتأثير السياسي للفرس كان منه الإيجابي ومنه السلبي ، الإيجابي أو النافع للدولة العباسية ، والسلبي أو الضار بالدولة العباسية وبمعنى أدق للأسرة العباسية.

وبصورة عامة فإنه يعود إلى الفرس الفضل في تحديد مفهوم الوزارة في التاريخ الإسلامي ، وأيضاً في توضيح ملامح الممارسة العملية لمهام هذا المنصب ولم يكن لهذا المنصب وجود قبل الدولة العباسية مع أن مهام الوزير أو بعضها كانت تمارس بطريقة أو بأخرى ، كما يعود إلى الفرس أيضاً الفضل في التنظيم الاقتصادي للدولة العباسية وذلك من حيث الموارد ووجوه الانفاق ، وما يقال عن التنظيم الاقتصادي يمكن أن يقال نظيره عن التنظيم الإداري

فهذه التنظيمات قد تبلورت وتحددت بصورة حاسمة وعلى أيدي
الفرس في هذه الفترة من تاريخ الدولة العباسية

وإلى جانب هذه التأثيرات الإيجابية فإن الفرس كانت لهم أيضا
تأثيراتهم السلبية ، بل إن هذا النوع من التأثيرات يفوق من الناحية
الكمية النوع السابق بكثير

✽ وقد وضع لنا أن الفرس في مساعدتهم الدعوة العباسية ضد الدولة
الاموية كانوا يسعون وراء تحقيق مصالح العناصر الفارسية أكثر
من تحقيق مصالح الأسرة العباسية ، وقد برزت المصالح الفارسية
التي تحركها النزعة العنصرية أول ما برزت في سياسة الزعيم الخراساني
أبي مسلم ، والتي ترجم عنها استعلاؤه على أبي جعفر المنصور ، وقد رأى
الخليفة العباسي في سياسة الزعيم الفارسي ، وفي استعلائه بوادراتجاه
جديد يشكل خطرا كبيرا على الدولة واقتضت حكمة المنصور وبعد
نظره أن يقضى على الخطر قبل استفحاله . وبالتالي قتل أبا مسلم ،
وكان هذا الزعيم أول ضحايا التطلعات الفارسية .

وبعد حوالي أربعين سنة من تطلعات أبي مسلم حاولت أسرة البرامكة
أن تحقق ما فشل فيه الزعيم الخراساني غير أن حظهم لم يكن بأفضل
من حظ سلفهم ، ذلك لأن الرشيد الذي يبدو أنه كان يعي الدرس
السابق وعيا كاملا ، استطاع أن يدبر لتدمير البرامكة في خطة محكمة ،
وبالتالي حرر دولته وحرر الأسرة العباسية من خطر الوقوع تحت
السيطرة الفارسية

وبعد سنوات قليلة أعاد التاريخ نفسه مع آل سهل والخليفة
مكتبة المهتدين الإسلامية

المأمون ، فقد حاول الفضل بن سهل أن يحقق التطلعات التي مات دونها أبو مسلم وتحطمت دونها دولة البرامكة ، وفعلا بدت وكأنها تسير كما رسم لها هذا الزعيم الفارسي غير أن المأمون استطاع بمهارة سياسية فائقة أن يعيد الأمور إلى نصابها السليم حينما نجح في إحدى الليالي في القضاء على الفضل بن سهل وبالتالي تحرير الدولة العباسية من الوقوع تحت السيطرة الفارسية //

هذا هو المجرى الرئيسي لاهم التطورات السياسية في الدولة العباسية على مدى فترة/تقرب من قرن من الزمان ، ومما لاشك فيه أن الآثار السياسية التي ارتبطت بهذا المجرى الرئيسي لم تكن من النوع الإيجابي ، ولعل من أهم نتائجها السلبية تحديد ملامح النزعة العنصرية لدى الفرس ، وهى النزعة التي تحمل اسم « الشعوبية » فى الدراسات الادبية ، إذ أن هذا الصراع المقنع أحيانا والمكشوف أحيانا أخرى قد حرك وأثار حفيظة الكثيرين من الفرس ضد العرب ، فهبوا يتغنون بامجادهم السابقة ويحاولون النيل من العرب والحط من شأنهم ، وعلى الجانب الآخر ، فإن العرب لم يسكتوا عن ذلك ، بل ان البعض منهم تصدوا للمهاجمين وبنفس الأسلوب

وإذا كان المشتغلون بالادب يرون فى الحركة الشعوبية أنها أثرت إيجابيا فى الحياة الادبية فإن الدارسين للتاريخ يرون أن هذه الحركة قد ألحقت أكبر الضرر بالعلاقات بين العرب والفرس ، وليس بعيداً أن يكون هذا الضرر قد خلف ظلاله القائمة على العلاقات بين الجانبين على مدى القرون اللاحقة

هذا وفي داخل الهيكل العام السابق من الممكن أن نقدم النتائج المحددة التالية :

١- يرجع إلى المنصور الفضل في ظهور سياسة التوازن في المناصب العليا في الدولة العباسية ، للفرس الوزارة وللعرب قيادة الجيوش في معظم الاحيان ، وباستمرار كانت الدولة العباسية تتعرض للمخاطر كلما اختل هذا التوازن

٢- ظهور الوزراء الخطرين في عهود الخلفاء الأوائل مثل المنصور والمهدى والرشيد ، أما الوزراء العاديون فقد تعاقبوا على المنصب في فترة لاحقة وبصفة خاصة في عهد المامون بعد رجوعه إلى بغداد

٣- من أبرز التهم التي سجلت على الوزراء الأقوياء أو الوزراء الخطرين الاتصال بالعلويين والتعاطف معهم والعلويون كما هو معروف أعداء للدولة العباسية ، وذلك مثل ما حدث من أبي سلمة الخلال ، ويعقوب بن داود

وهذه التهمة كانت من أهم المآخذ التي أخذت على الأسرات المتحكمة ، أسرة البرامكة وآل سهل

٤- وزراء المستوى الخطر اختلفت نهايتهم عن نهاية الوزراء من المستوى العادي فالاول انتهت حياة معظمهم بالاغتيال ، ولو بشكل غير مباشر أو بالسجن أما الوزراء العاديون فكانت نهاية معظمهم نهاية طبيعية

٥ - حركة سنباذ كانت حركة سياسية بالدرجة الأولى فقد قام بحركته مطالباً بدم أبي مسلم الخراساني وغريمه لاشك أبو جعفر مكتبة المهتدين الإسلامية

المنصور رئيس الدولة العباسية ، وهى حركة دينية فى الدرجة الثانية .
إذ هى ثورة للمجوس ضد أتباع الدين الإسلامى والا فما هو المغزى .
مما كان ينويه سنباذ من قصد الكعبة وهدمها .

كما أن سنباذ بعد أن أعلن ثورته انتحل اسما ولقباً ، كان
الاسم يطلق على الرجال البارزين فى تاريخ الامبراطورية الفارسية ،
واللقب يطلق على حكام المناطق فى هذه الامبراطورية

وانتحال سنباذ لذين الاسم واللقب يعنى انسلاخه من التبعية
للدولة العربية وتطلعه إلى احياء أمجاد الدولة الفارسية الغابرة وبتعبير
آخر فإن هذه الظلال توحى بنان ثورة سنباذ كانت أيضاً ثورة القومية
الفارسية ضد القومية العربية

⑥ حركة الراوندية ، على الرغم من أنها كانت تنظر إلى
المنصور نظرة تقديس ، كانت تستهدف القضاء على الدولة العباسية ،
وذلك لان الدولة العباسية قامت على أساس دينى ، والراوندية بحركتهم
هذه كانوا يخططون لتحطيم هذا الاساس ، وفى ضوء هذا فان الجانب
السياسى فى حركة الراوندية أقوى بكثير من الجانب الدينى كما هو
الحال بالنسبة لحركة سنباذ . ويؤدى بنا هذا إلى القول بوجود
تشابه أو تقارب كبير بين حركة الراوندية وحركة سنباذ

٧ - لايمكن النظر إلى الحركتين السابقتين على أنهما حركتان
دينيتان خالصتان ، وذلك لان الدولة العباسية قامت أساساً على دعوة
استهدفت تصحيح الانحرافات الدينية التى أخذت تظهر فى النظام
السياسى السابق أى أنها قامت على أساس دينى فمحاولة النيل من هذا

الاساس أو تقويضه يعتبر عملاً مباشراً ضد الدولة العباسية باعتبارها
نظاماً سياسياً

٨ - حركة الراوندية وثورة سنباذ من أوائل الحركات الفارسية ،
فهما إلى جانب موقف أبي مسلم يمكن النظر إليهما باعتبارهما أرسنا
الفكرة العنصرية لدى الفرس

٩ - على الرغم من الاختلاف الظاهري بين الراوندية وحركة
سنباذ فإن الراوندية ليست سوى تكراراً لحركة سنباذ ، وقد أدى
هذا بدوره إلى الاختلاف الظاهري ، أما جوهر الحركتين فامر واحد
هو العمل ضد الدولة العباسية ، ومن هذه الزاوية تلتقي هاتان الحركتان
مع التطلعات التي حكمت تصرفات أبي مسلم الخراساني

١٠ - موقف أبي مسلم وثورة سنباذ وحركة الراوندية تشكل في
مجموعها تياراً سياسياً واحداً ، وقد غلبت على هذا التيار في بعض
مراحلها النزعة القومية ، وفي مراحل أخرى اكتسب مسحة دينية ،
وفي ضوء هذا فإن موقف المنصور في مواجهة هذه الحركات الثلاث
يمكن النظر إليه من زوايا متعددة ولكن ليست مختلفة أو متعارضة ،
يمكن النظر إليه من زاوية سياسية ، أي زاوية الدفاع عن النفس وعن
النظام العباسي الذي كان لا يزال حديث العهد وفي حاجة إلى المزيد
من الدعم والتثبيت ، وزاوية قومية ، أي زاوية الدفاع عن السيادة
العربية ، والعباسيون في القمة بين البيوتات العربية وزاوية دينية ،
أي زاوية الحفاظ على الدين الإسلامي والحفاظ على القيم التي أرساها
هذا الدين

١١ - حركة المقنع حركة سياسية دينية عنصرية ، وقد برزت

فيها بوضوح النعرة العنصرية ، النعرة التي وصلت إلى حد تأليه أبي مسلم واسقاط المنصور من بين الخلفاء ، وحركة المقنع من هذه الزاوية تعبير عن احياء لحركتي سنباذ والراوندية

١٢ - ارتفاع المقنع بابي مسلم إلى مرتبة الألوهية ، وما واكب ذلك من فكرة التناسخ وهدم أركان الدين الإسلامي ، واحياء تعاليم مزدك ، كل هذا تأكيد على أن دعوة المقنع كانت خروجاً صريحاً على الدين الإسلامي ، وهو نفس الاتجاه الذي سار فيه من قبل كل من سنباذ والراوندية واستاذ سيمس

أما تفضيل المقنع لابي مسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فإنه عمل استهدف اثاره العنصرية الفارسية ممثلة في الزعيم الخراساني على حساب النبي العربي

١٣ - تأتي حركة بابك الخرمي امتداداً للحركات الفارسية السابقة حيث قامت على أساس ديني وسياسي وعنصري فمن الناحية الدينية نادى برفع التكليف واطلاق الشهوات ، لدى الناس ، وقال بالتناسخ ، وكل هذه أفكار منافية للدين الإسلامي

ومن الناحية السياسية فقد استغل بابك الظروف السيئة التي تعاني منها الدولة العباسية نتيجة للحرب الاهلية بين الأمين والمأمون فأعلن ثورته ، ومن هذه الزاوية تعبر حركة بابك حركة سياسية ضد السيادة العربية

أما الناحية العنصرية فحركة بابك تعتبر تعبيراً وتنقيساً عن الكراهية التي كانت تمتلئ بها نفوس أقوام من الفرس ضد العرب .

١٤ - من هذه النواحي الثلاث يتضح لنا وجود قدر كبير من

التشابه بين حركة بابك من ناحية والحركات الفارسية السابقة من ناحية أخرى

١٥ - يوجد ارتباط وثيق أو تلازم بين الزندقة والشعبوية . ولا أدل على ذلك من أن يونس بن أبي فروة ، وهو واحد من زنادقة الفرس ، وضع كتابا في مثالب العرب وعيوب الإسلام ، وكون الكتاب المذكور قد أقامه مؤلفه على الجانبين السابقين تأكيد على حقيقة الارتباط الوثيق بين الزندقة كتيار ديني والشعبوية كحركة قومية أو عنصرية

١٦ - كان إقليم خراسان يمثل العنصرية الفارسية ، وقد اتضح ذلك من حرص أبي مسلم على الذهاب إلى خراسان ، وتجنيد الفضل ابن يحيى البرمكي في خراسان جيشا من الفرس ، وذهاب الفضل ابن سهل ومعه المامون إلى خراسان وذلك في ظروف الحرب الاهلية التي دارت بين الامين والمامون ، كما يلاحظ أيضا أن الدولة الطاهرية ، وهي أول دولة فارسية اتخذت من إقليم خراسان وطنا لها

١٧ - ليس صحيحا ما يقال من أن نكبة البرامكة تعود إلى العلاقة التي يقال أنها كانت قائمة بين جعفر البرمكي والعباسة أخت الرشيد ، أما الاسباب الحقيقية لنكبة البرامكة فهي استيلاؤهم على دولة الرشيد واستبدادهم بالأمور دونه ، والعمل لتحقيق التطلعات العنصرية الفارسية

١٨ - الازمة بين الرشيد والبرامكة ليست بنت الوقت التي ظهرت فيه ، بل ان جذورها ترجع إلى ما قبل ذلك لعدة سنوات ، مكتبة المهتدين الإسلامية

أما الخطة العملية التي وضعها الرشيد للقضاء على البرامكة فانها ترجع إلى عام سابق على النكبة في أقل تقدير

١٩ - لم يكن التعاطف الذي أبداه البرامكة أو الفضل بن سهل تجاه العلويين تعاطفا حقيقيا ، بل كانت خطة لكسب المزيد من الانصار في مواجهة الخلفاء العباسيين

٢٠ - رضوخ المامون لمطالب الفضل بن سهل مجرد عملية تمويه أما السياسة الحقيقية للمأمون فهي ضرورة القضاء على الفضل بن سهل وما كان يمثله من تحكم العناصر الفارسية ، والرضوخ كان مجرد عملية تمويه قصد به كسب الوقت حتى تحين الفرصة المناسبة ولما حانت تخلى المأمون عن الزعيم الفارسي ، وأيضا من ولي العهد العلوي .

٢١ - يمكن أن يقال عن البرامكة وآل سهل أنهم اقتدوا بابي مسلم الخراساني في تطلعاتهم السياسية ، وهذا يؤكد أن الظلال السياسية التي خلفها أبو مسلم على الحياة السياسية كانت قوية ولها تأثيرها البعيد في تاريخ الدولة العباسية

٢٢ - وفي مقابل ذلك فإن الموقف الحاسم الذي وقفه المنصور من أبي مسلم هو المثل الذي احتذى به كل من الرشيد والمامون ، ومعنى هذا أيضا أن المنصور قد خلف اتجاهها سياسيا أساسيا تشكل من خلاله تاريخ الدولة العباسية

نتيجة حاسمة

النتائج السابقة في مجموعها كانت محدودة في مداها الزمني والجغرافي حتى وإن كان بعضها خطراً من حيث الآثار والنتائج ، أما نتيجة النتائج والتي أحدثت تغييراً في مجرى التاريخ السياسي للدولة

العباسية ، والتي انتهت بها في تاريخ الدولة العباسية حقبة وابتدأت حقبة أخرى ، فهي ذلك التغيير الجوهرى فى العناصر المسيطرة على مقاليد الأمور فى الدولة العباسية

✳ ويبدو أن التراكمات التى تجمعت من التجارب التاريخية السابقة قد حملت الخليفة المامون على أن يتجه بالدولة العباسية وجهة جديدة هى الابتعاد عن الاستعانة بالعنصر الفارسى بقدر ما تسمح به الظروف المحيطة به ، وإحلال عنصر جديد محله ، وكان هذا العنصر هو الأتراك .

وقد بدأ هذا الاتجاه بداية ضعيفة فى أواخر عهد الخليفة المامون إلا أنه بلغ قمته فى عهد المعتصم ومن جاء بعده من الخلفاء ، وساحلوا هنا أن أقدم للقارىء تصويراً سريعاً للنفوذ التركى باعتباره القوة الموجهة التى حلت محل الفرس فى رسم وتخطيط السياسة العباسية

عرف العرب الأتراك منذ فتح بلاد ما وراء النهر على يد قتيبة ابن مسلم الباهلى فى العصر الاموى ، وعرفوا فيهم عنصراً محارباً من الطراز الاول ، وقد أشركهم العرب فى جيوشهم ، وساهموا فى الحروب التى قام بها المسلمون فى البلاد الواقعة وراء بلاد الترك ، وقد أبى العرب على ملوكهم ، وعلى نظام الحكم لديهم ، واكتفوا بعقد أحلاف بينهم وبين الخلفاء ، وخضوعهم لسلطة الدولة العربية ممثلة بولاتها فى مناطقهم (١)

إلا أن هؤلاء الأتراك تسللوا إلى حاضرة الدولة الإسلامية فى العصر العباسى ، وأخذوا يظهرون على مسرح الأحداث فى بغداد بكثرة منذ

(١) حسن محمود العالم الإسلامى فى العصر العباسى ص ٣١٣ .

عهد الخليفة المامون ، لان المامون رأى أن العرب يقفون خلف الامين ، والفرس وإن كانوا يؤيدونه ويناصرونه إلا أنه لم يكن مطمئناً إليهم لانه يرى طموحهم إلى السلطة ، وقد مر بنا ما اتخذ المامون تجاه آل سهل ، وآل طاهر ، لذلك بدأ يستخدم المحاربين من الاتراك ، وجلبهم للعمل كقوة حربية تقف بجانب الخلافة العباسية (١) .

وتوسع خلفاء المامون في الاعتماد على هذا العنصر الجديد حتى علا شأنهم وعظم أمرهم

ومع اشراقه عهد المعتصم بدأ نجم الاتراك ، يلعب ، وأخذ نفوذهم يقوى ويشد ، حيث اعتمد عليهم المعتصم واستخدمهم في الجيش على نطاق واسع حتى صار معظم عسكره من جند أهل ماوراء النهر ، من السند ، والفراغنة ، والأشروسنه ، وأهل الشاش وغيرهم (٢)

ويقول المسعودى (٣) : (وكان المعتصم يحسب جمع الاتراك وشراءهم من أيدي مواليهم) ، ويقول ابن تغرى بردى (٤) (إعتنى المعتصم في اقتناء الترك فبعث إلى سمرقند وفرغانه والنواحى لشرائهم ، وبذل فيهم الاموال ، وألبسهم أنواع الديباج ، ومناطق الذهب ، وأمعن في شرائهم حتى بلغت عدتهم ثمانية آلاف ، وقيل ثمانية عشر ألفاً بوهو الأشهر)

وهكذا أخذ عددهم في إزدياد ونفوذهم في صعود حتى بلغ عددهم تقاربة سبعين ألفاً (٥) وسيطروا على مقاليد الأمور في عهد المعتصم ومن

(١) البلاذرى / فتوح البلدان ص ٢٨٥

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٥

(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٤٦٥ ، انظر السيوطى تاريخ الخلفاء ص ٣٦٢ .

(٤) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٣٣

(٥) جمال سرور / تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٢٣

تلاه من الخلفاء حتى دالت دولة الاتراك ، ومن أبرز شخصياتهم في عهد المعتصم حيدر بن كاوس الملقب بالافشين ، وإيتاخ ، وأشناس ، ووصيف ، وسيا الدمشقي . (١) ومن أسباب استعانة المعتصم بالاتراك مايلي :

١ - لاحظنا من خلال بحثنا أن الخلفاء العباسيين السابقين عملوا توازنا في النفوذ بين العرب والفرس ، ومتى ما طغى نفوذ عنصر على آخر هددت سلطة الخلافة بالخطر ، ولكن عدم ثقة المعتصم (٢) جعله لا يعتمد عليهم ، ويبحث عن عنصر آخر لمؤازرته ومساعدته لانه لاحظ من الفرس تعاطفا مع العباس بن المأمون حيث أثاروا الشعب ضده ، ورشحوا العباس للخلافة ، وكادت تستفحل الفتنة وتتفاقم الأمور لولا تدارك المعتصم للموقف حيث دعا العباس إلى حضرته ، وطلب مبايعته فبايعه وزجر الجند وقال : (قد بايعت عمي وسلمت الخلافة إليه) (٣)

ومن هذه الحادثة فكر المعتصم جديا في الاستعانة بعنصر آخر يعتمد عليه في حمايته ومساندته فهده تفكيره إلى الترك ، ولاشك أن المعتصم كان يدرك ويتذكر مواقف الفرس مع من سبقه من الخلفاء العباسيين . ومواقف الخلفاء معهم ، أبو مسلم الخراساني مع أبي جعفر المنصور . والبرامكة مع الرشيد ، والفضل بن سهل مع سلفه المأمون ، ولاشك

(١) اليعقوبي ج ٣ ص ٥٠٤

(٢) التحول إلى العنصر التركي بدأ في أواخر عهد المأمون إلا أنه لم يتم وبالصورة التي سيطر معها الاتراك على أمور الدولة إلا في عهد المعتصم أما المأمون فبدأ استعانتة بالاتراك باستمالة المحاربين منهم

(٣) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٣٠٤ ، ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ١٦١ .

أن لسان حال المعتصم يقول : لم يكن هناك مجال للاعتماد على الفرس والثقة بهم

٢ - أم المعتصم تركية من الصغد ، وقد تشبه المعتصم بملوك أنحواله الاتراك في كثير من طباعه النفسية وصفاته الجسدية ، واعتد بقوته وشجاعته ، ولهذا الأمور دعت العصبية التركية إلى الإكثار من الاتراك ، والاعتماد عليهم (١)

أكثر المعتصم من الاتراك حتى امتلأت بهم بغداد ، وقد كانوا يتصفون بالخشونة ويحيون حياة تشبه حياة البادية ، ويعاملون الناس معاملة قاسية فظة حتى آذوا أهل بغداد فضاق بهم الناس ذرعاً ، وكانوا يتجولون على صهوات جيادهم بل أحياناً يتسابقون في شوارع بغداد وأزقتها في تهور مخيف حتى ضاقت بهم مدينة السلام (بغداد) ، وكان أهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمه لامرأة أو شيخ أو صبي أو ضرير (٢)

أصبح الاتراك يشكلون خطراً كبيراً في عاصمة الخلافة بغداد . وقد نشأ هذا الخطر عن امكانية الصراع الذي كاد أن ينفجر أكثر من مرة نتيجة الاحتكاك الذي كثيراً ما وقع بين العناصر المدنية ، والعناصر العسكرية التركية في عاصمة الخلافة العباسية (٣) ، ولما اشتد أذاهم للناس وتفاقت مشاكلهم شكاهم أهل بغداد على المعتصم وهددوه بالدعاء عليه ، وقالوا : (إن لم تخرج عنا بجندك حاربناك ، وقال :

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٤٦٥ ، حسن محمود / العالم الإسلامي ص ٣١٦ .

(٢) المسعودي / مروج الذهب ج ٣ ص ٤٦٦

(٣) ابن الأثير / الكامل ج ٦ ص ٤٥٢ ، ابن طباطبا / الفخرى في الآداب السلطانية

ص ٢٣١ ، حامد غنيم عصر الدول الإقليمية ج ١ ص ١١ - ١٢

وكيف تحاربوننى ؟ قالوا : بسهام الأسحار ، قال : لاطاقة
لى بذلك)

كما أن المعتصم كان يخشى وقوع كارثة بتصادم من المنتظر أن
يحصل بين أهل بغداد ، وجيش المعتصم من الاتراك ، لذلك لم ير بدأ
من بناء مدينة سامرا ونقل الاتراك إليها ، واتخذها حاضرة للدولة
العباسية وقرب الاتراك إليه ، فعظم شأنهم ، وقوى نفوذهم ، وتولوا
قيادة الجيش ، واحتلوا المراكز السياسية الهامة فى الدولة

ويقول الخضرى (١) (المعتصم وحده يتحمل تبعة أكثر ما حل
بالعباسيين من بعده من اضطراب أمرهم)

ونحنى الواثق منحى أبيه فى إدناء الاتراك والإكثار منهم ،
ويصور السيوطى ما وصل إليه نفوذ الاتراك فى عهد الواثق بقوله (٢) :
« سنة ٢٢٨ استخلف على السلطنة (يعنى الواثق) أشناس التركى
سلطاناً » ، وهذه لاشك ثقة من الواثق بالله ، ومكانة عالية لأشناس
من هذا المركز يستطيع التصرف بأمر الدولة ، ويقول .. أحمد
الشرىف (٣) : (تقلد الاتراك مناصب هامة فى الدولة اضطر الخلفاء
إلى ابتداعها حتى يستميلوا إليهم قلوب هؤلاء الاتراك ، ومن ذلك
العهد أخذ التاريخ الإسلامى يصطبغ بالصبغة التركىة ، وبعد أن كانت
الاحداث تتصل فى العصر الاموى باعلام العرب من أمثال الحجاج
ابن يوسف ، وزيد ابن أبىه ، وقتيبة بن مسلم ، وموسى بن نصير ،

(١) تاريخ الأمم الإسلامىة ج ٣ ص ٢٤١

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٣٦٧

(٣) العالم الإسلامى فى العصر العباسى ص ٣١٧ - ٣١٨ .

حوفي العصر العباسي الاول باعلام الفرس من أمثال أبي مسلم الخراساني ،
والبرامكة ، وبني سهل وعبد الله بن طاهر (١) ، ظهر التاريخ مرتبطة
أحداثه بأشناناس ، وإيتاخ ، وبغا الكبير ، وبغا الصغير ، وابن
طولون ، والاشيد وغيرهم من الاتراك ؛ إذ صاروا هم القابضون على
زمام الدولة والمتصرفون في شئونها)

وهكذا سيطر الاتراك على مقاليد الأمور ، وأصبح الخلفاء العباسيون
ألعوبةً بأيديهم يغتالون من لا يرضون عنه أو يعترض على تصرفاتهم ،
وينصبون للخلافة من يريدون (٢) ، وأصبحت حاضرة الدولة سامرا
قاعدة للنفوذ التركي ، واستمر الاتراك يسيطرون على الدولة وبأيديهم
مقاليد الأمور ، وكان نفوذ بعض القادة الاتراك يفوق نفوذ الخلفاء
العباسيين حتى عادت الخلافة إلى حاضرتها الأولى بغداد بعد أن هجرتها
قراية ستين عاماً ، وحتى ظهر على مسرح الاحداث قوة أخرى هي
قوة الديلم التي دخلت المسرح السياسي ، واستطاعت أن تقهر النفوذ
التركي وتحتل مكانه (٣)

هذه بصورة عامة هي أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة ،
وكما سبق أن أشرت فإن بعض هذه النتائج جاء تأكيداً لاجتهادات

(١) طاهر بن الحسين له تاريخ ونفوذ في الدولة العباسية أكثر أهمية من تاريخ ونفوذ
ابنه عبد الله

(٢) هذا الوضع يذكرنا بنفوذ الفرس أيام أمجادهم في عصر الدولة العباسية الأول عندما
كان زعماء الفرس يقررون أو على الأقل دورهم بارز في تقرير الخليفة ولعلنا نذكر موقف
بيحيى البرمكي مع هارون الرشيد حتى وصل إلى الخلافة .

(٣) ابن الأثير / الكامل ج ٨ ص ٣٢٢ و١٠٠ بعدها .

سابقة ، والبعض الآخر ربما يحق لي أن أقول عنه أنه يمثل اجتهادي الشخصي

وفي الختام ، فإنني أرجو أن أكون قد وفقت في تقديم دراسة متكاملة عن التأثير السياسي للفرس في الدولة العباسية ابان العصر الاول من تاريخها

وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه

* * *

مراجع الكتاب

أولا : المخطوطات والمصورات

- ١ - البصرى : على بن أبى الفرج بن الحسين
المناقب العباسية والمفاخر المستنصرية رقم ١٢٥٥ تاريخ معهد
المخطوطات بجامعة الدول العربية .
- ٢ - ابن الجزرى : محمد بن محمد بن محمد بن الجزرى : تاريخ ابن الجزرى
رقم ١٤٥٠ تاريخ ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية
- ٣ : ابن الجوزى : عبد الرحمن بن على
المنتظم رقم ٨٣٥ تاريخ ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .
- ٤ : ابن أبى الدم : شباب الدين ابراهيم بن عبد الله
التاريخ المظفرى رقم ٦٠٤ تاريخ ، معهد المخطوطات
- ٥ - الديلمى : الإمام الحافظ أبو شعاع شيرويه بن شهردار
رياض الأنس لعقلاء الأنس رقم ٤٨ : معارف عامة دار الكتب
المصرية
- ٦ - النهبى : مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي
سير أعلام النبلاء ج ٥ رقم ٧٠١ . تاريخ ، معهد المخطوطات بجامعة
الدول العربية (مصور)
- ٧ - الصفدى : صلاح الدين بن أيبك
الوفاء بالوفيات ج ١١ ، ١٢ ، معهد المخطوطات بجامعة الدول
العربية (مصور)
- ٨ - العمرانى : محمد العمرانى
الأنباء فى تاريخ الخلفاء رقم ٩١١ تاريخ ، معهد المخطوطات بجامعة
الدول العربية
- ٩ - العمرى : شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله

- مسالك الأبصار ج ٧ رقم ١٩ معارف عامة ، معهد المخطوطات
١٠ - العيني : بدر الدين محمود
تاريخ البدر في أوصاف أهل العصر رقم ٥٩٧ تاريخ ، معهد
المخطوطات بجامعة الدول العربية
١١ - ابن قاضي شبة : ابن قاضي شبة
المنتقى من تاريخ الإسلام للذهبي رقم ٨٣٩ تاريخ ، معهد المخطوطات
١٢ - الكازيني : ظهير الدين علي بن محمد
الكازيني مختصر التاريخ من أول الزمان إلى دولة بني العباس رقم ٦٠٤
تاريخ ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية
١٣ - الكتبي : فخر الدين محمد بن أحمد شاكر
عيون التواريخ ج ٦ ص ١٤٩٧ تاريخ ، دار الكتب المصرية .
١٤ - المقرئ : تقي الدين أبوبكر
(أ) المقفى رقم ٥١٠ تاريخ ، معهد المخطوطات بجامعة الدول
العربية ، ومصور بدار الكتب المصرية برقم ٥٣٧٢ تاريخ
(ب) منتخب التذكرة في التاريخ رقم ١٢٥٦ تاريخ ، معهد
المخطوطات بجامعة الدول العربية
١٥ - اليماني : عماد الدين ادريس بن علي
كنز الأخبار في معرفة السير والأخبار رقم ١١٨٤ تاريخ ، معهد
المخطوطات بجامعة الدول العربية
١٦ - مؤلف مجهول : نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب رقم ٤٥٠٥
دار الكتب المصرية

ثانيا : المطبوعات

(أ) المراجع الأولية :

- ١ - القرآن الكريم ٢ - السنة النبوية
٣ - أبو الفداء : الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل
المختصر في أخبار البشر ج ١ الطبعة الأولى المطبعة الحسينية المصرية :
مكتبة المهتدين الإسلامية

- ٤ - أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم
كتاب الخراج الطبعة الثانية ١٣٥٢ هـ ، المطبعة السلفية بالقاهرة .
- ٥ - ابن أبي الحديد : أحمد بن علي
شرح نهج البلاغة ، دار احياء الكتب العربية بالقاهرة تحقيق :
محمد أبو الفضل ابراهيم
- ٦ - ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن
(أ) الكامل في التاريخ الأجزاء الأول ، الثاني ، الثالث ،
الخامس ، السادس ، الثامن ، العاشر ، طبع سنة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م ،
دار صادر بيروت
- (ب) اللباب في تهذيب الأنساب ج ١ ، دار صادر بيروت .
- ٧ - الاربلي : عبد الرحمن سنبط قنيتو
خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك مكتبة المثنى بغداد .
- ٨ - الأزدي : أبو زكريا بن محمد
تاريخ الموصل ، طبع سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ ، القاهرة
تحقيق الدكتور / علي حبييه
- ٩ - الأصفهاني : أبو الفرج الأصفهاني
(أ) كتاب الأغاني الأجزاء / الثالث ، الرابع ، الخامس ،
السادس ، الرابع عشر ، العشرين ، طبعة دار الشعب ١٣٩٢ هـ -
١٩٧٢ م ، تحقيق / ابراهيم الأبياري .
- (ب) مقاتل الطالبين ، تحقيق السيد أجمد صقر القاهرة
- ١٠ - البغدادى : أبو بكر أحمد بن علي « الخطيب البغدادى »
تاريخ بغداد الأجزاء / السابع ، الحادى عشر ، الثانى عشر طبع
سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م ، مطبعة السعادة بالقاهرة .
- ١١ - البلاذرى : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر
فتوح البلدان طبع سنة ١٩٥٩ م مطبعة السعادة بالقاهرة ، راجعه
وعلق عليه % رضوان محمد رضوان
- ١٢ - ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، الأجزاء / الأول .

- والثاني طبع سنة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م دار الكتب المصرية .
- ١٣ - التنوخي : القاضي أبو علي الحسن بن القاسم .
الفرج بعد الشدة طبع سنة ١٣٧٥ هـ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .
- ١٤ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر
(أ) ثلاث رسائل الطبعة الثانية ١٣٨٢ هـ ، المطبعة السلفية بالقاهرة .
(ب) مجموعة رسائل الطبعة الأولى سنة ١٣٢٤ هـ ، القاهرة .
- ١٥ - الجهشيارى : أبو عبد الله محمد بن عبدوس
كتاب الوزراء والكتاب ، الطبعة الأولى ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م ،
مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، تحقيق / مصطفى السقاء وزميليه .
- ١٦ - ابن الجوزى : جمال الدين أبو الفرج
تاريخ عمر بن الخطاب ، الطبعة الأولى ١٣٤٢ هـ ، بالقاهرة
- ١٧ - الحنبلى : القاضي أبو يعلى محمد بن الحسن
الأحكام السلطانية الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ ، مطبعة مصطفى الحلبي :
- ١٨ - ابن خرداذبه : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله
المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ببغداد
- ١٩ - ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد
(أ) العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر
ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر
(ب) المقدمة / الطبعة الرابعة دار احياء التراث العربى / بيروت
- ٢٠ - ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان الأجزاء / الثاني ، الثالث ، السادس ،
السابع ، طبع سنة ١٩٧٢ م / دار صادر بيروت .
- ٢١ - ابن دحلان : أحمد السيد زينى
الفتوحات الإسلامية طبع سنة ١٣٢٣ هـ المطبعة الحسينية بالقاهرة
- ٢٢ - الديار بكري : حسين بن محمد
تاريخ الحميس فى أحوال أنفس نفيس ج ٢ طبع بيروت
- ٢٣ - الديلمى : محمد بن الحسن
بيان مذهب الباطنية وبطلانه ، استانبول مطبعة الدولة سنة ١٩٣٨ م :

- ٢٤ - الدينورى : أبو حنيفة أحمد بن داود
الأخبار الطوال الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠ م عيسى الحلبي
- ٢٥ - الذهبي : الحافظ الذهبي
(أ) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ج ٣ نشر القدس
(ب) العبر في خبر من غير ج ١ طبع سنة ١٩٦٠ م مطبعة حكومة
الكويت / تحقيق الدكتور : صلاح الدين المنجد .
- ٢٦ - ابن سعد : محمد بن سعد
الطبقات الكبرى ج ١ طبع سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م بيروت .
- ٢٧ - ابن سيد الناس : ابن سيد الناس
عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير ج ٢ طبع سنة ١٣٥٦ هـ
نشر مكتبة القدس بالقاهرة .
- ٢٨ - السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
(أ) تاريخ الخلفاء / مطابع معتوق اخوان : بيروت
(ب) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة
- ٢٩ - الشافعي : الإمام أبو عبيد الله بـمحمد بن ادريس
كتاب الأم ، نشر دار الشعب / القاهرة
- ٣٠ - ابن شاهين : غرس الدين خليل
زبدة كشف المالك وبيان الطرق والمسالك طبع سنة ١٨٩٤ م :
المطبعة الجمهورية بباريس
- ٣١ - الشهرستاني : أبو الفتح محمد عبد الكريم أبي بكر أحمد
الملل والنحل ج ١ ، طبع سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م القاهرة .
- ٣٢ - ابن طباطبا : محمد بن علي
الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية طبع سنة ١٣٨١ هـ -
١٩٦٢ م ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة
- ٣٣ - الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير
تأريخ الأمم والملوك ، الأجزاء : الثاني ، الثالث ، الرابع ، السابع ،
الثامن ، التاسع ، العاشر ، الحادي عشر . مكتبة خياط / بيروت .
- ٣٤ - ابن طلحة : أبو سالم محمد بن طلحة الوزير

العقد الفريد للملك السعيد ، طبع سنة ١٢٨٣ هـ ، المطبعة الوهيبية بالقاهرة .

٣٥ - ابن طيفور : أبو الفضل أحمد بن طاهر الكاتب

بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ، طبع سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م ، مكتبة المثنى / بغداد .

٣٦ - ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن عبد ربه

العقد الفريد ج ٣ الطبعة الثانية ١٩٧٢ م مطبعة لجنة التأليف والنشر .

٣٧ : ابن عساكر : الإمام الحافظ أبو العباس علي بن الحسن

تأريخ مدينة دمشق ج ١٠ ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق .

تحقيق محمد أحمد دهمان

٣٨ - العسقلاني : ابن حجر العسقلاني

تهذيب التهذيب ج ٢ ، ٣ دار صادر : بيروت

٣٩ - ابن العماد : أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلي

شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ١ ، القدس سنة ١٣٥٠ هـ

٤٠ - ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم

(أ) الإمامة والسياسة ج ٢ الطبعة الثالثة ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م ،

(ب) طبقات الشعراء طبع سنة ١٩٠٢ هـ مطبعة بريل : لندن .

(ج) كتاب المعارف الطبعة الثانية ١٩٦٩ م دار المعارف بمصر .

٤١ - القرمانى : أبو العباس القرمانى

أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ

٤٢ - القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي

(أ) صبح الأعشى في صناعة الانشاء ج ٣ ، ٥ طبع سنة ١٣٨٣ هـ

١٩٦٣ م مطابع كوستاتسو توماس وشركاه .

(ب) مآثر الأناقة في معالم الخلافة ج ١ طبع سنة ١٩٦٤ م

مطبعة حكومة الكويت تحقيق / عبد الستار أحمد فراج .

٤٣ - الكتبي : محمد بن شاكر

فوات الوفيات ج ٢ ، ٤ ، دار صادر بيروت .

٤٤ - ابن كثير : أبو الفداء الحافظ بن كثير

البداية والنهاية ج ٩ ، ١٠ الطبعة الأولى ١٩٦٦ مكتبة المعارف بيروت .

مكتبة المهتدين الإسلامية

- ٤٥ — الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب
الأحكام السلطانية والولايات الدينية الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ القاهرة .
- ٤٦ — المرتضى : السيد المرتضى ، الأمل طبع سنة ١٣٢٥ القاهرة
- ٤٧ — المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين
(أ) مروج الذهب ومعادن الجوهر الأجزاء : الأول ، الثاني ،
الثالث ، الطبعة الثانية ١٩٧٣ م ، بيروت
- (ب) التنبية والإشراف ج ٦ طبع سنة ١٩٥٧ م ، بغداد
- ٤٨ — ابن سكوية : أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب
تجارب الأمم ج ٦
- ٤٩ — المقدسي : مطهر بن طاهر
(أ) البدء والتاريخ ج ٦ طبع سنة ١٩٦٦ م ، مكتبة المنستي ،
بغداد
- (ب) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم الطبعة الثانية ١٩٠٩ مطبعة
بريل % ليدن
- ٥٠ — المقرئ : تقي الدين أحمد بن علي
شذور العقود في ذكر النقود ، نشر جيرارد سنة ١٧٩٧ م
- ٥١ — المكي : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي
سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ج ٣ ، السلفية بالقاهرة
- ٥٢ — ابن منظور : محمد بن مكرم بن علي
لسان العرب اعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي ، بيروت .
- ٥٣ — ابن النديم : محمد بن اسحاق
الفهرست المطبعة الرحمانية بمصر
- ٥٤ — ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام
السيرة النبوية ج ٤ طبع سنة ١٩٧٤ م ، القاهرة .
- ٥٥ — ابن الوردي : زين الدين عمر

تتمت المختصر في أخبار البشر ج ١ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩ هـ -
١٩٧٠ م ، دار المعرفة : بيروت .

٥٦ - الياقعي : أبو محمد عبد الله بن سعد بن علي
مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ج ١
نشر مؤسسة الأعلی للمطبوعات / بيروت .

٥٧ - اليعقوبی : أحمد بن يعقوب بن جعفر
تأريخ اليعقوبی ج ٢ طبع سنة ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م ، بيروت .

٥٨ - مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية لمؤلف مجهول : طبع سنة
١٩٧١ م ، دار صادر بيروت ، حققه الدكتور : عبد العزيز
الدوري وزميله .

٥٩ - مؤلف مجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق ج ٣ لمؤلف
مجهول ، مكتبة المثنى / بغداد

(ب) المصادر الحديثة :

١ - أبو سعيد : الدكتور حامد غنيم
(أ) العلاقات العربية السياسية في عهد البويهيين ، الطبعة الأولى
١٩٧١ م ، مطبعة دار نشر الثقافة / القاهرة .

(ب) عصر الدول الإقليمية ج ١ ، الطبعة الأولى ١٩٧٠ م

٢ - أربري : أ. ج أربري وزملاؤه
تراث فارس طبع سنة ١٩٥٩ ، ترجمة : د . / يحيى الخشاب
وزملاؤه

٣ - أرنولد : سيرتوماس . و. أرنولد
الدعوة إلى الإسلام ، الطبعة الثالثة ١٩٧٠ ، مكتبة النهضة المصرية .
ترجمة الدكتور / حسن إبراهيم حسن وزميله .

٤ - أحمد أمين : أحمد أمين

(أ) فجر الإسلام ، الطبعة العاشرة ١٩٦٥ ، القاهرة
مكتبة المهتدين الإسلامية

- (ب) ضحى الإسلام ج ١ الطبعة السابعة ١٩٦٤ .
- ٥ - بنيت : الدكتور عبد الحميد بنيت
ظهور الإسلام وسيادة مبادئه الطبعة الثانية ١٩٦٧ دار المغارف .
- ٦ - برانق : محمد أحمد برانق
الوزراء العباسيون ج ١ طبع سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م ، القاهرة
- ٧ - براون : ادوارد جرانفيل
تاريخ الأدب في إيران طبع ١٣٧٣ هـ ، ترجمة : د : ابراهيم أمين الشواربي
- ٨ - بروكلمان : كارل بروكلمان
تاريخ الشعوب الإسلامية % الطبعة الخامسة ١٩٦٨ م ، دار العلم
للملايين ، بيروت ترجمة : نبيه فارس وزميله
- ٩ - ترثون : ا. س. ترثون
أهل الذمة في الإسلام طبع سنة ١٩٦٧ م ، دار المعارف بمصر ،
ترجمة وتعليق الدكتور حسن حبش .
- ١٠ - الجومرد : الدكتور / عبد الجبار الجومرد
(أ) داهية العرب أبو جعفر المنصور ، دار الطليعة ، بيروت
١٩٦٣ م
- (ب) هارون الرشيد ، بيروت ١٩٥٦ م
- ١١ - حسن : الدكتور / حسن ابراهيم
تأريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ج ٢ الطبعة
السابعة ١٩٦٤ م ، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة
- ١٢ - الدكتور / حسن ابراهيم وشقيقه
النظم الإسلامية ، الطبعة الرابعة ١٩٧٠ م ، مطبعة السنة المحمدية .
- ١٣ - الخربوطلى : الدكتور على حسنى
العرب والحضارة طبع سنة ١٩٦٦ ؛ المطبعة الحديثة ، القاهرة .
- ١٤ - الحضرى : محمد الحضرى
تاريخ الأمم الإسلامية ج ١ طبع سنة ١٩٦٩ م ،
- ١٥ - خطاب : اللواء الركن محمود شيت

قادة فتح بلاد فارس ، الطبعة الأولى ١٣٨٥ هـ ، بيروت

١٦ - خليفة : حسن خليفة

الدولة العباسية قيامها وسقوطها الطبعة الأولى ١٩٣١ م ، القاهرة

١٧ - الدورى : الدكتور / عبد العزيز الدورى

(أ) الجذور التاريخية للشعوب الطبعة الأولى ١٩٦٢ م ، بيروت

(ب) العصر العباسى الأول ؛ بغداد

١٨ - الرافعى : مصطفى الرافعى

حضارة العرب فى العصور الإسلامية الزاهرة ، بيروت

١٩ - رستم : عبد السلام رستم

أبو جعفر المنصور ، طبع سنة ١٩٦٥ م ، دار المعارف بمصر

٢٠ - رفاعى : الدكتور / أحمد فريد

عصر المأمون ج ١ الطبعة الثانية ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م ، القاهرة

٢١ - الرئيس : الدكتور / محمد ضياء الدين

(أ) الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية الطبعة الثالثة ١٩٦٩ م

(ب) النظريات السياسية الطبعة الخامسة ١٩٦٩ م دار المعارف

٢٢ - زيدان : جورجى زيدان

(أ) تاريخ التمدن الإسلامى طبع سنة ١٩٠٤ م ، مطبعة دار الهلال

(ب) أبو مسلم الخراسانى / نشر دار الهلال / القاهرة .

٢٣ - سديو : ل. أ. سديو

تأريخ العرب العام ، الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م ، عيسى

البابى الحلبي وشركاه ، ترجمة / عادل زعير

٢٤ - سرور : الدكتور جمال الدين سرور

الحياة الإسلامية فى الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول

والثانى للهجرة ، الطبعة الرابعة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ، القاهرة

٢٥ - سعيد : أمين سعيد

تاريخ الإسلام السياسى طبع سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٧ م

مطبعة الحلبي ، القاهرة

مكتبة المهتدين الإسلامية

٢٦ - سليمان : الدكتور / أحمد السعيد
تأريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، طبع سنة ١٣٨٩ هـ -
١٩٦٩ م ، دار المعارف ، القاهرة

٢٧ - الشيبى : محمد رضا
مؤرخ العراق بن القوطى / طبع سنة ١٣٧٠ م ، بغداد

٢٨ - شعوط : الدكتور / ابراهيم على شعوط وزميله
عصر الفتوحات الإسلامية الخلافة الرشيدة وبنو أمية الطبعة الأولى
١٩٦٦ م ، دار الطباعة المحمدية

٢٩ - شلبى : الدكتور / أحمد شلبى
التأريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ج ٣ الطبعة الثالثة ١٩٦٦ م ،
٣٠ - الدكتور / شوقى ضيف

تأريخ الأدب العربى : العصر العباسى ، الطبعة الثالثة ، القاهرة .
٣١ - العقاد : عباس محمود العقاد
التفكير فريضة إسلامية ، الطبعة الثانية ١٩٧١ م ، بيروت

٣٢ - على ابراهيم : الدكتور / على ابراهيم حسن
التأريخ الإسلامى العام طبع سنة ١٩٧٢ م ، القاهرة
٣٣ - عمر : الدكتور / فاروق عمر

(أ) طبيعة الدعوة العباسية ، الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م
دار الإرشاد : بيروت

(ب) العباسيون الأوائل ج ١ ، الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

٣٤ - العمرى : اكرم ضياء العمرى
تأريخ خليفة بن خياط مطبعة الآداب بالنجف ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م

٣٥ - محمود فرج
الفتح العربى للعراق وفارس طبع سنة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م ، القاهرة

٣٦ - فلهوزن : يوليوس فلهوزن
تأريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ،
الطبعة الثانية ١٩٦٨ م ، ترجمة د . محمد أبو زيد

- ٣٧ - فلوتن : فان فلوتن
السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بنى أمية ، الطبعة الثانية
ترجمة : الدكتور / حسن ابراهيم حسن وزميله
- ٣٨ - لاندو : روم لاندو
الإسلام والعرب / دار العلم للملادين / بيروت ترجمة : منير
البلعكي .
- ٣٩ - لسترينج : كى لسترينج
بلدان الخلافة الشرقية طبع سنة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م ، بغداد
ترجمة : بشير فرنسيس وزميله
- ٤٠ : برنارد لويس
العرب في التاريخ . ، طبع سنة ١٩٥٤ م ، ترجمة : نبيه أمين
فارس وزميله
- ٤١ - ماجد : الدكتور / عبد المنعم ماجد
التاريخ السياسى للدولة العربية ج ١ الطبعة الرابعة ١٩٦٧ م ،
- ٤٢ - محمد حلمى : الدكتور / محمد حلمى محمد
الخلافة والدولة في العصر العباسى ، الطبعة الأولى ١٣٧٨ هـ -
١٩٥٩ م ، مكتبة نهضة مصر / القاهرة .
- ٤٣ - محمد عبد الغنى حسن : محمد عبد الغنى حسن
صراع العرب خلال العصور / مطبعة دار العالم العربى / القاهرة :
- ٤٤ - محمد على : مولانا محمد على
حياة محمد ورسائله / الطبعة الأولى ١٩٦٣ م ، بيروت ترجمة :
منير البلعكي
- ٤٥ - محمود : الدكتور حسن محمود وزميله
العالم الإسلامى في العصر العباسى ، الطبعة الأولى ١٩٦٦ م ، دار
الفكر العربى / القاهرة
- ٤٦ - محمود اسماعيل : الدكتور / محمود اسماعيل
الحركات السرية في الإسلام ، الطبعة الأولى ١٩٧٣ م ، بيروت
مكتبة المهتدين الإسلامية

- ٤٧ - النجار : الدكتور / محمد الطيب
(أ) الموالي في العصر الأموي ، الطبعة الأولى ١٩٤٩ م القاهرة
(ب) القول المبين في سيرة سيد المرسلين ، القاهرة سنة ١٩٧٣ م
(ج) الدولة الأموية في الشرق بين عوامل البناء ومعاول الهدم
مطابع دار الكتاب العربي بمصر
- ٤٨ - ولبر : دونالد ولبر
ايران ماضيها وحاضرها ، طبع سنة ١٣٧٧ هـ دار مصر للطباعة
ترجمة : الدكتور / عبد المنعم حسنين وزميله
- ٤٩ - اليوزبكي : توفيق سلطان
الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية طبع سنة ١٣٧٠ هـ -
١٩٧٠ م ، مطبعة الإرشاد / بغداد .

فهرس

الصفحة

المقدمة ١١ - ٤٠

الفصل الأول :

الفرس والدولة الإسلامية ٤١ - ٤٢
الامبراطورية الفارسية وقت ظهور الإسلام ٤٣ - ٤٧
الفتح الإسلامي لفراس ٤٨ - ٥٣
في عهد أبي بكر ٥٣ - ٥٥
في عهد عمر ٥٦ - ٦٤
في عهد عثمان ٦٤ - ٦٦
مكانة الفرس في الدولة الأموية ٦٧ - ٧٥

الفصل الثاني :

دور الفرس في اقامة الدولة العباسية ٧٧ - ٧٨
ابداية الدعوة العباسية ودور العلويين في المطالبة في الخلافة ٧٩ - ٩٦
تحقيق القول في تنازل أبي هاشم للعباسيين ٩٦ - ١٠١
التنظيم الإداري للدعوة ١٠٢ - ١٠٤
الدعوة في العراق ١٠٥ - ١٠٦
الدعوة في خراسان ١٠٧ - ١١٣
أيام أبي مسلم الخراساني الأولى ١١٤ - ١٢٠
سر اختيار خراسان مركزا للدعوة العباسية ١٢١ - ١٢٨
أسباب استعانة العباسيين بالفرس واستجابة الفرس لهم ١٢٨ - ١٣٤
اعلان الثورة العباسية ١٣٤ - ١٥٢
دخول مرو والزحف نحو الغرب ١٥٣ - ١٥٧

الصفحة

١٦٢ — ١٥٨	... نهاية نصر بن سيار وتوجيه جيش الثورة إلى العراق
١٦٤ — ١٦٣	... القضاء على زعيم الدعوة العباسية ابراهيم الإمام
١٧١ — ١٦٤ مبايعة أبي العباس بالخلافة
١٧٢ — ١٧١ معركة الزاب
١٧٦ — ١٧٣ نهاية مروان بن محمد وتصفية الدولة الأموية

الفصل الثالث :

١٧٨ — ١٧٧ الفرس والوزارة
١٨٤ — ١٧٩ تاريخ الوزارة
١٨٦ — ١٨٥ أنواع الوزارة في العصر العباسي
١٩١ — ١٨٧ مقارنة بين وزارة التفويض ووزارة التنفيذ
١٩٦ — ١٩٢ توازن واختلال
٢٢٨ — ١٩٧ وزراء خطرون
٢٣٥ — ٢٢٩ وزراء مسالمون
٢٣٨ — ٢٣٦ موازنة

الفصل الرابع :

٢٤٠ — ٢٣٩ دولة البرامكة
٢٤٤ — ٢٤١ وزراء متحكمون
٢٥٤ — ٢٤٥ ظهور البرامكة
٢٦٧ — ٢٥٥ العصر الذهبي للبرامكة
٢٦٩ — ٢٦٨ سقوط البرامكة
٢٩١ — ٢٧٠ مناقشة موضوعية لعوامل <u>نكبة البرامكة</u>
٢٩٧ — ٢٩٢ العلاقات داخل البيت العباسي وموقف البرامكة من ذلك
٣٠٤ — ٢٩٨ أسلوب الرشيد في مواجهة البرامكة

الفصل الخامس :

٣٠٦ — ٣٠٥ آل سهل والطاهزيون
-----------	---------------------------------------

الصفحة

٣١١ - ٣٠٧	... بين البرامكة وآل سهل
٣١٣ - ٣١٢	... آل سهل واتصلهم بالدولة العباسية
٣٢٤ - ٣١٤	... دور الفضل بن سهل في إقامة دولة المأمون
٣٢٧ - ٣٢٥	... الفضل يسيطر على شؤون الدولة
٣٢٩ - ٣٢٨	... نهاية الفضل بن سهل
٣٣٨ - ٣٣٠	... لماذا قتل المأمون الفضل ؟
٣٤٠ - ٣٣٩	... أهداف الفضل وتطلعاته السياسية
٣٤٣ - ٣٤١	... للمأمون والحسن بن سهل
٣٥١ - ٣٤٤	... بين المأمون وطاهر بن الحسين
٣٥٢ - ٣٥١	... نهاية طاهر بن الحسين
٣٥٦ - ٣٥٣	... الدولة الطاهرية

الفصل السادس :

٣٥٨ - ٣٥٧	... الحركات الفارسية المعادية
٣٥٩ - ٣٥٩	... الفرس بين موقفين :

٣٦٠ - ٣٦٠ ... أولاً : أبو مسلم الخراساني وباكورة الانتجاه

٣٦٢ - ٣٦١ ... (أ) أقوال المؤرخين

٣٦٥ - ٣٦٢ ... (ب) شهادات المعاصرين

٣٧٣ - ٣٦٥ ... (ج) بين الخليفة والزعيم الفارسي

٣٧٦ - ٣٧٣ ... (د) مجموعة المآخذ

٣٨٠ - ٣٧٧ ... معالجة حاسمة

٣٨٢ - ٣٨١ ... ثانيا : سباز والراوندية ١ - حركة سباز

٣٨٤ - ٣٨٢ ... تتداخل الأهداف في ثورة سباز

٣٨٥ - ٣٨٤ ... نهاية سباز

٣٨٦ - ٣٨٥ ... ٢ - حركة الراوندية

٣٨٩ - ٣٨٦ ... موازنة

الصفحة

٣٩١ - ٣٨٩	... حركة الراوندية ...
٣٩٣ - ٣٩٢	... حركة أستاذ سبس ...
٣٩٤ - ٣٩٤	... اتحاد الثورة والقضاء على الثائر ...
٣٩٦ - ٣٩٥	... حركة المقنع الثائر ومذهبه ...
٣٩٨ - ٣٩٧	... إمتزاج الدين والسياسة لدى المقنع ...
٣٩٩ - ٣٩٨	... حركة المقنع تواجه مصيرها ...
٤٠١ - ٤٠٠	... حركة بابك الخرمي ...
٤٠٢ - ٤٠١	... (أ) شخصية بابك الخرمي ...
٤٠٥ - ٤٠٣	... (ب) مبادئ حركة بابك ...
٤١٥ - ٤٠٥	... (ج) جهود الدولة العباسية في القضاء على هذه الحركة ...
٤١٧ - ٤١٦	... حركة المازيار بن قارن ...
٣٣٠ - ٣٢٩	... القضاء على المازيار ...
٤٢٤ - ٤١٨	... سابعا : بين الزندقة والحركات الفارسية السابقة ...
٤٣٤ - ٤٢٥	... جهود الخلفاء العباسيين في محاربة الزندقة ...
٤٥٠ - ٤٣٥	... الخاتمة ...
٤٥٢ - ٤٥١	... مراجع البحث أولا : المخطوطات والمصورات ...
٤٦٤ - ٤٥٢	... ثانيا : المطبوعات المراجع الأولية المصادر الحديثة ...
٤٦٨ - ٤٦٥	... الفهرس ...

رقم الإيداع
٥٣٥٢ لسنة ١٩٧٨

(٣)